

كتب نادرة

العدد الطبع ٥٠٠

الأصناف

فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به

لأئمة المتكلمين، سيفك سلام، وليسان الحق

القاضي أبي بكر محمد بن أبي القاسم

أبي القاسم الشافعي

عرف الكتاب ، وقدمه للقراء ، وكتب هو أمشه

مولانا العلامة المحقق الكبير ، بقية السلف الصالح

صاحب الفضيلة الشيخ

محمد زاهد بن الحسن الكوثري

وكيل المشيخة الإسلامية في الخلافة العثمانية سابقا

روجع على أصل مخطوط للنسخة الوحيدة المحفوظة بدار الكتب

الملكية المصرية بالقاهرة

عني بنشره ، وصححه ، ووضع فهرسه

السيد عز الدين الوطاري

مؤسس ومدير مكتب نشر التراث في الإسكندرية

من أقدم عصورها إلى الآن

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة عن كتاب الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به
ومؤلفه الإمام الباقلاني

الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على خاتم رسل الله سيدنا محمد وآله
وصحبه أجمعين .

أما بعد : فبين أيدينا كتاب بالغ النفع يسمى « الإنصاف » : فيما يجب اعتقاده
ولا يجوز الجهل به ، ينسب إلى الإمام النظار المتكلم المغوار ، أبي بكر محمد بن الطيب
الباقلاني - تغمده الله برضوانه - ، وقد انفردت « دار الكتب المصرية » ، بفخر
اقتنائه من بين خزانة العالم - فيما نعلم - ، ولم يذكره القاضى عياض فى « ترتيب
المدارك فى فقهاء مذهب مالك » ، مع ذكره لمعظم مؤلفات الباقلاني ، وهذا مما يزيد
الاهتمام به . وقد ألفه مؤلفه إجابة لالتماس فاضلة خيرة : ذكر ما يجب على المكلفين
اعتقاده ولا يسعهم الجهل به ، فذكر المؤلف - رحمه الله - بآدى - ذى بدء ، المبادئ
التي تجب معرفتها مما لا يتم النظر فى معرفة الله وصفاته إلانها ، ثم قسم العلم إلى قسمين :
علم الله سبحانه ، وعلم الخلق ؛ ونص على أن الأول لا ينقسم إلى ضرورى واستدلالى
بخلاف الثانى فانه منقسم إليهما ، ثم أوضح هذين القسمين ، ثم ذكر أن الاستدلال
هو نظر القلب المطلوب به علم ما غاب عن الحس والضرورة ، وأن الدليل هو ما يمكن
بصحيح النظر فيه الوصول إلى معرفة المطلوب ، ثم بين انحصار العلوم فى الموجود
والمعدوم ، وانقسام الموجود إلى قديم ومحدث ، وانقسام المحدث إلى جسم وجوهر
(فرد) وعرض ، وأوضح حدوث ما سوى الله تعالى من جسم وجوهر وعرض ،
ثم ذكر أن للعالم محدثا أحدثه ، وبين صفات صانع العالم ، وسرد جملا من نعم الله

على المكلفين بما يوجب شكر المنعم - جلت قدرته - ، وقال : إن الأدلة التي يدرك بها الحق خمسة : وهي الكتاب ، والسنة ، وإجماع الأمة ، والقياس على ما ثبت بها ، وحجج العقول . ثم ذكر أقسام الفرائض على المكلفين وقال : منها ما يعم الجميع ، ومنها ما يخص العلماء دون العامة ، ومنها ما يخص الأمراء دون الرعية ، وأوضح أن أول ما فرضه الله على الناس الإيمان بالله ، وشرح ماهو الإيمان ؟ ، ونص على تنزيه الله سبحانه من الجوارح والحوادث ، وسرد صفات الله سبحانه على معتقد أهل الحق ، وبين أنه تعالى مقدر الأرزاق والآجال . وأن إرادته تعم الأفعال ، ثم ذكر وجوب النظر في الخلق من غير خوض في ذات الخالق - جل جلاله - ، وبرهن على أن العالم حادث ، وأن محدثه هو الله جل شأنه ، وأفاض في التدليل على ذلك ، وأوضح أن الخالق لا يشبه المخلوقات بوجه من الوجوه ، وبسط القول في صفات الله وأفعاله ، ونزهه - جل جلاله - عن الاختصاص بالجهات ، وذكر شمول إرادته سبحانه للحوادث كلها ، ونص على أن العبد كاسب غير مجبور ، وتحدث عن الاستطاعة ، ورؤية الله من غير تشبيه ، وذكر الحسن والقبح ، وعذاب القبر ، وما إلى ذلك مما ورد في السمع ، كالشفاعة ، والجنة ، والنار ، ثم بسط القول في الإيمان ، والإيمان والإسلام ، وقول المؤمن أنا مؤمن حقاً ، وأوضح ثبوت دعوى النبوة بالمعجزات ، وبين أن شرع نبينا ناسخ للشرائع كلها ، ونص على بقاء نبوات الأنبياء بعد وفاتهم رداً على افتراء الحشوية ، وذكر خلافة أبي بكر الصديق وخلافة باقي الخلفاء الراشدين - رضى الله عنهم اجمعين - ، وأوصى بالكف عما شجر بين الصحابة ، وذكر شروط الإمامة ، وسرد أصناف المبتدعة ، ثم أفاض في بيان قدم كلام الله على مذهب الأشاعرة ، ونقض أدلة المعتزلة في دعوى خلق القرآن وأوضح أن الآيات والآثار التي تمسكوا بها لا تدل على حدوث الكلام النفسى القائم بالله ، وأفاض في ذلك إفاضة لا توجد في غير هذا الكتاب ، وشرح الفرق بين القراءة والمقروء - يريد بالمقروء ما قام بالله ، وبين أن كلامه سبحانه ليس بحرف ولا صوت وإنما هما دالان على القديم القائم بالله ، وسرد الآثار الدالة على أن الحروف

والأصوات من صفات قراءة القارئ. لا من صفات كلام الباري سبحانه ، ثم عزز ذلك بالدليل العقلي ، وبين وجه سماعنا لكلامه جل جلاله ، وبرهن على أن الكلام الحقيقي هو الكلام النفسي ، ودلل على الكلام النفسي بتوسيع لا تجده في غير هذا الكتاب ، وسخف أحلام الحشوية في الحروف والأصوات ، وعاب عليهم عدم انتباههم للإسناد المجازي في الآثار الواردة في الحرف والصوت ، وأوضح معنى الألف السبع ، وتوسع في الكلام في الصوت الوارد في بعض الآثار ، واستقصى البحث في ذلك وفي سرد الأدلة على أن الصوت مخلوق لا يجوز أن يقوم بالله سبحانه عند أولى الألباب ، ثم تحدث عن عموم إرادة الله وأنه هو الخالق وحده ، وأفاض في ذلك إفادة لا تجدها في غير هذا الكتاب ، ونص على أن العبد كاسب وليس بخالق لأفعاله كما ادعاه بعض أهل الزيغ ، ثم حكى عن ابن فورك ما جرى بينه وبين ~~المصاحب~~ ابن عباد قائلا : « وقد قيل عن الشيخ الإمام أبي بكر بن فورك رضى الله عنه أن المصاحب قطع سفر جلة وهما في بستان وقال لابن فورك : الست انا قطعت هذه السفر جلة ؟ فقال : إن كنت تزعم أنك خلقت هذه التفرقة فيها فاخلق وصلها بالشجرة حتى تعود كما كانت . فبهت . وابن فورك زميل الباقلاني في مجلس أبي الحسن الباهلي كما سيأتي فانظر إلى هذه النفوس الطيبة كيف يذكر بعضهم بعضا باجلال وتقدير وهكذا يكون المخلصون من العلماء وهما وإن كانا مترافقين في عهد الطلب لسكرتهما كانا متباعدين بلاداً في عهد نشرهما العلم ، ولذا ترى الباقلاني يقول في حكايته عنه : (وقد قيل عن الشيخ الإمام .) فلا يتوهم من متوهم خدش ذلك في نسبة الكتاب إليه ، وأوضح المؤلف مسألة الخلق والكسب أيضاً شاملاً ، ثم استوفى الكلام في مسألة الشفاعة ، ثم أفاض في مسألة رؤية الله تعالى من غير تشبيه ولا تمثيل ، وبها ختم الكتاب .

وهذا الكتاب من أبداع ما برز للوجود من آثار المتقدمين من المتكلمين ، في التفنن في التدليل على مباحثه ، ولا غرو فإن مؤلفه الباقلاني كان واسع الاطلاع ، قوى الذاكرة ، سريع الخاطر ، حاضر البديهة ، نير البيان ، وله ذكاء متقد ، وحافظة

قوية ، ولسان لا يغالب في المناظرات ، ومؤلفاته أصدق شاهد على ذلك ، وله مقدرة خارقة للعادة في تصيد الحجج من ثنايا الكتاب والسنة والآثار ضد مخاصميه ، فيعجب اللبيب مما جمع الله له من المنح العظمى ، لكن عاداته الرواية بالمعنى ، فلا تجده يراعى كثيراً لفظ الرواية مكتفياً بجوهر المعنى ، كما هو عادة أغلب النظار في حجاجهم . ثم انه كثيراً ما تراه يذكّر آثاراً فيها وهن على سبيل الاستئناس بها بدون أن يتخذها أدلة مباشرة ؛ وقد تكون تلك الآثار في عداد ما يتمسك بها الخصوم فيقلّبها عليهم ، وأما من ناحية النضج العقلي ، والمقدرة الفائقة في الاحتجاج العقلي السليم فحدث عن البحر ولا حرج ، وإن كان لا يخلو من بعض تهويل وتشغيب في مغالبة الخصوم فيما يكاد أن يكون الخلاف فيه لفظياً ؛ ويتبين ذلك كله من مطالعة كتابه هذا ، فضلاً عن مطالعة كتبه الأخرى . وكان رحمه الله من أعظم الأئمة في علم التوحيد والصفات ؛ وقد ازداد مذهب الأشعرى وضوحاً ببياناته النيرة في كتبه الخالدة . وقد حجز الباقلاني المعتزلة حقاً في أقمار السمسسم أيضاً - كما يقول ابن الصيرفي في الأشعرى في زمانه - وضيق عليهم جداً سبيل التخاص من قوامع حججه ، وضايقهم كل المضايقة بعد أن رفعوا رؤوسهم في عهد آل بويه ، فهو جدلي عظيم لا يصطلي بناره ، ولا منجاة لمناظره بدون استرشاده بمناره .

ولا يؤخذ بشيء سوى تعوده القسوة في المزاح ؛ وقد قيل ان ابن المعلم كبير الإمامية كان جالساً في مجلس ، ومعه أصحابه ، فرأى من بعد إقبال الباقلاني فقال لأصحابه هامساً : (قد جاءكم الشيطان) - يعني البراعة في الجدل - فلما جلس الباقلاني - وقد سمع هذه المهامسة - لم يتغاض عن ذلك ، بل قال فوراً لابن المعلم : قال الله تعالى : (ألم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزاً) - فان كنت شيطاناً فاتم كفار ، وقد أرسلت عليكم ، وهذا مزاح ظريف . لكنه قاس من مثله . وقال أيضاً في أبي جعفر محمد بن أحمد السمناني القاضي - أحد أصحابه في علم الكلام : (انه مؤمن آل فرعون) - يعني انه الأشعرى الوحيد بين الحنفية - غير محاذر أن يقلب ذلك عليه باعتبار انه حنفي وحيد بين أصحابه نفسه ، كما يروى مثل

ذلك عن الملك المعظم في آل ايوب ، لكن هذا مزاح غير مستساغ صدوره من مثله ، على خطورة هذا النوع عن المزاح ، ولعل صنيع ابن حزم معه - عن غير حق - جزاء معنوى لذلك ، بل له إلزامات في المسائل الاجتهادية الفرعية ، يجرى فيها على ما تعود من العنف في المسائل الاعتقادية - ساحة الله وايانا بمنه وكرمه .

وقد رغب الأستاذ البجائي أبو أسامة السيد محمد عزة العطار الحسيني في نشر هذا الكتاب . وطلب إلى أن أتحدث عن كتاب (الإصناف) هذا ، ومؤلفه الإمام الباقلاني فكتبت مايسره الله لي . مع التعليق على بعض المواضع برمز (ز) ، نزولا عند رغبته فأشكره على قيامه بنشر هذا الكتاب الفاخر : علاوة على ماشره من الكتب النافعة على التوالي ؛ وهو ثاني كتاب في التوحيد للباقلاني منشور في المدة الأخيرة وأولهما كتاب (التمهيد) له ، وقد طبع باهتمام الأستاذين البارعين السيد محمود الخضيرى والسيد محمد عبد الهادي (ابو ريدة) - حفظهما الله - المعروفين في البيئات الجامعية والمحافل العلمية بكل فضل ونبل ، وقد عنيا بتحقيق الكتاب ، ودراسة احوال المؤلف وكتابه . عناية مشكورة ، وعرضاء بكل إجابة ثمرة بحوثهما الشاملة - لأعين الباحثين ، فأغنانا ذلك عن التوسع في ترجمة المؤلف والمقارنة بين آرائه في كتبه ، وآراء الآخرين من المتكلمين ؛ فأكتفى بالمأمة يسيرة في ترجمة الباقلاني ؛ أسوقها من تاريخ الاسلام الكبير للذهبي بحروفه وهى :

ترجمة المؤلف : شيوخه . تلامذته

(هو محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم القاضي ابو بكر الباقلاني البصرى صاحب التصانيف في علم الكلام ، سكن بغداد ، وكان في فنه أوجد زمانه ؛ سمع أبا بكر القطيعي وأبا محمد بن ماسي ، وخرج له ابو الفتح بن ابي الفوارس ، وكان ثقة ، عارفا بعلم الكلام ، صنف في الرد على الرافضة ، والمعتزلة ، والخوارج ، والجهمية ؛ وذكره القاضي عياض في طبقات الفقهاء المالكية فقال :

هو الملقب بسيف السنة ، ولسان الأمة ، المتكلم على لسان اهل الحديث ، وطريق ابي الحسن الاشعري ؛ واليه انتهت رئاسة المالكيين في وقته ، وكان له بجامع المنصور (ببغداد) حلقة عظيمة .

روى عنه ابو ذر الهروي ، وابو جعفر محمد بن احمد السمناني ، والحسين بن حاتم .

أقوال المؤرخون فيه وتاريخ وفاته

قال الخطيب : كان ورده كل ليلة عشرين ترويقة ، في الحضر والسفر ، فاذا فرغ منها كتب خمسا وثلاثين ورقة من تصنيفه . سمعت ابا الفرج محمد بن عمران يقول ذلك ، وسمعت علي بن محمد الحربى يقول : جميع ما كان يذكر ابو بكر ابن الباقلانى من الخلاف بين الناس ، صنفه من حفظه ، وما صنف أحد خلافا لاحتاج ان يطالع كتب المخالفين ، سوى ابن الباقلانى .

قلت : وقد أخذ ابن الباقلانى علم النظر عن أبى عبد الله محمد بن أحمد بن مجاهد الطائى صاحب الأشعرى ، وقد ذهب فى الرسلية إلى ملك الروم ، وجرت له أمور منها : أن الملك أدخله عليه من باب خوخة ليدخل راكعا للملك ففطن لها ، ودخل بظهره . ومنها : أنه قال لراهبهم كيف الأهل والأولاد ؟ فقال له الملك : أما علمت أن الراهب تنزهه عن هذا ؟ فقال : تنزهونه عن هذا ولا تنزهون الله عن صاحبة والولد . وقيل أن طاغية الروم سألت كيف جرت القصة لعائشة ؟ - وقصد توبيخه - فقال : كما جرى لمريم ، فبرأ الله المرأتين ، ولم تأت عائشة بولد ، فأخذه ولم يحجر جوابا .

قال الخطيب : سمعت أبا بكر الخوارزمى يقول : كل مصنف ببغداد إنما ينقل من كتب الناس إلى تصنيفه ، سوى القاضى أبى بكر ، فإن صدره يحوى علمه وعلم الناس وقال أبو محمد البافى (بالباء والفاء) : لو أوصى رجل بثلاث ماله أن يدفع إلى أفصح الناس ، لوجب أن يدفع إلى أبى بكر الأشعرى (الباقلانى)

وقال أبو حاتم القزوينى : ان ما كان يضمه الباقلانى من الورع والديانة ، والرهدة ، والصيانة ، أضعاف ما كان يظهره ، فقليل له فى ذلك . فقال : إنما أظهر ما أظهره غيظا لليهود ، والنصارى ، والمعتزلة ، والرافضة ، لئلا يستحقروا علماء الحق وأضمر ما أضمره فاني رأيت آدم على جلالته نودى عليه بدوقة . وداود بنظرة ، ويوسف بهمة ونبينا بخطرة عليهم السلام ولبعضهم فى أبى بكر الباقلانى : -

انظر إلى جبل تمشى الرجال به وانظر إلى القبر ما يحوى من الصلف
وانظر إلى صارم الإسلام معتمداً وانظر إلى درة الإسلام في الصدف

توفي في ذى القعدة (يوم السبت) لسبع بقين منه (سنة ٤٠٣ هـ) وصلى عليه
ابنه الحسن ودفن بداره ثم نقل إلى مقبرة (باب حرب ١ هـ) ببغداد تغمده الله
برضوانه وأسكنه فسيح جناته .

وللباقلانى عمل مشكور في التدليل على المسائل ، بأوضح الدلائل ، وقد ابتكر
في المذهب بعض آراء نظرية ، عندها مبرهنة ويعدها غيره غير مبرهنة ، وهي
لا تكون في عداد مسائل المذهب ، بل تعزى إليه مباشرة ، كاستحالة بقاء العرض
زمانين ، وقوله في الحال . وقوله في صفة البقاء ، وإثبات الجزم للفرد ، ومصادر تلك
الآراء معروفة . وما يبنى على قواعد غير مبرهنة يبقى تحت النظر عند من لا يراها
مبرهنة ، من غير أن يمس ذلك بمقامه السامى ، ولا مانع من أن يكون لكل ناظر
بعض آراء غير مسلمة ، وبعض استدراكات على من سبقه ، ومن المعلوم أن الأشعرى
كان تلقى علم الكلام من أبى على الجبائى المعتزلى ، ثم انتقل في الثالث الأخير من عمره
إلى معتقد أهل السنة ، فقام بالذب عنه خير قيام ، كما شرحت ذلك في مقدمة « تبين
كذب المفتري » شرحاً وافياً ، وقد ملأ العالم علماً ، وتلاميذ . وأبو الحسن الباهلى ،
وأبو عبد الله محمد بن مجاهد الطائى^(١) من أصحاب الأشعرى ، يقول فيهما عبد القاهر
البغدادى : هما اثرا تلامذة هم إلى اليوم شمس الزمان ، وائمة العصر ، كالباقلانى ،
وابن فورك ، وأبى إسحاق إبراهيم بن محمد الإسفرائينى ؛ ثم ذكر أنه أدرك ابن مجاهد
والباقلانى وابن فورك ، وأبى إسحاق الإسفرائينى ؛ فيكون عبد القاهر شارك الباقلانى
فى الأخذ عن ابن مجاهد ، كما شارك الباقلانى ابن فورك ، والإسفرائينى فى الأخذ عن

(١) وتوفى الاثنان سنة ٣٧٠ هـ كما يظهر من تاريخ الصلاح السكتى وتاريخ اليافعى

— راجع غيون التواريخ ومراة الجنان (ز)

الباهلي . وإن كان للباقلاني مزيد اختصاص باب مجاهد ، كما أن للأسفرايني وابن فورك اختصاصا خاصا بالباهلي . فهكذا تداخل السندان في الارتواء من نبع واحد . فلا يعول على ما لم يرد بطريقهما عن الأشعري . كذهب للأشعري . لأنهما وارتأع لومه في أواخر عهده ، وفيها كان نضج علمه . وأما الأمانة ، التي كان قدمها إلى البربهاري في أوائل انتقاله إلى معتقد السنة ، فتحتوى على بعض آراء غير مبرهنة . جارى فيها النقلة ليتدرج بهم إلى الحق . لكنه لم ينفع ذلك . على تلاعب الأقالام فيها . فاستقر رأيه . بعد عهدي الإفراط والتفريط . على ما نقله هؤلاء عنه من الآراء المعتدلة على خلاف مزاعم ابن كثير . وعن أبي اسحاق الأسفرايني أخذ أبو القاسم عبد الجبار ابن علي الأسفرايني . وعنه أخذ امام الحرمين ، وعن امام الحرمين أخذ الغزالي ومنه انتشر المذهب الأشعري انتشاراً كبيراً . وكان أبو المظفر الأسفرايني أخذ الكلام عن حميه عبد القاهر ، وكان امام الحرمين كثير الاستفادة من كتب الباقلاني وأبي اسحاق وابن فورك . وعبد القاهر ، كما يظهر من كتبه . وكان امام الحرمين مديناً هؤلاء فيما حاز من المقدرة الفائقة في علم الكلام .

وهؤلاء هم حملة مذهب الأشعري من المتقدمين . وإن كان لكل منهم رأى خاص في بعض المسائل ، ولا تجد في كلام هؤلاء مجازاة للحشوية بكلام موهم ، بل هم صرحاء في التنزيه البات ، ولا تجد في كلامهم أيضاً نفى تأثير قدرة العبد ، أو وعد العبد بمجوراً ، أو كون صفات الله بمكنات في ذاتها ، واجبات بالغير . ونحو ذلك مما تجده في كلام الفخر الرازي ومن تابعه من المتأخرين . فلا يصح عد أمثال تلك الآراء من مذهب الأشعري ، بل يجب عزو تلك الآراء إلى مرتبها الخسب ، والنظار المنسوبون إلى مذهب اعتقادي لا يلزم أن يتواردوا على رأى واحد في كل بحث ، بل قد ينفرد بعضهم ببعض آراء غير منقولة في المذهب ، ولا سيما في مذهب الأشعري الذي لا يصحح إيمان المقلد ، وكون هذا المنفرد مصيباً أو مخطئاً بحث آخر . وهذا ماوجب لفت النظر إليه في هذا المقام ، لأنه يوجد من يعدُّ قول الفرع كقول للأصل ، وهذا مما لا يستساغ .

ومن طرائف الأنباء المروية عن الباقلاني أنه كان كثير التطويل في المناظرة مشهوراً بذلك عند الجماعة ؛ وجرى يوماً بينه وبين أبي سعيد الهاروني مناظرة ، فأكثر الباقلاني فيها الكلام ووسع العبارة ، وزاد في الإسهاب ؛ ثم التفت إلى الحاضرين وقال : اشهدوا علي أنه إن أعاد ماقلت لاغير لم أطالبه بالجواب ، فقال الهاروني : اشهدوا علي أنه إن أعاد كلام نفسه ، سلمت له ماقال كما نقله ابن خلكان واليافعي .

وفي هذا القدر كفاية فيما نحن فيه ، فادعوا الله عز وجل أن يكافي الاستاذ الناشر على هذا العمل النافع ، وأن يوفقه وإيانا لكل ما فيه رضاه ، وهو المجيب لمن دعاه في
في ١٧ شعبان المعظم سنة ١٣٦٩ هـ

محمد زاهد الكوثري

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال القاضي الامام السعيد ، سيف السنة ، ولسان الأمة أبو بكر محمد بن الطيب ابن محمد رضى الله عنه .

الحمد لله ذى القدرة والجلال ، والعظمة والكمال ، أحمدته على سوابغ الإنعام وجزيل الثواب ، وأرغب إليه في الصلاة على نبيه محمد المختار وعلى آله الأبرار وصحابته الأخيار والتابعين لهم بإحسان [الى يوم القرار] .

أما بعد : فقد وقفت على ما التمسته الحرة الفاضلة الديانة أحسن الله توفيقها لما تتوخاه من طلب الحق ونصرتة ، وتنكب الباطل وتجنبه ، واعتماد القرية باعتقاد المفروض في أحكام الدين ، واتباع السلف الصالح من المؤمنين من ذكر جمل ما يجب على المكلفين اعتقاده ولا يسع الجهل به ، وما إذا تدين به المرء صار إلى إلزام الحق المفروض ، والسلامة من البدع والباطل المرفوض ، وإنى بحول الله تعالى وعونه ، ومشيتته وطوله أذكر لها جملا مختصرة تأتي على البغية من ذلك ، ويستغنى بالوقوف عليها عن الطلب واشتغال المهمة بما سواه فنقول وبالله التوفيق : أن الواجب على المكلف

١ - أن يعرف بدء الأوائل والمقدمات التي لا يتم له النظر في معرفة الله عز وجل وحقائقه توحيده ، وما هو عليه من صفاته التي بان بها عن خلقه ، وما لأجل حصوله عليها استحق أن يعبد بالطاعة دون عباده . فأول ذلك القول في العلم وأحكامه ومراتبه وأن حده أنه معرفة المعلوم على ما هو به فكل علم معرفة وكل معرفة علم .

(تنبيه) : الكلمات الموجودة بين أقواس أربعة هي من تصحيح استاذنا ومولانا ، الكوثرى

٢ - وأن يعلم أن العلوم تنقسم قسمين . قسم منهما : علم الله سبحانه وهو صفته لذاته وليس بعلم ضرورة ولا استدلال قال الله تعالى : (أنزله بعلمه ٤ - ١٦٥) وقال : (وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه ٣٥ - ١١) وقال : (فاعلموا أنما أنزل بعلم الله ١١ - ١٤) فأثبت العلم لنفسه ، ونص على أنه صفة له في نص كتابه .

والقسم الآخر : علم الخلق . وهو ينقسم قسمين : فقسم منه علم اضطرار ، والآخر علم نظر واستدلال . فالضرورى ما لزم أنفس الخلق لزوما لا يمكنهم دفعه والشك في معلومه نحو العلم بما أدركته الحواس الخمس وما ابتدئ في النفس من الضرورات .

والنظرى . منهما : ما احتسب في حصوله إلى الفكر والروية وكان طريقه النظر والحجة . ومن حكمه جواز الرجوع عنه والشك في متعلقه وجميع العلوم الضرورية تقع للخلق من ستة طرق . فمنها : درك الحواس الخمس وهى : حاسة الرؤية ، وحاسة السمع ، وحاسة الذوق ، وحاسة الشم ، وحاسة اللمس . وكل مدرك بحاسة من هذه الحواس من جسم ، ولون ، وكون ، وكلام ، وصوت ، ورائحة ، وطعم ، وحرارة وبرودة ، ولين . وخشونة ، وصلابة ، ورخاوة فالعلم به يقع ضرورة . والطريق السادس هو العلم المبتدأ في النفس لا عن درك ببعض الحواس وذلك نحو علم الإنسان بوجوده نفسه وما يحدث فيها وينطوى عليها من اللذة ، والألم ، والغم ، والفرح ، والقدرة ، والعجز ، والصحة ، والسقم . والعلم بأن الضدين لا يجتمعان ، وأن الأجسام لا تخلو من الاجتماع والافتراق وكل معلوم بأوائل العقول والعلم بأن الثر لا يكون إلا عن شجر ، أو نخل ، وأن اللبن لا يكون إلا من ضرع وكل ما هو مقتضى العادات وكل ما عدا هذه العلوم وهو علم استدلال لا يحصل إلا عن استئناف الذكر والنظر وتفكر بالنظر والعقل فمن جملة هذه الضرورات العلم بالضرورات الواقعة بأوائل العقول ومقتضى العادات التى لا تشارك ذوى العقول فى علمها البهائم والأطفال والمتنقصون : نحو العلم الواقع بالبديهة ومتضمن كثير من العادات ونحو العلم بأن

الاثنين أكثر من الواحد وأن الضدين لا يجتمعان وامثال ذلك من موجب العادات
وبدائة العقول التي لا يخصص بعلمها العاقلون .

٣ - وأن يعلم أن الاستدلال هو نظر القلب المطلوب به علم ما غاب عن الضرورة
والحس ، وإن الدليل هو ما يمكن أن يتوصل بصحيح النظر فيه إلى معرفة ما لا يعلم
باضطراره وهو على ثلاثة أضرب : عقلي له تعلق بمدلوله نحو دلالة الفعل على فاعله
وما يجب كونه عليه من صفاته نحو حياته . وعلمه ، وقدرته ، وإرادته . وسمعي شرعي
دال من طريق النطق بعد المواضعة ومن جهة معنى مستخرج من النطق ، ولغوي
دال من جهة المواطأة والمواضعة على معاني الكلام ودلالات الأسماء والصفات
وسائر الألفاظ . وقد لحق بهذا الباب دلالات الكتابات والرموز ، والإشارات
والعقود الدالة على مقادير الأعداد وكل ما لا يدل إلا بالمواطأة والاتفاق . والدال
هو ناصب الدليل . فالمدلول هو مانصب له الدليل . والمستدل الناظر في الدليل ،
واستدلاله نظره في الدليل وطلبه به علم ما غاب عنه .

٤ - وإن يعلم أن المعلومات على ضربين معدوم وموجود لاثالث لهما ولا واسطة
بينهما . فالمعدوم : هو المنتفى الذي ليس بشيء . قال الله عز وجل : (وقد خلقتك
من قبل ولم تك شيئاً ١٩ - ٩) . وقال تعالى : (هل أتى على الإنسان حين من
الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً ٧٦ - ١) . فاخبر أن المعدوم منتفى ليس بشيء ،
والموجود هو الشيء الكائن الثابت . وقولنا شيء إثبات ، وقولنا ليس بشيء نفى .
قال الله تعالى : (قل أي شيء أكبر شهادة قل الله ٦ - ١٩) وهو سبحانه موجود
غير معدوم .

وقول أهل اللغة علمت شيئاً ، ورأيت شيئاً ، وسمعت شيئاً إشارة إلى كائن
موجود ، وقولهم : ليس بشيء وهو واقع على نفى المعدوم ، ولو كان المعدوم شيئاً كان
القول ليس بشيء نفياً لا يقع أبداً إلا كذباً وذلك باطل بالاتفاق .

٥ - وإن يعلم أن الموجودات كلها على قسمين . منها : قديم لم يزل وهو الله تعالى ،
وصفات ذاته التي لم يزل موصوفاً بها ولا يزال كذلك . وقولهم : أقدم ، وقديم

موضوع للمبالغة في الوصف بالتقدم . وكذلك أعلم وعليم ، واسمع وسميع .
والقسم الثاني: محدث ، لوجوده أول ، ومعنى المحدث ما لم يكن ثم كان مأخوذ ذلك
من قولهم : حدث بفلان حادث . من مرض ، أو صداع ، وأحدث بدعة في الدين ،
وأحدث روشناً وأحدث في العرصة بناء أى فعل ما لم يكن من قبل موجوداً .
٦ - وأن يعلم أن المحدثات كلها على ثلاثة أقسام : جسم ، وجوهر ، وعرض .
فالجسم في اللغة هو المؤلف المركب يدل على ذلك قولهم : رجل جسيم ، وزيدا جسم من
عمرو وهذا اللفظ من أبنية المبالغة وقد اتفقوا على أن معنى المبالغة في الاسم مأخوذ
من معنى الاسم . يبين ذلك أن قولهم : أضرب إذا أفاد كثرة الضرب كان قولهم :
ضارب مفيداً للضرب ، وكذلك إذا كان قولهم : المؤلف المركب مفيداً لكثرة الاجتماع
والتأليف وجب أن يكون قولهم جسم مفيداً كذلك .
والجوهر الذى له حيز . والحيز هو المكان أو ما يقدر تقدير المكان عن أنه
يوجد فيه غيره .

والعرض هو الذى يعرض في الجوهر ولا يصح بقاؤه وقتين يدل على ذلك قولهم :
عرض لفلان عارض من مرض ، وصداع ، إذا قرب زواله ولم يعتقد دوائه . ومنه
قوله عز وجل : (تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة ٨ - ٦٧) وقوله :
(هذا عارض ممطرنا ٤٦ - ٢٤) فكل شيء قرب عدمه وزواله موصوف بذلك
وهذه صفة المعاني القائمة بالأجسام فوجب وصفها في قضية العقل بأنها أعراض .
٧ - وأن يعلم أن العالم محدث وأنه لا ينفك علويه وسفليه من أن يكون جسماً
مؤلفاً ، أو جوهراً منفرداً ، أو عرضاً محمولاً وهو محدث بأسره . وطريق العلم بحدوث
أجسامه وحدوث أعراضه . والدليل على ثبوت أعراضه تحريك الجسم بعد سكونه
وتفرقه بعد اجتماعه ، وتغير حالاته ، وانتقال صفاته . فلو كان متحركاً لنفسه ، ومتغيراً
لذاته لوجب تركه في حال سكونه وتغيره واستحالة في حال اعتداله ، وفي بطلان
ذلك دليل على إثبات حركته ، وسكونه ، وألوانه ، وأكوانه وغير ذلك من صفاته .
لأنه إذا لم يكن كذلك لنفسه وجب أن يكون لمعنى ما تغير عن حاله واستحال عن وصفه .

والدليل على حدوث هذه الأعراض ماهي عليه من التناقض والتضاد فلو كانت قديمة كلها لكانت لم تزل موجودة ولا تزال كذلك ، ولوجب متى كانت الحركة في الجسم أن يكون السكون فيه ، وذلك يوجب كونه متحركاً في حال سكونه ، وهما في حال حياته ، وفي بطلان ذلك دليل على طروق السكون بعد أن لم يكن وبطلان الحركة عند مجيء السكون والطارىء بعد عدمه ، والمعدوم بعد وجوده محدث باتفاق لأن القديم لا يحدث ولا يعدم ، ولا يبطل .

والدليل على حدوث الأجسام : أنها لم تسبق الحوادث ولم تخل منها لأننا باضطرار نعلم أن الجسم لا ينفك من الألوان ومعاني الألوان من الاجتماع والافتراق وما لا ينفك من المحدثات ولم تسبقه كان محدثاً ، ولأنه إذا لم يسبقه كان موجوداً معه في وقته أو بعده وأى ذلك وجد وجب القضاء على حدوثه وأنه معدوم قبل وجوده .

٨ — وأن يعلم أن للعالم محدثاً أحدثه . والدليل على ذلك وجود الحوادث متقدمة ومتأخرة مع صحة تأخر المتقدم وتقدم المتأخر ، ولا يجوز أن يكون ما تقدم منها وتأخر متقدماً ومتأخراً لنفسه ، لأنه ليس التقدم بصحة تقدمه أولى من التأخر بصحة تأخره فوجب أن يدل على فاعل فعله وصرفه في الوجود على إرادته وجعله مقصوراً على مشيئته يقدم منها ما شاء ويؤخر ما شاء . قال الله تعالى : (فعال لما يريد ١١ - ١٠٧ و ٨٥ - ١٦) وقال : (إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون ١٦ - ٤٠) ويدل على علمنا بتعلق الفعل بالفاعل في كونه فعلاً كتعلق الفاعل في كونه فاعلاً بالفعل فإن تعلق الكتابة ، والصناعة بالمكاتب والصانع كتعلق الكاتب في كونه كاتباً بالكتابة . فلو جاز وجود فعل لا من فاعل ، وكتابة لا من كاتب وصورة وبنية محدثة لا من مصور لجاز وجود كاتب لا كتابة له ، وصانع لا صنعة له فلما استحال ذلك وجب أن يكون اقتضاء الفعل للفاعل ودلالته عليه كإقتضاء الفاعل في كونه فاعلاً لوجود الفعل وحصوله منه ، ومن صفات هذا الصانع تعالى أنه : موجود ، قديم ، واحد ، أحد ، حي ، عالم ، قادر ، مرید ، متكلم ، سميع

بصير باق^(١) (ليس كمثل شئ وهو السميع البصير ٤٢ - ١١) وسيدل على ذلك فيما بعد إن شاء الله بعد البداية بفرائض المكلفين ، وشرائع المسلمين مما يقرب فهمه ولا ينبغي جهله ، ولا بد للمكلف من علمه والعمل [به] فإذا أتينا على هذه الجملة رجعنا إلى القول في التوحيد وإثبات أسماء الله تعالى وصفاته وذكر ما يجوز عليه وما يستحيل في صفته وما توفيقى إلا بالله .

٩- وأن يعلم أن أول نعم الله تعالى على خلقه الخى الإدراك خَلْقَهُ فيهم إدراك اللذات ، وسلامة الحواس ، ونيل ما ينتفعون به من الشهوات التي تميل إليها طبايعهم ، وتصلح عليها أجسامهم ، ولو أحياءهم ، وآلمهم ومنعهم إدراك اللذات لكانوا مستغربين بالآلام وبمثابة الأحياء المعذبين من أهل النار وهذه نعمة الله سبحانه على جميع الحيوان الحاس العاقل منهم والناقص ، والمؤمن والكافر .

١٠- وأن يعلم أن أفضل وأعظم نعمة الله على خلقه الطائعين وعباده المؤمنين خلقه الايمان في قلوبهم واجراؤه على ألسنتهم وتوفيقهم لفعله وتمكينهم بالتمسك به . وخلق الايمان والتوفيق له نعمة خص الله تعالى بها المؤمنين دون الكافرين ولذلك قال عز وجل : (فلولوا فضل الله عليكم ورحمته لستكم من الخاسرين ٢ - ٦٤) (ولولا فضل الله عليكم ورحمته لا تبعتم الشيطان إلا قليلا ٤ - ٨٢) (ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا ٢٤ - ٢١) وقال عز وجل : (وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ٣ - ١٠٣) وقال تعالى : (بل الله يمن عليكم أن هذا لكم للايمان ان كنتم صادقين ٤٩ - ١٧) فلو كانت هذه النعمة له على الكافرين لم يكن لتخصيصه بها المؤمنين وامتنانه على المؤمنين وجه إذ كان قد أنعم بها على المردة والكفرة الضالين .

(١) والبقاء ليس صفة حقيقية عند الباقلاني بل هو دوام الوجود (ز)

١١ - وأن يعلم أن طرق المبين عن الأدلة التي يدرك بها الحق والباطل خمسة أوجه : (١) كتاب الله عز وجل و (٢) سنة رسوله صلى الله عليه وسلم و (٣) إجماع الأمة و (٤) ما استخرج من هذه النصوص وبني عليها بطريق القياس والاجتهاد و (٥) حجج العقول. قال الله تعالى أمر آتباع كتابه والرجوع إلى بيانه : (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ٤٧ - ٢٤) . وقال عز وجل : (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ٤ - ٨٢) . وقال تعالى : (إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ١٧ - ٩) . وقال سبحانه : (تبياناً لكل شيء ١٦ - ٨٩) و (ما فرطنا في الكتاب من شيء ٦ - ٣٨) وقال عز وجل في الأمر باتباع رسوله صلى الله عليه وسلم : (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ٥٩ - ٧) وقال : (وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ٥٣ - ٣ و ٤) . وقال : (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ٢٤ - ٦٣) وقال سبحانه في وصف عدالة أمة نبيه صلى الله عليه وسلم والأمر باتباعها ، والتحذير من مخالفتها : (وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتسكنوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً ٢ - ١٤٣) وقال : (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ٣ - ١١٠) وقال : (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين يولج الله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً ٤ - ١١٥) وقال في الأمر بالقياس والحكم بالنظائر والأمثال : (فاعتبروا يا أولى الأبصار ٥٩ - ٢) وقال : (ولوردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ٤ - ٨٣) . وقال النبي صلى الله عليه وسلم لقاضيه معاذ بن جبل رضي الله عنه حين انقذه إلى اليمن لإقامة الحدود واستيفاء الحقوق : دعهم تحكم ؟ قال : بكتاب الله عز وجل . قال : فإن لم تجد ؟ قال : بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : فإن لم تجد ؟ قال : اجتهد رأيي واحكم . فقال : الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضى الله ورسوله . فاقره على الحكم والاجتهاد وجعله أحد طرق الأحكام وقال عز وجل في الأمر باتباع حجة العقل : (وفي أنفسكم أفلا تبصرون ٥١ - ٢١) وقال : (أفرأيتم ما تمنون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون ٥٦ - ٥٩)

وقال : (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار آيات لآولي
الالباب ٣ - ١٩٠) وقال : (وضرب لنا مثلاً ونسى خلقه قال من يحيي العظام وهي
رميم ؟ قل يحييها الذي انشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم ٣٦-٧٨-٧٩) . وقال
تعالى : (وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه ٣٠ و٢٧) فأمرنا بالاعتبار
والاستبصار ورد الشيء إلى مثله أو الحكم له بحسب نظيره وهذا هو الحكم بالمعقول
والتقاضي إلى أدلة العقول .

١٢ — وإن يعلم أن فرائض الدين وشرائع المسلمين ، وجميع فرائض المسلمين
وسائر المكلفين على ثلاثة أقسام . فقسم منها : يلزم جميع الأعيان وكل من بلغ
الحلم وهو : الإيمان بالله عز وجل والتصديق له ، ولرسله ، وكتبه وما جاء من عنده
والعبادات على كل مكلف بعينه من نحو الصلاة ، والصيام وما سنده ورفعه فيما
بعد أن شاء الله . والقسم الثاني : واجب على العلماء دون العامة وهو القيام بالفتيا
في أحكام الدين والاجتهاد ، والبحث عن طرق الأحكام ومعرفة الحلال والحرام
وهذا فرض على الكفاية دون الأعيان فإذا قام به البعض سقط عن باقي الأمة ،
وكذلك القول في حفظ جميع القرآن وما تنفذ به الأحكام من سنن الرسول عليه
السلام وغسل الميت ، ومواراته ، والصلاة عليه ، والجهاد ، ودفع العدو ، وحماية
البيضة وما جرى مجرى ذلك مما هو فرض على الكفاية فإذا قام به البعض سقط
عن باقي الأمة . والقسم الثالث : من الواجبات من فرائض السلطان دون سائر
الرعية نحو إقامة الحدود ، واستيفاء الحقوق ، وقبض الصدقات ، وتولية الأمراء ،
والقضاة ، والسعاة ، والفصل بين المتخاصمين وهذا وما يتصل به من فرائض الإمام
وخلفائه على هذه الأعمال دون سائر الرعية والعوام ، وليس في فرائض الدين
ما يخرج عما وصفناه ويزيد على ما قلناه .

١٣ - وان يعلم أن أول ما فرض الله عز وجل على جميع العباد النظر في آياته والاعتبار بمقدوراته والاستدلال عليه بآثار قدرته وشواهد ربوبيته لانه سبحانه غير معلوم باضطرار ولا مشاهد بالحواس وانما يعلم وجوده وكونه على ما تقتضيه أفعاله بالادلة القاهرة والبراهين الباهرة . والثاني : من فرائض الله عز وجل على جميع العباد الايمان به والاقرار بكتبه ورسله وما جاء من عنده والتصديق بجميع ذلك بالقلب والاقرار به باللسان .

١٤ - وأن يعلم أن الايمان بالله عز وجل هو التصديق بالقلب بانه الله الواحد الفرد ، الصمد ، القديم ، الخالق ، العليم الذي (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ٤٢-١١) . والدليل على ان الايمان هو الاقرار بالقلب والتصديق قوله عز وجل : (وما انت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين ١٢-١٧) يريد بمصدق لنا . ومنه قوله عز وجل : (ذلكم بانه اذا دعى الله وحده كفرتم وإن يشرک به تؤمنوا ٤-١٢) أى تصدقوا . ويقال فلان يؤمن بالله وبالبعث أى يصدق بذلك . وكذلك قولهم : فلان يؤمن بالشفاعة والقدر ، وفلان لا يؤمن بذلك يعنى به التصديق ، وبنفى الايمان به التكذيب . وقد اتفق أهل اللغة قبل نزول القرآن وبعث الرسول عليه السلام على أن الايمان فى اللغة هو التصديق دون سائر افعال الجوارح والقلوب .

والايمان بالله تعالى يتضمن التوحيد له سبحانه ، والوصف له بصفاته ، ونفى النقائص عنه الدالة على حدوث من جازت عليه ،

والتوحيد له هو الاقرار بأنه ثابت موجود ، وإله واحد فرد معبود ليس كمثله شيء على ما قرر به قوله تعالى : (والهكم إله واحد لا إله الا هو الرحمن الرحيم ٢ - ١٦٣) وقوله : (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ٤٢ - ١١) وانه الأول قبل جميع المحدثات ، الباقي بعد فناء المخلوقات على ما أخبر به تعالى من قوله : (هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم - ٥٧ - ٣) والعالم الذى لا يخفى عليه شيء ، والقادر على اختراع كل

مفصّوع ، وابداع كل جنس مفعول على ما أخبر به في قوله تعالى : (خالق كل شيء
 ٦- ١٠٢- ٩- ١٣- ١٨) (وهو على كل شيء قدير ١١- ٤) وانه الحي الذي
 لا يموت ، والدائم الذي لا يزول وانه إله كل مخلوق ، ومبدعه ، ومنشئه ، ومخترعه
 وانه لم يزل [مسمياً] لنفسه [بأ]سمائه وواصفاً لها بصفاته قبل إيجاد خلقه ، وانه قديم
 باسمائه وصفات ذاته التي منها الحياة التي بها بان من الموت والأموات ، والقدرة التي
 ابداع بها الأجناس والذوات ، والعلم الذي أحكم به جميع المصنوعات واحاط بجميع
 المعلومات ، والارادة التي صرف بها أصناف المخلوقات . والسمع والبصر اللذان
 أدرك بهما جميع المسموعات والمبصرات ، والكلام الذي به فارق الخرس والسكرات
 وذوى الآفات ، والبقاء الذي به سبق المكنونات ويبقى به بعد جميع الفانيات كما أخبر
 سبحانه في قوله : (والله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه
 ٧- ١٨٠) وقوله تعالى : (انزله بعلمه ٤- ١٦٥) (وما تحمل من أنثى ولا تضع
 إلا بعلمه ٣٥- ١١) وقوله : (أولم يروا أن الله الذي خلقهم اشد منهم قوة
 ٤١- ١٥) وقوله : (ذو القوه المتين ٥١- ٥٨) فنص تعالى على اثبات
 أسمائه وصفات ذاته ، وأخبر انه ذو الوجه الباقي بعد تقضى الماضيات كما قال عز وجل
 (كل شيء هالك إلا وجهه ٢٨- ٨٨) وقال : (ويبقى وجه ربك ذو الجلال
 والإكرام ٥٥- ٢٧) واليدن اللتين نطق باثباتهما له القرآن في قوله عز وجل :
 (بل يده مبسوطتان ٥- ٦٤) وقوله : (ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي
 ٣٨- ٧٥) وأنهما ليستا بجارحتين ولا ذوى صورة وهيئة ، والعينين^(١) اللتين
 أفصح باثباتهما من صفاته القرآن وتواترت بذلك أخبار الرسول عليه السلام فقال
 عز وجل : (ولتصنع على عيني ٢٠- ٣٩) و (تجري باعيننا ٥٤- ١٤) وأن

(١) وتثنية العين لم ترد في الكتاب ، وحديث الدجال ليس فيه إلا نفي النقص
 من الله سبحانه لا إثبات العينين له مع كونه خبر آحاد فيتعين الاختصار على ما ورد
 في الكتاب وهو ما في الآيتين وإلا يكون في الأمر فتح باب التشبيه (ز)

عينه ليست بحاسة من الحواس ، ولا تشبه الجوارح والأجناس وانه سبحانه لم يزل مريداً وشائئياً ، ومحباً ، ومبغضاً ، وراضياً ، وساخطاً ، وموالياً ، ومعادياً ، ورحيماً ورحماناً . ولأن جميع هذه الصفات راجعة إلى إرادته في عبادته ومشيئته لا إلى غضب بغيره ، ورضى يسكنه طبعاً له وحق وغيظ يلهقه وحق يجره إذ كان سبحانه متعالياً عن الميل والنفور ، وانه سبحانه راض في أزله عن علم انه بالإيمان يختم عمله ويوافي به . وغضبان على من علم أنه بالكفر يختم عمله ويكون عاقبة أمره وقد قال تعالى : (فعال لما يريد ١١ - ١٠٧ و ٨٥ - ١٦) و (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ٢ - ١٨٥) وقال : (إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون ١٦ - ٤٠) وقال : (رضى الله عنهم ورضوا عنه ٩ - ١٠٠ و ٥٨ - ٢٢ و ٥٨ - ٨) (وما تشاؤون إلا أن يشاء الله - ٧٦ - ٣٠) في أمثال هذه الآيات الدالة على أنه شاء مريد وأن الله جل ثناؤه مستولٍ عن العرش ، ومستول على جميع خلقه كما قال تعالى : (الرحمن على العرش استوى ٢٠ - ٥) بغير إماسة وكيفية ولا مجاورة وانه في السماء إله وفي الأرض إله كما أخبر بذلك .

وانه سبحانه يتجلى لعباده المؤمنين في المعاد فيرونه بالآبصار على ما نطق به القرآن في قوله : (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ٧٥ - ٢٢ و ٢٣) وتأكيده كذلك بقوله في الكافرين : (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون - ٨٣ - ١٥) تخصيصاً منه برؤيته للمؤمنين والفرقة فيما بينهم وبين الكافرين وعلى ما وردت به السنن الصحيحة في ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أخبر به عن موسى عليه السلام في قوله : (رب أرني أنظر إليك ٧ - ١٤٣) ولولا علمه بجواز الرؤية بالآبصار لما أقدم على هذا السؤال .

١٥ - وأن يعلم مع كونه تعالى سميعاً بصيراً أنه مدرك لجميع المدركات التي يدركها الخلق من الطعوم ، والروائح ، واللين ، والخشونة ، والحرارة ، والبرودة بإدراك معين وانه مع ذلك ليس بذى جوارح وحواس توجد بها هذه الإدراكات . فتعالى [الله] عن التصوير والجوارح ، والآلات .

١٦ - وأن يعلم أنه مع إدراك سائر الأجناس [من] المدركات وجميع الموجودات غير ملتذ ولا المبادراك شيء منها ولا مشقة [له منها] ولا نافر عنها ولا منتفع بادرأكها [ولا متضرر] بها ، ولا يجانس شيئاً منها ولا يضادها وإن كان مخالفاً لها .
١٧ - وأن يعلم أنه سبحانه ليس بمغاير لصفات ذاته وأنما في أنفسها غير متغيرات إذ كان حقيقة الغيرين ما يجوز مفارقة أحدهما الآخر بالزمان ، والمكان ، والوجود والعدم . وأنه سبحانه يتعالى عن المفارقة لصفات ذاته وأن توجد الواحدة منها مع عدم الأخرى .

١٨ - وأن يعلم أن صفات ذاته [هي التي] لم تنزل ولا يزال موصوفاً بها وأن صفات أفعاله هي التي سبقها وكان تعالى وجوداً في الأزل قبلها . ونعتقد أن مشيئة الله تعالى ومحبه ورضاه ورحمته وكرهه وغضبه وسخطه وولايته وعدواته [كلها] راجع إلى إرادته وأن الإرادة صفة لذاته غير مخلوقة لأعلى ما يقوله القدرية ، وأنه مريد بها لكل حادث في سمائه وأرضه مما يتفرد سبحانه بالقدرة على إيجاده وما يجعله منه كسباً لعباده من خير ، وشر ، ونفع ، وضر ، وهدى ، وضلال ، وطاعة ، وعصيان لا يخرج حادث عن مشيئته . ولا يكون إلا بقضائه وأردته .

١٩ - وأن يعلم أن كلام الله تعالى صفة لذاته لم يزل ولا يزال موصوفاً به وأنه قائم به ومختص بذاته ولا يصح وجوده بغيره وإن كان محفوظاً بالقلوب ومتلواً بالأسن ومكتوباً في المصاحف ، ومقروءاً في المحاريب على الحقيقة لا على المجاز (١) وغير حال في شيء من ذلك وأنه لو حل في غيره لسكان ذلك الغير تتكلم به وأمرأ وناهيأ

(١) لأن القرآن يطلق على ما قام بالله من الألفاظ العلمية الغيبية — وهو غير مخلوق وغير حال في مخلوق — وعلى المكتوب بين الدفتين وعلى المحفوظ في القلوب من الألفاظ الذهنية ، وعلى الملقوظ بالأسن على سبيل الاشتراك اللفظي عنده والقرنية هي التي تعين المراد منها في كل موضع وما سوى الأول مخلوق وهذا البحث أنضج عند الآخرين من أئمة الأشاعرة ، والتحقيق أن وصف القرآن بما سوى الأول وصف للمدلول بصفة الدال كما في شرح المقاصد (ز) .

ومخبراً وقائلاً: (انني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدوني ٢٠ - ١٥) وذلك خلاف دين المسلمين وان كلامه سبحانه لا يجوز أن يكون جسماً من الأجسام ولا جوهرآ ، ولا عرضاً ، وانه لو كان كذلك لكان من جنس كلام البشر ومحدثاً كقول تعالى الله سبحانه أن يتكلم بكلام المخلوقين .

٢٠ — و[أن] بعلم أن كلامه مسموع بالآذان وان كان مخالفاً لسائر اللغات وجميع الأصوات وأنه ليس من جنس المسموعات كما أنه [مرئى] بالابصار وان كان مخالفاً لأجناس المراتيات ، وكما أنه موجود مخالف لسائر الحوادث الموجودات وان سامع كلامه منه تعالى بغير واسطة ولا ترجمان كجبريل ، وموسى ، ومحمد عليهم السلام حق سمعه من ذاته غير متلو ولا مقروء ومن عداهم من يتولى الله خطابه بنفسه انما يسمع كلامه متلوأ ومقروءأ وكذلك قال الله عز وجل : (وكلم الله موسى تكليماً ٤ - ١٦٤) وقال : (منهم من كلم الله ٢ - ٢٥٣) وان قراءتنا القرآن كسب لنا ثواب عليه ونلام على تركها اذ وجبت علينا في الصلوات ، وأنه لا يجوز أن يحكى كلام الله عز وجل ولا أن يلفظ به ^(١) لأن حكاية الشيء مثله وما يقاربه وكلام الله تعالى لا مثل له من كلام البشر ، ولا يجوز أن يلفظ به بتكلم الخلق لأن ذلك يوجب كون كلام الله تعالى قائماً بذاتين قديم ومحدث وذلك خلاف الاجماع والمعقول . وان كلام الله تعالى غير متبعص ولا متغاير وان الصفة هي ما قامت بالشيء . وان الوصف قول الواصف الدال على الصفة خلاف ما يذهب إليه القدرية . وانه مقدر لأرزاق جميع الخلق ، وموقت لأجلهم ، وخالق لأفعالهم ، وقادر على مقدوراتهم وإله ورب لها . لا خالق غيره ، ولا رازق سواه كما أخبر تعالى

(١) يعنى لا يجوز أن يقال حكى كلام الله أو لفظ به في صدد الإفادة عن قراءته وتلاوته ، لأن الحكاية توهم المحاكاة وفيها شائبة المماثلة وهو سبحانه منزه عنها ، وكذا اللفظ والتكلم بكلام الله لإيهام ذلك المشاركة ، تعالى الله عن ذلك ، على ان تلك العبارات مما لم يرد إذن من الشارع في إطلاقها على كلام الله (ز)

في قوله : (الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم ٣٠ - ٤٠) وقال تعالى (فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ٧ - ٣٤) وقال : (هل من خالق غير الله ٣٥ - ٣) ، وقال : (والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون ١٦ - ٢٠) وان بيده الخير ، والشر ، والنفع ، والضرر وانه مقدر جميع الأفعال لا يكون حادث إلا بإرادته ، ولا يخرج مخلوق عن مشيئته ما شاء كان وما لم يشاء لم يكن .

وانه فعال لما يريد ، وانه يهدى من يشاء ويضل من يشاء ، لا هادى لمن أضله ولا مضل لمن هده كما قال : (من يهدى الله فهو المهتدى) (من يضل^{الله} فلا هادى له) (٧ - ٧٨ و ١٨٦) .

وانه موفق أهل محبته وولايته لطاعته ، وخاذل لأهل معصيته فذل ذلك كله [على] تدبيره وحكمته وانه عادل [فى] خلقه بجميع ما يبتليهم به ويقضيه عليهم من خير ، وشر ، ونفع ، وضر ، وغنى ، وفقر ، ولذة ، وألم ، وصحة ، وسقم ، وهداية ، وضلال : (لا يستل عما يفعل وهم يسئلون ٢١ - ٢٣) (قل فله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين ٦ - ١٤٩) .

وانه سبحانه يعيد العباد ، ويحيى الأموات ، وأنه يقصد يوم القيامة لفصل القضاء ، ويحيى الملائكة صفاء صفاء ، و[يمد] الصراط ، ويزن الأعمال ، وانه سبحانه قد خلق الجنة والنار وما لا يأتى الواجب إلا بفعله صار واجبا كالطهارة مع الصلاة والقراءة فى الصلاة ، وامساك جزء من الليل فى الصيام ، وادخال جزء من الرأس فى غسل الوجه إلى غير ذلك مما لا يمكن تحصيل الواجب إلا به صار واجبا .

مسألة : وإذا صح وجوب النظر فالواجب على المكلف النظر والتفكر

فى مخلوقات الله لا فى ذات الله والدليل عليه قوله تعالى : (ويتفكرون فى خلق

السموات والأرض ٣ - ١٩١) ولم يقل في الخالق ، وأيضاً قوله تعالى : (أفلا ينظرون إلى الأبل كيف خلقت ٨٨ - ١٧) فالنظر ، والتفكر ، والتكليف يكون في المخلوقات لا في الخالق ، وأيضاً قوله صلى الله عليه وسلم : « تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله (١) » . وأيضاً قوله عليه السلام : « مثل الناظر في [قدر (٢)] الله كالناظر في عين الشمس فهما أراد نظراً ازداد حيرة » . وأيضاً فان موسى عليه السلام لما سأله اللعين فرعون عن ذات الله أجابه بان مصنوعات تدل على انه إله ورب قادر لا إله سواه إذا نظر فيها وتأمل ولم يحدد له الذات فلا يكتفيها لأنه لما قال له : (وما رب العالمين ٢٦ - ٢٣) قال : (رب السموات والأرض وما بينهما ٢٦ - ٢٤) إلى أن كرر عليه السؤال وأجابه بمثل الأول إلى آخر الآيات (٢٦ - ٢٥ و ٢٨) كلها فهما سأله عن الذات اجابه بالنظر في المصنوعات التي تدل على معرفته .

وقيل سئل بعض اهل التحقيق عن الله عز وجل ما هو ؟ فقال : اله واحد . فقليل له كيف هو ؟ فقال : ملك قادر ، فقليل له اين هو ؟ فقال : بالمرصاد . فقال السائل ليس عن هذا أسألك ؟ فقال : الذي أجبتك به هو صفة الحق فأما غيره فصفة الخلق . واراد بذلك ان يسأله عن التكليف ، والتحديد ، والتمثيل وذلك صفة المخلوق لا صفة الخالق ، ولأن المتفكر اذا تفكر في خلق السموات والأرض وخلق نفسه وعجائب صنع ربه اداه ذلك الى صريح التوحيد لأنه يعلم بذلك أنه لا بد لهذه المصنوعات من صانع ، قادر ، عليم ، حكيم (ليس كمثل شيء وهو السميع البصير ٤٢ - ١١)

- (١) أخرجه أبو نعيم في الحلية واللائلكاني في شرح السنة بالفاظ متقاربة في المعنى (ز)
 (٢) هكذا في الأثر ولم نجد مرفوعاً فإذا كان النظر في قدر الله موجباً للحيرة فبالحرى كون النظر في الله موجباً للحيرة ممنوعاً (ز)

مسألة : ويجب أن يعلم أن العالم محدث وهو عبارة عن كل موجود سوى الله تعالى والدليل على حدوثه تغيره من حال إلى حال ، ومن صفة إلى صفة وما كان هذا سيده ووصفه كان محدثاً وقد بين نبينا صلى الله عليه وسلم هذا باحسن بيان يتضمن أن جميع الموجودات سوى الله محدثة مخلوقة لما قالوا له يا رسول الله : اخبرنا عن بدء هذا الأمر ؟ فقال : نعم . كان الله تعالى ولم يكن شيء ، ثم خلق الله الأشياء ، فثبت أن كل موجود سواء محدث مخلوق . وكذلك الخليل عليه السلام إنما استدل على حدوث الموجودات بتغيرها وانتقالها من حالة إلى حالة لأنه لما رأى السكوكب قال هذا ربى إلى آخر الآيات (٦ - ٧٦ - ٧٩) فعلم أن هذه لما تغيرت وتنقلت من حال إلى حال دلت [على أنها] محدثة مفطورة مخلوقة وإن لها خالقاً فقال عند ذلك (وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض ٦ - ٧٩) .

مسألة : وإذا صح حدوث العالم فلا بد له من محدث أحدثه ومصوره صورته والدليل على ذلك أن الكتابة لا بد لها من كاتب كتبها ، والصورة لا بد لها من مصور صورها ، والبناء لا بد له من بان بناه فلانا لانشك في جهل من أخبرنا بكتابة حصلت بنفسها لامن كاتب ، وصناعة لامن صانع ، وحياكة لامن ناسج . وإذا صح هذا وجب أن تسكون صور العالم وحركات الفلك متعلقة بصانع صنعها ، ومحدث أحدثها إذ كانت ألطف وأعجب صنعاً من سائر ما يتعذر وجوده إلا من صانع .

دليل ثان : ويدل على ذلك أيضاً علمنا بتقدم الحوادث بعضها على بعض وتأخر بعضها عن بعض مع علمنا بتجانسها وتشاكلها فلا يجوز أن يكون المتقدم منها متقدماً لنفسه لأنه لو تقدم لنفسه لوجب تقديم كل ما هو من جنسه ، معه وكذلك المتأخر منها لو تأخر لنفسه وجنسه لم يكن المتقدم منها بالتقدم أولى منه بالتأخر ، وفي علمنا بان المتقدم من المتماثلات بالتقدم أولى منه بالتأخر دليل على أن له مقدماً قدمه ، وعاجلاً عجله في الوجود مقصوراً على مشيئته

ويدل على صحة ذلك أيضاً علمنا بان الصور الموجودة منها ما هو مربع ومنها ما هو

مدور ، ومنها شخص أطول من شخص وآخر اعرض من آخر مع تجانسها ولا يجوز أن يكون المربع منها ربع نفسه ، ولا المطول منها طول نفسه ، ولا القبيح منها قبيح نفسه ، ولا الحسن منها حسن نفسه فلم يبق إلا أن لها مصوراً صورها طويلاً ، وقصيرة ، وقبيحة ، وحسنة على حسب إرادته ومشيئته .

ويدل على صحة ما ذكرناه أن الموجودات لا يجوز أن تكون فاعلة لنفسها انا وجدنا منها الموات والأعراض أعني الجمادات التي لا حياة فيها لا يجوز أن تكون فاعلة لنفسها ولا غيرها لأن من شرط الفاعل أن يكون حياً ، قادراً ، فيبطل كونها محدثة لنفسها بل لها محدث أحدثها .

ويدل على صحة ذلك أيضاً انا وجدنا أنفس الموجودات في العالم الحي القادر العاقل المحصل وهو الأدمي ثم اكمل ما تكون . تعلم وتحقق أنه كان في ابتداء امره نقطة ميتة لا حياة فيها ولا قدرة ثم نقل إلى العلقة ثم إلى المضغة ، ثم من حال إلى حال ثم بعد خروجه حياً من الاحشاء إلى الدنيا . تعلم وتحقق أنه كان في تلك الحالة جاهلاً بنفسه وتكليفه ، وتركيبه ، ثم بعد كمال عقله وتصوره وحذقه وفهمه لا يقدر في حال كماله أن يحدث في بدنه شعرة ولا شيئاً ، ولا عرفاً فكيف يكون محدثاً لنفسه ومنقلاً (١) لها في حال نقصه من صورة إلى صورة ومن حالة [إلى حالة] . وإذا بطل ذلك منه في حال كماله كان أولى أن يبطل ذلك منه في حال نقصه ولم يبق إلا أن له محدثاً أحدثه ومصوراً صورته ومُنقلاً نقله وهو الله سبحانه وتعالى .

مسألة : وإذا ثبت أن للعالم صانعاً صنعه ، ومحدثاً أحدثه فيجب أن يعلم أنه لا يجوز أن يكون مشبهاً للعالم المصنوع المحدث لأنه لو جاز ذلك لم يخل اما أن يشبهه في الجنس أو في صورة ولا يجوز أن يكون مشبهاً له في الجنس لأنه لو أشبهه في الجنس لجاز أن يكون محدثاً كالعالم المحدث أو يكون العالم قديماً كـهـ . لأن حقيقة

(١) هكذا في الأصل وهو بصيغة اسم الفاعل من التفعيل أى ناقلها ومصلحها من حال إلى حال (ز)

المشتبهين المتجانسين ماسد أحدهما مسد الآخر وناب منابه ، وجاز عليه مايجوز عليه ولا يجوز أن يكون يشبه العالم في الصورة لأن حقيقة الصورة هي الجسم المؤلف والتأليف لا يكون إلا من شيئين فصاعداً ، ولأنه لو كان صورة لا تحتاج إلى مصور صوره لأن الصورة لا تكون إلا من مصور على ما قدمنا بيانه وقد بين ذلك تعالى بأحسن بيان فقال تعالى : (أفمن يخلق كمن لا يخلق ١٦ - ١٧) وقد سئل بعض أهل التحقيق عن التوحيد ما هو؟ فقال : هو ان تعلم أنه باينهم بقدمه كما باينوه بحدوثهم .

وقال الجنيد رضى الله عنه : التوحيد افراز القدم عن الحدوث فأحكموا أصول العقائد بواضح الدليل ولا يح الشواهد .

وقال أبو محمد الحريري رضى الله عنه : من لم يقف على علم التوحيد يشاهده من شواهد زلت به قدم الغرور في مهواة التلف .

وقال الجنيد : أول ما يحتاج إليه المكلف من عقد الحكمة أن يعرف الصانع من المصنوع فيعرف صفة الخالق من المخلوق ، وصفة القديم من المحدث .

وسئل أبو بكر الزاهد رضى الله عنه عن المعرفة ما هي ؟ فقال : المعرفة اسم ومعناه : وجود تعظيم في القلب يمنعك عن التعطيل والتشبيه .

وقيل لأبي الحسن البوشنجي ما التوحيد فقال : ان تعلم انه غير مشبه بالذوات ولا بنفى الصفات .

مسألة : وإذا ثبت ان صانع الموجودات ومحدثها لايجوز أن يكون يشبهها فيجب ان تعلم ان محدث العالم قديم ، أزلي لا أول لوجوده ولا آخر لدوامه . والدليل على صحة ذلك انه لو لم يكن قديماً كما ذكرنا لكان محدثاً ، ولو كان محدثاً لا يحتاج إلى محدث أحدثه لأن غيره من الحوادث إنما احتاجت إلى محدث لأنها محدثة . ولو كان ذلك كذلك لا يحتاج كل محدث إلى محدث آخر إلى ما لا نهاية له ولا غاية ولما بطل ذلك صح كونه قديماً أزلياً . ويمثل هذا الدليل يستدل على بطلان قول من زعم من أهل

الدهر أن الحوادث لا أول لوجودها فافهمه ترشد أن شاء الله تعالى .

مسألة : ويجب أن يعلم أن صانع العالم جعلت قدرته واحد أحد ومعنى ذلك أنه ليس معه إله سواه ولا من يستحق العبادة إلا إياه ولا نريد بذلك أنه واحد من [جهة العدد] ، وكذلك قولنا أحد ، وفرد وجود ذلك إنما نريد به أنه لا شبيه له ولا نظير ، ونريد بذلك أن ليس معه من يستحق الألوهية سواه ، وقد قال تعالى : (إنما الله إله واحد ٤ - ١٧١) ومعناه لا إله إلا الله .

والدليل على أن صانع العالم على ما قررناه قوله تعالى : (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ٢١ - ٢٢) والدليل المعقول مستنبط من هذا النص المنقول فإنا نرى الأمور تجري على نمط واحد في السموات والأرض وما فيهما من شمس وقمر وغير ذلك . ولو كانا اثنين أو أكثر فلا بد أن يجرى خلاف أو تغير من أحدهما على الآخر وقد بينه سبحانه وتعالى فقال : (قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذ لا بتغوا إلى ذي العرش سيديلا ١٧ - ٤٢) سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً .

وأيضاً فلو جاز أن يكونا اثنين أو أكثر فيريد أحدهما شيئاً ويريد الآخر ضده فلا يخلو أن يتم مرادهما أو يتم مراد أحدهما دون الآخر ، ولا يجوز أن يتم مرادهما لأن في إتمام مراد أحدهما عجز الآخر لأنه ثم ما لا يريد وفي ذلك تعجز كل واحد منهما لأنه ثم ما لا يريده ، أو لا يتم مراد واحد منهما فقد ثبت عجزهما أيضاً . ومن يكون عاجزاً فليس بالآله ، أو يتم مراد أحدهما دون الآخر فالذي يتم مراده هو الآله والذي لم يتم عاجز ليس بالآله فلم يكن إلا إله واحد كما ذكرنا .

فإن قيل فيجوز أن لا يختلفا في الإرادة . قلنا : هذا القول يؤدي إلى أحد أمرين إما أن يكون ذلك لقول أحدهما للآخر لا تر [د] إلا ما أريد فيصير أحدهما أمراً والآخر مأموراً والمأمور لا يكون إلهاً والأمر على الحقيقة هو الإله ، أو يكون كل واحد منهما لا يقدر أن يريد إلا ما اراده الآخر ولو كان كذلك دل على عجزهما إذ لم

يتم مراد واحد منهما إلا بإرادة الآخر معه . وإذا ثبت هذا بطل ان يكون الإله إلا واحداً على ما قررناه :

مسألة : ويجب ان يعلم ان البارى جلّت قدرته حى . وهذه المسألة اول مسائل قول الشيخ ^(١) موصوف بما وصف به نفسه فى كتابه ، وعلى لسان نبيه فنقول البارى يوصف بالحياة .

والدليل عليه قوله تعالى : (الحى القيوم ٢ - ٢٥٥ و ٣ - ٢) وقوله تعالى : (وتوكل على الحى الذى لا يموت ٢٥ - ٥٨) . وايضا فان الفعل يستحيل وجوده من الموات الذى لا حياة له والله تعالى فاعل الأشياء ومنشئها فوجب ان يكون حياً .

مسألة : ويجب ان يعلم انه تعالى قادر على جميع المقدورات .
والدليل عليه قوله تعالى : (وهو على كل شىء قدير ٥ - ١٢٠) ولأنا نعلم قطعاً استحالة صدور الأفعال من عاجز لا قدرة له ولما ثبت انه فاعل الأشياء . ثبت انه قادر .

مسألة : ويجب ان يعلم انه تعالى عالم بجميع المعلومات .
والدليل عليه قوله تعالى : (انزل به علمه ٤ - ١٦٥) وقوله تعالى : (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ٢٠ - ١١٠) وقوله تعالى : (يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ٤٠ - ١٩) . وقوله تعالى : (ويعلم ما فى السموات وما فى الأرض ٣ - ٢٩) وقوله تعالى : (فاعلموا انما انزل بعلم الله ١١ - ١٤) إلى غير ذلك من الآيات التى لا تحصى ، وأيضاً فيدل على انه عالم صدور الأفعال الحكيمة المتقنة الواقعة على أحسن ترتيب ونظام وإحكام واتقان وذلك لا يحصل إلا من عالم بها ، ومن جوز

(١) أى أبا الحسن الأشعرى ، وقوله هذا تتفرع عنه مسائل كما بسط المؤلف (ز)

صدور خط معلوم منظوم مرتب من غير عالم بالخط كان عن المعقول خارجاً ، وفي عمل الجمل والجأ

ويدل على صحة ذلك أيضاً أنه حتى ، عالم ، قادر ، انا لو جوزنا صدور أفعال محكمة متقنة من غير حتى ، عالم ، قادر ، لم ندر لعل جميع ما يظهر لنا من أفعال الناس من الكتابة والصناعة وسائر الصنائع لعلها تظهر لنا منهم وهم أموات عجزت جملة ولعل لنا في هذه المسئلة المناظر عليها ميت عاجز

مسألة : ويجب ان يعلم ان الله يريد على الحقيقة لجميع الحوادث ، والمرادات

والدليل عليه قوله تعالى : (فعال لما يريد ١١ - ١٠٧ و ٨٥ - ١٦) . وقوله تعالى : (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة واتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون ٢ - ١٨٥) وقوله تعالى : (والله يريد الآخرة ٨ - ٦٧) . وقوله تعالى : (ويريد الله أن يخفف عنكم ٤ - ٢٨) وقد قيل في بعض الآثار أنه تعالى يقول : يا ابن آدم تريد وأريد ولا يكون إلا ما أريد

ويدل على أنه يريد من جهة العقل ترتيب الأفعال واختصاصها بوقت دون وقت ، ومكان دون مكان ، وزمان دون زمان ؛ وكذلك يدل على أنه أراد أن يكون هذا قبل هذا وهذا بعد هذا وهذا على صفة ، والآخر على صفة غيرها ، وهذا من مكان ، وهذا من مكان آخر إلى غير ذلك .

مسألة : ويجب ان يعلم انه سميع لجميع المسموعات بصير لجميع المبصرات

والدليل عليه قوله تعالى : (وهو السميع البصير ٤٢ - ١١) . وقوله تعالى : (ام يحسبون انا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون ٤٣ - ٨٠) وقوله تعالى : (قد سمع قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله والله يسمع تحاوركما ٥٨ - ١) . وقوله تعالى : (الم يعلم بأن الله يرى ٩٦ - ١٤)

وأيضاً فإنه لو لم يوصف بالسمع والبصر لوجب أن يوصف بضد ذلك من الصمم والعمى والله يتعالى عن ذلك علواً كبيراً .

مسألة : ويجب أن يعلم أن الله تعالى متكلم وإن كلامه غير مخلوق ولا محدث . والدليل عليه قوله تعالى : (منهم من كلم الله ٢ - ٢٥٣) وقوله تعالى : (وكلّم الله موسى تكليماً ٤ - ١٦٤) وقوله تعالى : (وتمت كلمة ربك ٦ - ١١٥) . وقوله صلى الله عليه وسلم : «فضل كلام الله على كلام الخلق كفضل الخالق على المخلوق» . ولا يتصف ببداية ولا نهاية لأنه صلى الله عليه وسلم كان يعود الحسن والحسين فيقول : « أعيد كما بكلمات الله التامة العامة » . ومحال أن يعود مخلوق بمخلوق فثبت أنه عوز مخلوقاً بغير مخلوق إلى غير ذلك من الآيات والأخبار . ولأنه لو لم يكن متكلماً لوجب أن يوصف بضد الكلام من الخرس والسكوت والعي والله يتعالى عن ذلك .

مسألة : ويجب أن يعلم أن الله سبحانه باق . ومعنى ذلك أنه دائم الوجود . والدليل عليه قوله : (ويبقى وجه ربك ٥٥ - ٢٧) يعنى ذات ربك . وأيضاً قوله تعالى : (كل شيء هالك إلا وجهه ٢٨ - ٨٨) يعنى ذاته . ولأنه قد ثبت قدمه وما ثبت قدمه استحالة عدمه .

مسألة : ويجب أن يعلم أن البارئ عالم بعلم قديم متعلق بجميع المعلومات ولا يوصف عليه بأنه مكتسب ولا ضرورى وأنه قادر بقدره قديمة شاملة لجميع المقدورات ، مرید بارادة قديمة متعلقة بجميع الكائنات ، سميع بسمع قديم متعلق بجميع المسموعات ، بصير ببصر قديم متعلق بجميع المبصرات ، متكلم وكلامه قديم متعلق بجميع الأمور والمنهيات ، والمخبرات . فعلمه سبحانه وتعالى لا يوصف بالضرورة والكسب لأن ذلك صفات علم الخلق . وقدرته لا توصف بالاستطاعة لأن ذلك صفات الخلق ، وسمعه لا يوصف بأنه يقوم بالحواس كسمع الخلق ، وبصره لا يوصف بأنه يقوم بالآفاق كبصر الخلق ، وكلامه لا يوصف بالجوارح والأدوات لأن ذلك صفات كلام الخلق . بل صفات ذاته قديمة أزلية لم يزل

موصوفاً بها ولا يزال كذلك لا تشبهه بصفات المخاوقين ، ولا يقال انها هو ولا غيره
ولا صفاته متغيرة في أنفسها .

والدليل على هذه الجملة قوله تعالى : (ليس كمثله شيء ٤٢ - ١١) وقوله تعالى :
(لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفواً أحد ١١٢ - ٣ و ٤) فكما [أن] ذاته لا تشبه
ذوات الخلق فكذلك علمه لا يشبه علم الخلق ولا يوصف بصفة علم الخلق ،
وكذلك قدرته وإرادته لا تشبه قدرة الخلق ولا إرادتهم ولا يوصف شيء من
صفاته بصفات الخلق فاعلم ذلك وتحققه توفق للصواب بمشيئة الله تعالى .

والدليل على أن صفاته لا يقال لها هي هو لأنها لو كانت هي هو لكانت خالقة
فاعلة مثله فلا يجوز أن يقال هي هو . ويدل على صحة هذا المعنى قول علي عليه
السلام في القرآن : ليس بخالق ولا مخلوق . لأنه لو جعله خالقاً كان إلهاً ثانياً مع
الله ، ولو جعله مخلوقاً لوجب أن يكون الباري موجوداً بلا كلام ثم خلق كلامه
بعد وذلك لا يصح لأن صفات ذاته قديمة بقدم ذاته .

فان قيل فليس ثم إلا خالق أو مخلوق . قلنا : نعم ولكن خالق [قديم بصفات ذاته
ومخلوق حادث] بصفات ذاته التي توجد بعد ان لم تكن ، وتعدم بعد ان كانت وصفات
القديم لا تتصف بوجود بعد عدم ولا بعدم بعد الوجود ، وإنما قلنا ان صفات ذاته
ليست باغيار له ولا هو غير لصفاته ولا صفاته متغيرة في أنفسها لأن حد الغيرين
مايجوز مفارقة أحدهما الآخر اما بزمان أو بمكان وهذا يستحيل تصويره في الله تعالى
وصفات ذاته فافهم وتزبد التحقيق وفقنا الله وإياك وجميع المسلمين آمين
رب العالمين .

مسألة : فان قيل قد أثبتتم أنه حي عالم قادر سميع بصير متكلم أفقولون انه يغضب
ويرضى ، ويحب ، ويبغض ، ويوالي ، ويعادي ، وانه موصوف بذلك . قيل لهم أجل

ومعنى وصفه بذلك أن غضبه على من غضب عليه ، ورضاه عن رضى عنه ، وحبه لمن أحب ، وبغضه لمن أبغض ، وموالاته لمن والى ، وعدواته لمن عادى . ان المراد بجميع ذلك إرادته اثابة من رضى عنه وأحبه وتولية . وعقوبة من غضب عليه وأبغضه وعاداه لا غير .

ويدل على هذه الجملة أنه يوصف بالغضب قوله تعالى : (ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ٤ - ٩٣) وقوله تعالى : (والخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين ٢٤ - ٩) إلى غير ذلك من الآيات .

ويدل على أنه يوصف بالحب قوله تعالى : (إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ٢ - ٢٢٢) وقوله : (يحبهم ويحبونه ٥ - ٥٤) . وقوله : (والله يحب المحسنين ٥ - ٩٣) إلى غير ذلك .

ويدل على أنه يوالى قوله تعالى : (والله ولى المؤمنين ٣ - ٦٨) وقوله : (إنما وليكم الله ورسوله ٥ - ٥٥) وقوله صلى الله عليه وسلم : « يقول الله تعالى من آذى لى ولياً ، إلى غير ذلك من الآيات والأخبار .

ويدل على أنه يعادى قوله تعالى : (فان الله عدو للكافرين ٢ - ٩٨) وقوله : (لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء ٦٠ - ١) إلى غير ذلك من الآيات والآثار .

ويدل أنه يبغض قوله صلى الله عليه وسلم : « ثلاثة يبغضهم الله تعالى : شيخ زان ؛ وبائع حلاف ؛ وفقير مختال ، .

مسألة : فان قيل فما الدليل على أن غضب الله سبحانه ورضاه ، ورحمته ، وسخطه ، وحبه وعداوته ، وولاته وبغضه إنما هو إرادته لإثابة من رضى عنه وأحبه وموالاه ونفعه ، وان غضبه ، وسخطه ، وبغضه ، وعداوته إنما هو إرادة عقاب من غضب عليه وسخط وعادى وأيلامه وضرره قيل له :

الدليل على ذلك : ان الغضب والرضا ونحو ذلك لا يخلو اما أن يكون المراد به ارادته النفع والضرر فقط ، أو يكون المراد به نفور الطبع وتغيره عند الغضب ورقته وميله وسكونه عند الرضا فلما لم يحز أن يكون الباري جلت قدرته ذا طبع يتغير وينفر ، ولا ذا طبع يسكن ويرق وان هذه من صفات المخلوقين وهو يتعالى عن جميع ذلك ثبت أن المراد بغضه ، ورضاه ، ورحمته ، وسخطه إنما هو إرادته وقصده إلى نفع من كان في معلومه انه ينفعه ، وضرر من سبق في علمه وخبره أنه يضره لا غير ذلك .

مسألة : فان قيل فهل يجوز أن يوصف بالشهوة ؟ قيل له :

ان أراد السائل بوصفه بالشهوة ارادته لأفعاله فذلك صحيح من طريق المعنى غير أنه أخطأ وخالف الأمانة في وصف القديم بالشهوة إذ لم يرد بذلك كتاب ولا سنة لأن اسمائه تعالى لا تثبت قياساً وهو معنى قول الشيخ رضى الله عنه : (لا مدخل للعقل والقياس في إيجاب معرفته وتسميته وإنما يعلم ذلك بفضله من جهته) . يعنى اما بنص كتاب أو سنة . وان أراد هذا السائل أن يصفه بالشهوة التي هي [شوق] النفس وميل الطبع الى المنافع واللذات فذلك محال ممتنع على القديم سبحانه وتعالى بما قدمنا ذكره من قبل .

مسألة : ويجب أن يعلم [أن كل ما] يدل على الحدوث أو على سمة النقص فالرب تعالى يتقدس عنه .

فمن ذلك أنه تعالى متقدس عن الاختصاص بالجہات والاتصاف بصفات المحدثات وكذلك لا يوصف بالتحول ، والانتقال ، ولا القيام ، ولا القعود لقوله تعالى : (ليس كمثله شيء ٤٢ - ١١) وقوله : (ولم يكن له كفواً أحد ١١٢ - ٤) ولأن هذه الصفات تدل على الحدوث والله تعالى يتقدس عن ذلك .

فان قيل أليس قد قال : (الرحمن على العرش استوى ٢٠ - ٥) . قلنا : بلى .
قد قال ذلك ونحن نطلق ذلك وأمثاله على ما جاء في الكتاب والسنة لسكن ننفي عنه
امارة الحدوث ونقول ؟ استواؤه لا يشبه استواء الخلق ، ولا نقول ان العرش له قرار
ولا مكان لأن الله تعالى كان ولا مكان فلما خلق المكان لم يتغير عما كان .

وقال أبو عثمان المغربي يوماً لخادمه محمد المحبوب لو قال لك قائل اين معبودك
ماذا كنت تقول له ؟ فقال : أقول حيث لم يزل ولا يزول . قال : فان قال : فان كان في
الأزل ماذا تقول ؟ فقال : أقول حيث هو الآن . يعنى انه كما كان ولا مكان .

وقال أبو عثمان : كنت اعتقد شيئاً من حديث الجهة فلما قدمت بغداد وزال
ذلك عن قلبي فكتبت الى اصحابنا أنى قد اسلمت جديداً .

وقد سئل الشافعي عن قوله تعالى : (الرحمن على العرش استوى ٢٠ - ٥) فقال :
الرحمن لم يزل ولا يزول والعرش محدث ، والعرش بالرحمن استوى .

وقال جعفر بن محمد الصادق عليه السلام : من زعم أن الله تعالى في شيء أو من
شيء أو على شيء فقد أشرك لأنه لو كان على شيء لكان محمولا ، ولو كان في شيء
لكان محصورا ، ولو كان من شيء لكان محدثا والله يتعالى عن جميع ذلك .

وقال بعض أهل التحقيق : (ألزم الكل الحدث لأن القدم له فهو سبحانه
لا يظله فوق ، ولا يقيه تحت ، ولا يقابله حد ، ولا يزاحمه [عد] ولا يأخذه خلف
ولا يحده أمام ، ولا يظهره قبل ، ولا يفتنيه بعد ، ولا يجمعه كل ، ولا يوجد له كان
ولا يفقده ، ليس باينهم بقدمه كما باينوه بحدوثهم . ان قلت متى : فقد سبق الوقت
كونه (١) وان قلت : أين فقد تقدم المكان وجوده ، فوجوده اثباته ، ومعرفة

توحيده [أن] تميزه من خلقه ما تصور في الأوهام فهو بخلاف [ذلك] كيف يحل به ما منه بدؤه أو يتصف بما هو إنشاؤه لا تمقله العيون ، ولا تقابله الظنون ، قربه كرامته ، وبعده اهائته ، علوه من غير ترق ، ومجيشه من غير تنقل ، هو الأول ، والآخر والظاهر ، والباطن والقريب البعيد الذي (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ٤٢ - ١١) .

مسألة : ويجب أن يعلم أن الحوادث كلها مخلوقة لله تعالى نفعها وضرها إيمانها وكفرها ، طاعتها ، ومعصيتها .

والدليل على ذلك قوله تعالى : (والله خلقكم وما تعملون ٣٧ - ٩٦) وأيضا فان الله تعالى رد على الكفار لما ادعوا معه شركاء في الاختراع فقال تعالى : (أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار ١٣ - ١٦) وقال تعالى . (هو الذي يسيركم في البر والبحر ١٠ - ٢٢) فآخبر تعالى انه خالق اسيرنا وهي الحركات والسكنات . وقال تعالى : (هل من خالق غير الله ٣٥ - ٣) وقال النبي صلى الله عليه وسلم : . الله خالق كل صانع وصنعيته . . وأجمعت الأمة على القول بأن لا خالق إلا الله في الدارين كما أجمعوا أن لا إله غيره .

مسألة : ويجب أن يعلم أن الحوادث كلها تقع مرادة لله تعالى وأنه لا يتصور أن يوجد في الدنيا والآخرة شيء لم يردده تعالى من نفع ، وضر ، ورزق ، وأجل ، وطاعة ، ومعصية إلى غير ذلك من سائر الموجودات .

والدليل على ذلك ما بيناه من قبل وأنه خالق لها وإذا صح ذلك ترتب عليه أنه يريد لما خلق قاصدا إلى ابداع ما اخترع ويدل على ذلك أيضا قوله تعالى : (ولو شاء الله لجمعهم على الهدى ٦ - ٣٥) وقوله تعالى : (فمن يرد الله أن يهديه يشرح

صدره للاسلام ومن يردان يضلّه يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون ٦ - ١٢٥) وقوله تعالى : (ولو اننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون ٦ - ١١١) وقوله تعالى : (ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً أفأنت تذكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ١٠ - ٩٩) وقوله تعالى : (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لا ملان جنهم من الجنة والناس أجمعين ٣٢ - ١٣) والآيات في هذا المعنى في القرآن لا تحصى عدداً . وأيضاً فإن الأمة قد أجمعت على القول باطلاق هذه الكلمة : ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن . وأيضاً فإنه لو أراد شيئاً وأراد غيره شيئاً فوجد مراد غيره دون مراده كان ذلك دليل العجز والغلبة والله يتعالى عن ذلك .

وقال بعض أهل التحقيق : (والله ما قالت القدرية كما قال الله تعالى ولا كما قال النبيون ولا كما قال أهل الجنة ، ولا كما قال أهل النار ، ولا كما قال أخوهم ابليس لأن الله تعالى قال : (يضل من يشاء ويهدي من يشاء ١٦ - ٩٣) وقال : (وما تشاؤون إلا أن يشاء الله ٧٦ - ٣٠) .

وقال شعيب : (وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا ٧ - ٨٩) وقال موسى عليه السلام : (ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين ٧ - ١٥٥) وقال نبينا صلى الله عليه وسلم : (قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضراً إلا ما شاء الله ٧ - ١٨٧) وقال أهل الجنة : (الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق ونودوا أن تأسلموا الجنة أو رثتموها بما كنتم تعملون ٧ - ٤٣) وقال أهل النار : (ربنا غلبت علينا شقوتنا ٢٣ - ١٠٦) وقال ايضاً : (بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين ٣٩ - ٧١) وقال ابليس : (رب بما اغويتني ١٥ - ٣٩) وقد قال تعالى : (واذا اراد الله بقوم سوء فلا مرد له ١٣ - ١١) .

مسألة : واعلم انه لا فرق بين الإرادة ، والمشئنة ، والاختيار ، والرضى ، والمحبة على ما قدمنا . واعلم ان الاعتبار في ذلك كله بالمآل لا بالحال فمن رضى سبحانه عنه لم يزل راضياً عنه لا يسخط عليه ابداً وان كان في الحال عاصياً . ومن سخط عليه فلا يزال ساخطاً عليه ولا يرضى عنه ابداً وان كان في الحال مطيعاً .

ومثال ذلك : انه سبحانه وتعالى لم يزل راضياً عن سحرة فرعون وان كانوا في حال طاعة فرعون على الكفر والضلال لكن لما آمنوا في المآل بان بانه تعالى لم يزل راضياً عنهم ، وكذلك الصديق ، والفاروق رضى الله عنهما لم يزل راضياً عنهما في حال عبادة الأصنام لعلمة بمآل امرهما وما يصير إليه من التوحيد ونصر الرسول والجهاد في سبيل الله تعالى .

وكذلك لم يزل ساخطاً على ابليس ، وبلعم ، وبرصيص في حال عبادتهم لعلمه بمآلهم وما يصير إليه حالهم .

وقد سئل الجنيد رضى الله عنه عن قوله تعالى : (ان الذين سبقتم لهم منا الحسنى ٢١-١٠) فقال : هم قوم سبقتم لهم العناية في البداية فظهرت لهم الولاية في النهاية . مسألة : ويجب ان يعلم ان العبد له كسب وليس مجبوراً (١) بل مكتسب لأفعاله من طاعة ومعصية لأنه تعالى قال : (لها ما كسبت ٢-٢٨٦) يعنى من ثواب طاعة (وعليها ما اكتسبت ٢٢-٢٨٦) يعنى من عقاب معصية . وقوله : (بما كسبت أيدي الناس ٣٠-٤١) وقوله : (وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ٤٢-٣٠) وقوله : (ولو يوأخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى فاذا جاء اجلهم فان الله كان بعباده بصيراً ٣٥-٤٥) ويدل على صحة هذا أيضاً ان العاقل منا يفرق بين تحريك يده جبراً وسائر بدنه عند

(١) وبهذا يظهر أن كون العبد مجبوراً في أفعاله ليس من مذهب الاشعرى ، وأول من نطق بعزو ذلك إليه هو الفخر الرازى واهما في التخريج ، وادعاء كونه مجبوراً من الخطورة بمكان (ز) .

وقوع الحى به أو الارتعاش وبين أن يحرك هو عضواً من أعضائه قاصداً الى ذلك باختياره فافعال العباد هي كسب لهم وهي خلق الله تعالى . فما يتصف به الحق لا يتصف به الخلق وما يتصف به الخلق لا يتصف به الحق وكما لا يقال لله تعالى إنه مكتسب وكذلك لا يقال للعبد إنه خالق .

مسألة : ويجب أن يعلم أن الاستطاعة للعبد تكون مع الفعل ^(١) لا يجوز تقديمها عليه ولا تأخيرها عنه كعلم الخلق وادراكهم لا يجوز تقديم العلم على المعلوم ولا الإدراك على المدرك .

والدليل على ذلك قوله تعالى : (وكانوا لا يستطيعون سمعاً ١٨ - ١٠١) يعنى قبولاً عند الدعوة يعنى انه لم يكن لهم استطاعة عند مفارقة الدعوة فيحصل معها القبول ، وأيضاً قوله تعالى : (انك لن تستطيع معي صبرا ١٨ - ٦٧ و ٧٢ - ٧٥) وقول ابراهيم عليه السلام : (رب اجعلني مقيم الصلاة ١٤ - ٤٠) فلو كانت الاستطاعة قبل الفعل لكان يقول : قد جعلتك مقبلاً ولم يكن لسوء آله معنى لأنه سئل في شيء قد اعطيه وهو قادر عليه ، وأيضاً قوله تعالى : (اياك نعبد واياك نستعين ١ - ٥) فلو كانت الاستطاعة قبل الفعل لم يكن للسؤال فيها معنى ولأن القدرة الحادثة لو تقدمت على

(١) ومبنى ذلك تجدد الأعراض لكن دليل التجدد غير تام ، ومذهب أبى حنيفة تقدم الاستطاعة على الفعل بمعنى سلامة الآلات الصالحة للفعل والترك ، والمعتزلة مع أبى حنيفة في هذا ، وحاول الفخر الجمع بين الرأيين بأن القوة العضلية سابقة ، والقدرة المستجمة لشرائط التأثير مع الفعل فلا ينافى أحدهما الآخر في نظره لأن مجرد القوة العضلية غير كافٍ في صدور الفعل ما لم يرده سبحانه اتفاقاً واراادته تعالى هي تركه العبد يمضى فيما اختاره كما ذكره عبد القاهر البغدادي فلا تكون في ذلك سمة جبر ، ما دام فعل العبد مستنداً إلى اختياره نفسه ، والقوة العضلية هي مدار التكليف وهي صالحة للفعل والترك والقدرة المستجمة لشروط التأثير غير صالحة إلا لأحدهما فيسكون الوجوب في هذا من قبيل الضرورة بشرط المحمول فلا يكون من الضرورة في شيء (ز)

الفعل لو وجد الفعل بغير قدرة لأنها عرض والعرض لا يبقى ولا يصح أن يوجد بعد الفعل وأيضاً لأنه يكون فاعلاً من غير قدرة فلم يبق إلا أنها مع الفعل .
مسألة : ويجب أن يعلم أن الرؤية جائزة عليه سبحانه وتعالى من حيث العقل مقطوع بها للمؤمنين في الآخرة تشریفاً لهم وتفضلاً لوعد الله تعالى لهم بذلك .
والدليل على جوازها من حيث العقل سؤال موسى عليه السلام حيث قال :
(رب أرني أنظر إليك ٧ - ١٤٣) . ويستحيل أن يسأل نبي من أنبياء الله تعالى مع جلالة قدره وعلو مكانه ما لا يجوز عليه سبحانه ولولا أنه اعتقد جوازها لما سألها ولأنه تعالى علقها باستقرار الجبل ومن الجائز استقرار الجبل ، ويدل عليه أيضاً أنه موجود والموجود يصح أن يُرى .

وأما الدليل على ثبوتها من طريق الكتاب والسنة قوله تعالى : (تحيتهم يوم يلقونه سلام ٣٣ - ٤٤) واللقاء إذا قرن بالتحية لا يقتضي إلا الرؤية . وأيضاً قوله تعالى : (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ١٠ - ٢٦) قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه :
الزيادة النظر إلى وجهه الكريم . وقد ذكر مرفوعاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى : (وجوه يومئذ ناضرة ه إلى ربها ناظرة ٧٥ - ٢٢ و ٢٣) والمراد بقوله (ناضرة) أنها مشرقة ، والمراد بقوله (إلى ربها ناظرة) أنها راغبة في النظر . لأن النظر إذا عدى بكلمة إلى اقتضى الرؤية نصاً كقوله تعالى : (فانظر إلى طعامك وشرابك ٢ - ٢٥٩) وقوله تعالى : (أفلا ينظرون إلى الأبل كيف خلقت ٨٨ - ١٧) وسئل ابن عباس رضي الله عنهما عن قوله (وزيادة) قال : هي النظر إلى وجه الله تعالى بلا كيف .
وأيضاً فإن الصحابة لما سألوه صلى الله عليه وسلم هل نرى ربنا ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : « ترون ربكم عياناً كما ترون القمر ليلة البدر لا تضارون في رؤيته » .
وروى : « لا تضامون في رؤيته » ، وروى : « لا يلحقكم ضرر ولا ضيم في رؤيته » .
ومعنى ذلك أنه صلى الله عليه وسلم شبه الرؤية بالرؤية لا المرئي بالمرئي فكانه صلى الله عليه وسلم شبه الرؤية بالرؤية وإن الرائي المعين للقمر ليلة البدر ليلة أربع عشرة لا يشك في أن الذي يراه قر . فكذلك الناظر إليه سبحانه وتعالى في الجنة لا يشك .

ان الذى يراه سبحانه وتعالى بلا تكليف ، ولا تشبيه ، ولا تحديد وهذا كما يقول القائل : أعرف صدقك كما أعرف النهار ، ورأيت زيدا كما رأيت الشمس . ويدل عليه أيضاً قوله صلى الله عليه وسلم : « إن الله يتجلى للخلق عامة ويتجلى لأبى بكر خاصة ^(١) » .

مسألة : ويجب أن يعلم أن الطاعة ليست بعلة للثواب ولا المعصية علة للعقاب ولا يجب لأحد على الله تعالى بل الثواب وما أنعم به على العبد فضل منه ، والعقاب عدل منه . ويجب على العبد ما أوجبه تعالى عليه ولا موجب ولا واجب على الله . والحسن ما وافق الأمر من الفعل ، والقبيح ما وافق النهى من الفعل وليس الحسن حسناً من قبل الصورة ، ولا القبيح قبيحاً من قبل الصورة .

والدليل على الفصل الأول انه لا واجب عليه لأحد من الخليفة كإن حقيقة الواجب ما استوجب من وجب عليه الذم بتركه والرب تعالى عن الذم علواً كبيراً ويدل على صحة ذلك أيضاً قوله تعالى : (ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله ٣٠ - ٤٥) فاعلم أن ذلك بفضله لا بالعمل . وأيضاً قوله تعالى : (ولولا فضل الله عليكم ورحمته ٢٤ - ١٠ و ١٤ - ٢٠) وسئل النبي صلى الله عليه وسلم ما يدخل أحد من الجنة بعمله ؟ فقال : لا . فقل ولا أنت ؟ فقال : ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته . فقال له بعد الصحابة فقيم العمل ؟ فقال : اعملوا فكل ميسر لما خلق له وإنما وعد الله سبحانه بالثواب وأوعد بالعقاب وقوله الحق ووعد الصديق ، فنصب الطاعات اشارة على الفوز بالدرجات ، والمعاصى اشارة على التردى فى الهلكات وكل ذلك اشارة للخلق بعضهم على بعض لا له سبحانه وتعالى فإنه عالم بالأشياء قبل كونها كما قال بعضهم : تفرد الحق بعلم الغيوب فعلم ما كان ، وما يكون ، وما لا يكون ان لو كان كيف كان يكون .

والدليل على الفصل الثانى وهو ان الحسن ما وافق الأمر والقبيح ما خالف الأمر . ان لذة الجماع فى الزوجة والأمة صورتها فى الفرج [الحلال] كصورتها فى الفرج

(١) لا يثبت والمصنف كثيراً ما يورد أحاديث ضعيفة (ز)

الحرام إلا أن ذلك حسن في الملك بموافقة الشرع قبيح في غير ذلك بمخالفة الشرع . وكذا القتل وصورته في القصاص كهي في القتل من غير قصاص إلا أن أحدهما حسن لمطابقة الشرع والآخر قبيح بمخالفة الشرع . وكذلك الأكل في آخر يوم من شهر رمضان كصورة الأكل يوم الفطر إلا أن أحدهما حسن لموافقة الشرع والآخر قبيح لمخالفته ، وكذلك بالعكس إمساك يوم من شهر رمضان كصورة الإمساك يوم الفطر إلا أنه في أحدهما حسن للموافقة وفي الآخر قبيح للمخالفة .

وجميع قواعد الشرع تدل على أن الحسن ما حسنه الشرع وجوزّه وسوغه . والقبيح ما قبحه الشرع وحرّمه ومنعه منه لا من حيث الصورة فتفهم ذلك بخلافك من جميع ما يورده جهال القدرية من شبههم التي تفضل عقول العوام . فإذا ثبت هذا وتقرر جاء منه أن الباري سبحانه وتعالى ليس فوقه أمر أمره ولا ناه ناهه حتى يتصف أفعاله تارة بالحسن لموافقة الأمر ، ولا بالقبح لمخالفة الأمر بل هو المالك على الحقيقة يتصرف في ملكه كيف يشاء لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون .

مسألة : ويجب أن يعلم أن أرزاق العباد وجميع الحيوان من الله تعالى فلا رازق إلا الله حلالاً كان أم حراماً .

والدليل على ذلك قوله تعالى : (الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ١٣ - ٢٦) وقوله تعالى : (وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ١١ - ٦) وقوله تعالى : (الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون ٣٠ - ٤٠) . وقد اجمع المسلمون على إطلاق القول لا رازق إلا الله كما أجمعوا على أنه لا خالق إلا الله .

ويدل عليه أيضاً أنه لو فرض نشؤ صبي من حال كونه طفلاً إلى بلوغه بين اللصوص وقطاع الطريق وكان يتناول من طعامهم المسروق المنهوب ثم من بعد ادراكه والبلوغ سلك مسلكهم في السرقة والنهب والغارة إلى أن شاخ وهرم ولم يتناول لقمة

من حلال قط فلو قال قائل : ان هذا الشخص لم يرزقه الله رزقاً قط ولا أكل له رزقا كان هذا القائل معانداً للنص الوارد وخارقاً لاجماع المسلمين فدلّت هذه الجملة ان لا خالق إلا الله ولا رازق إلا هو .

مسألة : ويجب أن يعلم ان كل ماورد به الشرع من عذاب القبر وسؤال منكر ونكير ، ورد الروح إلى الميت عند السوأل ، ونصب الصراط ، والميزان ، والحوض والشفاعة للعصاة من المؤمنين كل ذلك حق وصدق ، ويجب الإيمان والقطع به ؛ لأن جميع ذلك غير مستحيل في العقل ، وكذلك يجب القطع بان الجنة والنار مخلوقتان في وقتنا ، وكذلك يجب القطع بأن نعيم اهل الجنة لا ينقطع وان عذاب جهنم مخلد للكفار ، وان من كان مؤمناً لا يخلد في النار .

والدليل على اثبات عذاب القبر قوله تعالى : (ومن اعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ٢٠ - ١٢٤) قال ابو هريرة : يعنى عذاب القبر . وايضا قوله صلى الله عليه وسلم : « القبر اماروضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النار ، . وقد قال تعالى : (النار يعرضون عليها غدواً وعشيا ٤٠ - ٤٦) ، والغدو والعشى إنما يكون في الدنيا . وايضا ما روى عنه صلى الله عليه وسلم انه كان يقول : « اعوذ بالله من عذاب القبر ، .

والدليل على سؤال منكر ونكير قوله تعالى : (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ١٤ - ٢٧) يعنى وفي الآخرة عند سؤال منكر ونكير . وايضا فإن النبي صلى الله عليه وسلم لما دفن ابنه ابراهيم جلس عند رأس القبر فتكلم بكلام ثم قال : « ابني قل أبى ، . وروى عنه انه صلى الله عليه وسلم قال لعمر رضى الله عنه : « كيف بك يا عمر إذ جاءك فتانا القبر ؟ فقال : اكون كما انا الآن ؟ فقال له : نعم . فقال له : إذا ا كفيكما . وروى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما انه قال : رأيت أبى في النوم فقلت له يا ابي منكر ونكير حق ؟ فقال : أى

والله الذى لا إله إلا هو لقد جاءنى فقال لا لى : من ربك ؟ فأخذت عليهما وقلت لهما
لا أدخل عنكما حتى تعرفانى من ربكما . فقال احدهما للآخر : دعه فإنه عمر القاروق
سراج اهل الجنة .

ويدل على نصب الصراط قوله تعالى : (وان منكم إلا واردها كان على ربك
حتما مقضيا ١٩-٧١) قيل فى التفسير هو العبور على الصراط . وايضا قوله صلى الله
عليه وسلم : « ينصب الصراط على متن جهنم دحض مزلة والأنياء عليه يقولون :
سلم . سلم . والناس يمشون عليه فمنهم من يمر عليه كالبرق الخاطف ، ومنهم من يمر
عليه كالجراد من الخيل إلى آخره » .

والدليل على نصب الميزان : قوله تعالى : (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة
٢١-٤٧) وقوله (فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا ١٨-١٠٥) وايضا فان عائشة رضى الله
عنها قالت : يا رسول الله هل تذكرون اهل يوم القيامة ؟ فقال لها : « اما عند مواطن
ثلاثة فلا الكتاب ، والميزان ، والصراط » ، واعلم ان الموزون فى الميزان هو صحائف
الأعمال . وقيل فى بعض الآثار يشخص رجل يوم القيامة على رؤس الخلائق فيعرض
عليه تسعة وتسعون سجلا مملوءة سيئات فيقال له احضر وزنك قيل فيوضع فى
كفة قال : فيحار العبد فيقال له : هل تعلم لك خبيثة او حسنة ؟ قال فيدهش فيقول يا رب
لا اعلم شيئا . فيقول تعالى بل لك عندى خبيثة فيخرج له بقدر الأصبع فيقول ما تغنى
هذه فى جنب هذه السجلات فإذا فيها لا إله إلا الله . اللهم ثبتنا عليها بحولك وقوتك .
والدليل على الحوض قوله تعالى : (إنا اعطيناك الكوثر ١٠٨-١) قيل فى
التفسير هو الحوض وايضا قوله صلى الله عليه وسلم : (حوضى كما بين أيلة إلى مكة
مزابان من الجنة اكوابيه ^(١) كعدد نجوم السماء ، شرابه ابيض من اللبن واحلى
من العسل واطيب رائحة من المسك من كذب به اليوم لم يصبه الشرب يومئذ .

(١) جمع الجمع لا كواب هكذا فى بعض الروايات ، وفى بعضها ، اكوابه . وفى
بعضها : أنيته (ز)

والدليل على ثبوت الشفاعة : قوله تعالى : (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى ٢٠ - ٢٨) يدل على ثبوت الشفاعة لمن أراد سبحانه وتعالى ويدل عليه قوله تعالى : (عسى أن يبعثك ربك مقاما محموداً ١٧ - ٧٩) وأيضاً قوله صلى الله عليه وسلم : « شفاعة لأهل الكبائر من أمتي ، وإيضاً قوله صلى الله عليه وسلم : « خيرت بين أن يدخل شطر أمتي [الجنة] وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة لأنها أعم وأكفاً أترونها للمؤمنين المتقين لا ولسكنها للمؤمنين الخاطئين ، . وإيضاً قوله صلى الله عليه وسلم : « يقال للعابد يوم القيامة ادخل الجنة ويقال للعالم قف انت فاشفع لمن شئت ، »

والدليل على أن الجنة والنار مخلوقتان قوله تعالى : (وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ٣ - ١٣٣) والمعد لا يكون إلا موجوداً مهيناً . وإيضاً قوله : (أنا اعتدنا جهنم للكافرين نزلاً ١٨ - ١٠٢) إلى غير ذلك من الآيات . وإيضاً قوله صلى الله عليه وسلم « عرضت على ليلة الأسراء الجنة والنار ، إلى غير ذلك من الأخبار

والدليل على تخليد النعيم لأهل الجنة والعذاب لأهل النار قوله تعالى في أهل الجنة : (خالدن فيها أبداً رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه ٩٨ - ٨) والآي في ذلك كثير . وإيضاً قوله صلى الله عليه وسلم : « يؤتى بالموت يوم القيامة في صورة كبش فيوقف بين الجنة والنار فينظرون إليه فيقال لهم : هل تعرفون هذا ؟ فيقولون نعم هذا الموت فيذبح ثم ينادى منادياً يا أهل الجنة خلود فلاموت ويا أهل النار خلود فلا موت . »

والدليل على أنه لا يخلد في النار أحد من المؤمنين بذنب قوله تعالى : (ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ٤ - ٤٨ و ١١٦) وقوله تعالى : (قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعاً ٣٩ - ٥٣) وإيضاً قوله صلى الله عليه وسلم : « لا يبقى في النار من في قلبه ذرة من إيمان ، فان الكفار لا ينفعهم إحسان مع الكفر ولا يخرجون من النار ، وكذلك الموحد لا تضره سيئة مع اثبات التوحيد ولا يخلد في النار . قيل وكان عمر بن عبد العزيز

رضى الله عنه يقول في دعائه : اللهم انى اطعته في احب الاشياء اليك وهو التوحيد وقول لا اله الا الله ، ولم اعصك في ابغض الاشياء اليك وهو الشرك فاعف عني ما بين ذلك .

مسألة ويجب ان يعلم ان الايمان على ضربين : ايمان قديم ، وايمان محدث ، فالقديم ايمان الحق سبحانه وتعالى لانه سمي نفسه مؤمناً فقال : (السلام المؤمن المهيمن) (٢٣-٥٩) وايمانه سبحانه وتعالى تصديقه لنفسه لقوله : (شهد الله انه لا اله الا هو) (١٨-٣) وكذلك تصديقه لانبياؤه بكلامه وكلامه قديم صفة من صفات ذاته .

والايمان المحدث ايمان الخلق لان الله تعالى خلقه في قلوبهم بدليل قوله تعالى : (اولئك كتب في قلوبهم الايمان ٥٨ - ٢٢) وقوله تعالى : (ولكن الله حبيب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم ٤٩ - ٧) ولان ايمان العبد صفة للعبد ، وصفة المخلوق مخلوقة كما ان صفة الخالق قديمة اعنى صفة ذاته . وايضا فان حد القديم هو الذي لا حد لوجوده ولا آخر لدوامه ، وحد المحدث ما لم يكن ثم كان فكما لم يحز أن تكون صفة القديم محدثة فكذلك لا تكون صفة المحدث قديمة . وكيف تكون صفة المحدث قديمة وهي عرض لا يستقل إلا بحامل ولا يمكن قيامها بنفسها لانه يستحيل وجود حركة من غير متحرك . وسكون من غير ساكن ، وعلم من غير عالم . وسواد من غير أسود إلى غير ذلك من صفات المحدثين .

واعلم أن حقيقة الايمان هو التصديق . والدليل عليه قوله تعالى اخبارا عن اخوة يوسف عليه السلام : (وما أنت بمؤمن لنا ١٢ - ١٧) أى بمصدق لنا . وايضا ان الرسول عليه السلام لما أخبر عن كلام البقرة والذئب فقال : أنا اؤمن به وأبو بكر وعمر ، يريد أصدق . وايضا قول أهل اللغة : فلان يؤمن بالبعث والجنة والنار أى يصدق به . وفلان لا يؤمن بعذاب الآخرة أى لا يصدق به .

واعلم ان محل التصديق القلب وهو : ان يصدق القلب بأن الله إله واحد وان

الرسول حق ، وان جميع ما جاء به الرسول حق ، وما يوجد من اللسان وهو الاقرار وما يوجد من الجوارح وهو العمل فانما ذلك عبارة عما في القلب ودليل عليه . ويجوز أن يسمى ايمانا حقيقة على وجه ، ومجازا على وجه ، ومعنى ذلك ان العبد إذا صدق قلبه بما قلنا وأقر بلسانه ، وعملت جوارحه فهو المؤمن الحقيقي عند الله وعندنا ، واما من كذب بقلبه وأقر بالوحدانية بلسانه وعمل الطاعات بجوارحه فهذا ليس بمؤمن حقيقة وانما هو مؤمن مجازاً لأن ذلك يمنع دمه وماله في أحكام الدنيا لأنه مؤمن من حيث الظاهر وهو عند الله غير مؤمن .

والدليل على صحة ذلك قوله : (إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد أنك لرسول الله والله يعلم أنك الرسول والله يشهدان المنافقين الكاذبون ٦٣ - ١) فاخبر سبحانه بكذبهم ونحن نعلم وكل عاقل انه ما كذب اقرار الستهم وانما كذب قلوبهم حيث ابطنوا خلاف ما اظهروا ولأن الآخرس المصدق بقلبه ايمانه صحيح وان كان لا يقدر على النطق والاعتراف بلسانه وكذلك بالعكس من هذا فإن المؤمن المصدق بقلبه مؤمن عند الله تعالى وان نطق بالكفر . يدلك على صحة ذلك قوله تعالى : (من كفر بالله من بعد ايمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ، ولكن من شرح بالكفر صدراً ١٦ - ١٠٦) فاخبر أن نطق اللسان بالإيمان لا ينفع مع اصرار القلب على الكفر واقرار اللسان بالكفر لا يضر مع تصديق القلب .

واعلم انا لا ننكر أن نطلق القول بان الايمان عقد بالقلب واقرار باللسان ، وعمل بالاركان ، على ما جاء في الأثر (١) لأنه صلى الله عليه وسلم انما اراد بذلك أن يخبر عن حقيقة الايمان الذي ينفع في الدنيا والآخرة لأن من أقر بلسانه وصدق بقلبه وعمل باركانه حكمنا له بالإيمان واحكامه في الدنيا من غير توقف ولا شرط ، وحكمنا له أيضا بالثواب في الآخرة وحسن المنقلب من حيث شاهد الحال وقطعنا

(١) لم يصح مرفوعا وفي صحيح مسلم الإيمان ان تؤمن بالله الحديث... (ز)

له بذلك في الآخرة بشرط أن يكون في معلوم الله تعالى أنه يحببه على ذلك ويميته عليه . ولو أقر بلسانه وعمل باركانه ولم يصدق بقبله نفعه ذلك في أحكام الدنيا ولم ينفعه في الآخرة ، وقد بين ذلك صلى الله عليه وسلم حيث قال : « يا معشر من آمن بلسانه ولما يدخل الايمان في قلبه » وإذا تأملت هذا التحقيق وتدبرته وجدت بحمد الله تعالى ومنه أن الكتاب والسنة ليس فيهما اضطراب ولا اختلاف وإنما الاضطراب ، والاختلال ، والاختلاف في فهم من سمع ذلك وليس له فهم صحيح ولا تصور نعوذ بالله من ذلك .

وكذلك أيضا لا ننكر أن نطلق ان الايمان يزيد وينقص كما جاء في الكتاب والسنة لكن النقصان والزيادة يرجع في الايمان إلى أحد أمرين : اما أن يكون ذلك راجعا إلى القول والعمل دون التصديق لأن ذلك يتصور فيهما مع بقاء الايمان فاما التصديق فممتنع منه أدنى شيء بطل الايمان . وبيان ذلك أن المصدق بجميع ما جاء به الرسول عليه السلام إذا ترك صلاة أو صياماً أو زكاة أو قراءة في موضع تجب فيه القراءة أو غير ذلك من الواجبات لا يوصف بالكفر بمجرد الترك مع كمال التصديق وثباته عليه . وبالعكس من ذلك لو فعل جميع الطاعات ، وأقر بجميع الواجبات ، وصديق بجميع ما جاء به الرسول الا بتحريم الخمر أو نكاح الام ولم يفعل واحداً منهما فانه يوصف بالكفر وانسلخ من الايمان ولا ينفع جميع ذلك مع انخرام تصديقه في هذا الحكم الواحد فيجوز نقص الايمان وزيادته من طريق الأقوال والأفعال ، ولا يجوز من طريق التصديق وقد بين ذلك صلى الله عليه وسلم بقوله : « لا يكمل إيمان العبد حتى يحب لأخيه المسلم الخير ، وكذلك قوله » حتى يامن جاره بوائقه ، وأراد بذلك الكف عن الأذى ولم يرد التصديق لأنه لو استحلت إياه لم يكن له ايمان لا زائد ولا ناقص فافهم ذلك .

والأمر الثاني في جواز اطلاق الزيادة والنقصان على الايمان يتصور أيضا أن يكون من حيث الحكم لا من حيث الصورة فيكون ذلك أيضا في الجميع من

التصديق والاقرار والعمل ويكون المراد بذلك في الزيادة والنقصان راجعاً إلى الجزاء والثواب ، والمدح والثناء دون نقص وزيادة في تصديق من حيث الصورة وقد دل على ذلك الكتاب والسنة . أما الكتاب فقوله تعالى : (لا يستوى منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك أعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير ٥٧ - ١٠) ولم يرد أن تصديق من آمن قبل الفتح يزيد على تصديق من آمن بعد الفتح لأن كل واحد منهما من حيث الصورة مصدق بجميع ما جاء به الرسول عليه السلام لكن تصديق اولئك أكمل في الحكم والثواب والدرجة لأن هذا يصدق بشيء لا يصدق به الآخر . وأما السنة فقوله صلى الله عليه وسلم : « لا تسبوا أصحابي فلو انفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه » ومعلوم أن اتفاق مثل أحد ذهباً ما انفق أحد من الصحابة لكن إيمانهم ونفعهم في الحكم والثواب ، والجزاء ، والدرجة أزيد واكمل من نفقة غيرهم وان كانت في الصورة أكثر لكنها انقص من حيث الحكم لا من حيث العين فاعلم حكم ذلك وتحققه ووازن هذا من افعالنا اليوم وانها تتصف بالزيادة من حيث الحكم دون العين . ان من صلى صلاة الظهر في بلد من البلاد غير مكة والمدينة واتى بجميع شرائطها وآخر صلى بمكة والمدينة على الوجه الذي صلى عليه الآخر لا يقال ان أحد الصلاتين ازيد من الأخرى من طريق الصورة والعين ولكن أحدهما أزيد من طريق الحكم في تحصيل الفضل والثواب ولهذا نظائر يطول تعدادها وقد تكون الزيادة بكثرة دلائل التصديق لا في التصديق .

مسألة : ويجب أن يعلم أن كل إيمان اسلام وليس كل اسلام ايماناً لأن معنى الاسلام الانقياد ومعنى الايمان التصديق ويستحيل أن يكون مصدق غير منقاد ولا يستحيل ان يكون منقاد غير مصدق وهذا كما يقال : كل نبي صالح وليس كل صالح نبياً .

ويدل على صحة هذه الجملة قوله تعالى : (قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ٤٩ - ١٤) فنفي عنهم الايمان واثبت ان ذلك منهم اسلام

الإيمان . وايضا قوله تعالى : (يَمْنُونِ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمْنُوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنْ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ أَنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ٤٩ - ١٧) فغبار بين الإسلام والإيمان .

ويدل على صحة هذا القول أيضاً أن الرسول عليه السلام فرق هو وجبريل بين الإسلام والإيمان حين سأله فقال له ما الإيمان ؟ فقال له صلى الله عليه وسلم : « أَنْ تَوَافِقَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْقَدَرِ خَيْرُهُ وَشَرُّهُ حُلُوهُ وَمَرُّهُ » فقال جبريل عليه السلام : صدقت . والمراد بجميع ذلك أن تصدق بالله ورسوله إلى آخر ما ذكر ثم قال له فما الإسلام ؟ فقال : « أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ وَإِنْ تَقِيمَ الصَّلَاةَ وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ وَتَصُومَ شَهْرَ رَمَضَانَ وَتَحُجَّ الْبَيْتَ وَتَغْتَسِلَ مِنَ الْجَنَابَةِ » وهذا واضح في كونهما غيرين وإن محل الإيمان القلب وهو التصديق ومحل الإسلام الجوارح وهذا الحديث يقوى لك جميع ما ذكرت لك . وإن التصديق متى اختلف منه شيء انحرم الإيمان ، والقول والعمل يزيد وينقص ولا ينخرم الإيمان مع التصديق بجميع ما جاء به الرسل عليهم السلام فعلى ما قررت لك لا يجوز أن نطلق فتقول إيمان أحدنا كإيمان جبريل ولا كإيمان محمد صلى الله عليه وسلم ولا كإيمان الصديق رضي الله عنه (١) ، بل نمنع من ذلك ونريد به أن إيمان هؤلاء أفضل وأكمل وأرفع من طريق الحكم الذي بينت لك ومن طريق آخر وهو أنه قد بان لهؤلاء من دلائل الواحدانية أكثر مما بان لنا فلا نطلق التسوية بين إيمانهم وإيماننا ، ولا نريد بذلك أننا نصدق ببعض ما جاء به الرسل عليهم السلام والصديق يصدق بالجميع بل لا يصح لأحد إيمان حتى يصدق بالجميع لكن إيمان الصديق أكمل وأفضل من الوجوه التي بينت لك .

مسألة : ويجب أن يعلم أنه يجوز أن يقول العبد أنا مؤمن حقاً ويعنى به في الحال ويجوز أن يقول أنا مؤمن إن شاء الله ويعنى به في المستقبل . فإما في الماضي وفي الحال فلا يجوز

(١) ومن يجعلهم سواسية في الإيمان يريد تساويهم في الاعتقاد الجازم فقط (ز).

أن يقول ان شاء الله لأن ذلك يكون شكاً في الإيمان ولأن الاستثناء انما يصح في المستقبل ولا يصح في الماضي وقد بين ذلك سبحانه وتعالى في قوله لرسوله صلى الله عليه وسلم : (ولا تقولن لشيء انى فاعل ذلك غداً إلا ان يشاء الله ١٨ - ٢٣ و ٢٤) وكذلك قال صلى الله عليه وسلم : « إنا غداً ان شاء الله نازلون بخيف بنى كنانة » ولأن المشيئة لله تعالى سابقة لكل موجود فلو لا المشيئة لما وجد الموجود فكما لا يجوز أن يستثنى في الحال فلا يجوز أن يقطع في المستقبل فاعلم ذلك وتحققه .

مسألة : ويجب أن يعلم أن الإسم هو المسمى بعينه وذاته والتسمية الدالة عليه تسمى اسماً على سبيل المجاز .

والدليل عليه قوله تعالى : (تبارك اسم ربك ٥٥ - ٧٨) ومعناه تبارك ربك . وأيضاً قوله تعالى : (سبح اسم ربك ٨٧ - ١٢٨) ولا يشك عاقل أن المسبَّح هو الله تعالى لا قول من يقول التسبيح ويدل عليه قوله تعالى : (ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها اتم وأباؤكم ما انزل الله بها من سلطان إن الحكم إلا لله امر الا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ١٢ - ٤٠) وقد علمنا أنهم ما كانوا يعبدون الاقوال والتسميات وإنما كانوا يعبدون ذوات الأصنام ، فاما قوله تعالى : (والله الأسماء الحسنى ٧ - ١٢٨) وقوله صلى الله عليه وسلم : « ان لله تسعة وتسعين اسماً من احصاها دخل الجنة » فالعدد في ذلك راجع إلى التسميات التي هي عبارات الاسم فالتسمية تدل على الذات حسب دلالة الكتابة على المكتوب فمن لا يميز بين الاسم والتسمية وبين الكتابة والمكتوب وما جرى هذا المجرى فلا يحل الله له أن يفتى في دين الله تعالى نعوذ بالله من الجهل بالله تعالى وصفاته .

مسألة : ويجب أن يعلم أنه يجوز لله تعالى ارسال الرسل وبعث الأنبياء خلافاً لما تدعيه البراهمة .

والدليل عليه ايضاً انه مالك الملك يفعل ما يشاء مع ما سبق من أنه ليس في إرسال الرسل استحالة ولا خروج عن حقائق العقول فدل على جواز ذلك .

مسألة : ويجب أن يعلم أن صدق مدعى النبوة لم يثبت بمجرد دعواه وإنما يثبت بالمعجزات وهي أفعال الله تعالى الخارقة للعادة المطابقة لدعوى الأنبياء وتحديدهم للأمم بالآتيان بمثل ذلك .

يبين لك ذلك أن موسى عليه السلام جاء في زمان سحرة وسحر فتحداهم بقلب العصا حية فعلم المحققون منهم في السحر أن ذلك خارج عن قبيل السحر لعجزهم عن ذلك وخرقه لعادة السحر فسارعوا إلى الإيمان وهذا يدل على فضل العلم من أى نوع كان فإنه أول من سارع إلى الإيمان السحرة لعلمهم بالسحر فكان في علمهم ذلك وإن كان باطلاً بفضل كبير على غيرهم من قومهم ممن لا يعلم السحر .

وكذلك عيسى عليه السلام جاء في زمان قوم طب ومداواة فأحيا الموتى وأبرأ الأكمة والأبرص فأتى بما هو خارج عن قبيل الطب خارقاً للعادة فيه لا يقدر عليه مخلوق .

وكذلك نبينا صلى الله عليه وسلم جاء في وقت فصاحة وشعر وخطب ونظم ونثر فاتاهم بما هو خارج عن عاداتهم في النظم والنثر وهو أفصح وأجزل وأوجز وتحداهم بالآتيان بمثله فوجدوا ذلك خارجاً عن نظمهم ونثرهم وخارقاً لعاداتهم فعجزوا عنه فسارع من هداه الله إلى الإيمان به والله الحمد والمنة على الهداية والتوفيق .

مسألة . ويجب أن يعلم أن نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم مبعوث إلى كافة الخلق وإن شرعه لا ينسخ بل هو ناسخ لجميع من خالفه من الملل .

والدليل على ذلك . ثبوت نبوته وصدق مقاله وقد أخبر بجميع ذلك . وأعلم أن أكبر معجزاته القرآن العربي وفيه وجوه من الإعجاز .

أحدها : ما اختص به من الجزالة والنظم والفصاحة الخارجة عن أساليب الكلام وتحدى به فصحاء العرب بأن يأتوا بسورة من مثله فعجزوا عن الآتيان بمثله وهم أهل الفصاحة والبلاغة ولم يأت لهم ذلك في مدة ثلاث وعشرين سنة .

ومن وجوه الاعجاز في القرآن اشتماله على قصص الأولين وما كان من اخبار الماضين مع القطع بانه صلى الله عليه وسلم كان امياً لا يكتب ولا يقرأ ولم يعهد منه صلى الله عليه وسلم في جميع زمانه تعاطي لدراسة كتب ولا تعلمها وقد نفي عنه سبحانه وتعالى ذلك بقوله : (وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه يمينك اذا لارتاب المبطلون ٢٩ - ٤٨) ومن وجود الاعجاز [أن] اشتمال القرآن على [ما لا يحصى من] علم غيوب متعلقة بالمستقبل ظاهر جلي مثل قوله تعالى : (والعاقبة للمتقين ٧ - ١٢٨) وقوله تعالى : (لتدخلن المسجد الحرام ٤٨ - ٢٧) . ومثل قوله (كتب الله لاغابن انا ورسلي ٥٨ - ٢١) إلى غير ذلك من وجوه الاعجاز في القرآن كثير جداً

وله صلى الله عليه وسلم آيات ومعجزات سوى القرآن كانشقاق القمر ، واستنزال المطر ، وإزالة الضرر من الأمراض ، ونبع الماء من بين أصابعه ، وتسليح الحصى في يده ونطق البهائم إلى غير ذلك من المعجزات والآيات الخارقة للعادة . صلى الله عليه وسلم رزقنا الله شفاعته وحشرنا في زمرة .

مسألة : ويجب أن يعلم أن نبوات الانبياء صلوات الله عليهم لا تبطل ولا تنخرم بخروجهم عن الدنيا وانتقالهم إلى دار الآخرة بل حكمهم في حال خروجهم من الدنيا كحكمهم في حالة نومهم وحالة اشتغالهم اما بأكل وشرب أو قضاء وطر . والدليل عليه : أن حقيقة النبوة لو كانت ثابتة لهم في حالة اشتغالهم باداء الرسالة دون غيرها من الحالات لكانوا في غيرها من الأحوال غير موصوفين بذلك . وقد غلط من نسب [إلى مذهب] المحققين من الموحدين إبطال نبوة الأنبياء عليهم السلام بخروجهم من دار الدنيا . وليس ذلك بصحيح لأن مذهب المحققين أن الرسول ما استحق شرف الرسالة بتأدية الرسالة ، وإنما صار رسولا واستحق شرف الرسالة والنبوة بقول مرسله وهو الله تعالى أنت رسولي ونبي . وقول الله تعالى قديم لا يزول ولا يتغير .

والدليل على صحة هذا أيضا أنه صلى الله عليه وسلم سئل فقل له : متى كنت نبياً فقال : كنت نبياً وآدم بين الماء والطين ، فحصل الجواب في هذا ان شرف النبوة وكال المنصب ثابت للأنبياء صلوات الله عليهم اجمعين الآن حسب ما كان ثابتاً لهم في حال الحياة لم يثلّم ولم ينتقص سواه نسخت شرائعهم أولم تنسخ ومن راجع نفسه ولم يغالط حسه عرف وتحقق أن النبي صلى الله عليه وسلم الآن لم يخاطب شفاها ولا بأمرهم ولا يكلمهم من غير واسطة لكن حكم شريعته وصحة نبوته ثابت لم ينتقص لأجل خروجه من الدنيا ولم تزل مرتبته ولا انخرمت رسالته ولا بطلت معجزته فاعلم ذلك وتحققه .

مسألة : ويجب أن يعلم أن أمام المسلمين وأمير المؤمنين ومقدم خلق الله اجمعين من الانصار والمهاجرين بعد الانبياء والمرسلين أبو بكر الصديق رضي الله عنه لقوله تعالى : (ثاني اثنين اذ هما في الغار ٩ - ٤٠) ولا افضل من اثنين ثالثهما الله تعالى لقوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ٥ - ٥٤) وهو الصديق وأصحابه لما قاتل أهل الردة . ولقوله تعالى : (والذي جاء بالصدق وصدق به ٣٩ - ٣٣) قيل في أصح التفاسير الذي جاء بالصدق محمد صلى الله عليه وسلم وصدق به أبو بكر الصديق يؤكد صحة هذا التفسير قوله صلى الله عليه وسلم : « قال الناس لي كذبت ، وقال أبو بكر صدقت ، ويدل عليه قوله تعالى : (لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك اعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير ٥٧ - ١٠) وهي الصديق رضي الله عنه أول من أنفق على رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤكد هذا قوله صلى الله عليه وسلم : « ان آمن الناس على في نفس ومال أبو بكر الصديق ما نفعني مال ما نفعني مال أبي بكر . »

ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم لأبي الدرداء : « اتمشي امام من هو خير منك والله ما طلعت الشمس ولا غربت على رجل بعد النبيين والمرسلين افضل من أبي بكر وليس في السماء ولا في الأرض بعد النبيين أو المرسلين خير من أبي بكر ، وكان

رضى الله عنه مفروض الطاعة لاجماع المسلمين على طاعته وامامته وانقيادهم له حتى قال امير المؤمنين على عليه السلام مجيباً لقوله رضى الله عنه لما قال : اقبلوني فلست بخيركم . فقال : لا نقيلك ولا نستقيلك قدمك رسول الله عليه وسلم لديننا ألا نرضاك لدنيانا . يعنى بذلك حين قدمه للامامة فى الصلاة مع حضوره واستنابته فى امارة الحج فأمره علينا . وكان رضى الله عنه أفضل الأمة ، وارجحهم ايماناً ، واكملهم فهماً وأوفرهم علماً واكثرهم حليماً وبه نطق قوله صلى الله عليه وسلم : « ولو وزن ايمان أبى بكر بايمان أهل الأرض لرجح ايمان أبى بكر على ايمان أهل الأرض » .

ثم من بعده على هذا امير المؤمنين عمر رضى الله عنه لاستخلافه اياه وقد ورد فى فضائله رضى الله عنه من الأحاديث ما لا يحصى .

ومن جملة ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « لو كان بعدى نبي لكان عمر ان الله ربط الحق بلسان عمر وقلبه » . وايضاً قوله صلى الله عليه وسلم : « كادت انفاس عمر تسبق الوحي » ، لأنه كلفه فى اسارى بدر وان تضرب اعناقهم فنزل قوله تعالى : (ما كان لنبى ان يكون له اسرى حتى يشخن فى الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم ٨-٦٧) فقال : « لو نزل من السماء عذاب ما نجا منه إلا عمر » حين نزل قوله تعالى : (لو لا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم ٨-٦٨) وقال : لو حجبت نسائك فإنه يدخل عليك البر والفاجر فنزلت آية الحجاب وقال : (عسى ربه ان طلقكن ٦٦ - ٥) فنزلت الآية فى ذلك وفضله اكثر من ان يحصى .

وبعد عمر امير المؤمنين عثمان رضى الله عنه لاجماع المسلمين انه من جملة الستة الذين نص عمر عليهم . وقد قال صلى الله عليه وسلم : ان عثمان اخى ورفيقى فى الجنة ، وقال صلى الله عليه وسلم : « لو كان لنا ثلاثة زوجنا كما يا عثمان » . وقال صلى الله عليه وسلم : « دعوت الله تعالى ان يرفع الحساب عن عثمان ففعل » . وقال صلى الله عليه وسلم : « من يزيد فى المسجد اضمن له الجنة ؟ » فزاد فيه عثمان . وقال : « من يشتري رومة اضمن له الجنة » فاشترى عثمان وجعلها للمسلمين . وقال : « من يحجز جيش العسرة فله الجنة » فجزه عثمان تسع مائة وخمسين بعيراً واثمها ألفاً وخمسين فرساً .

وبعده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم في فضائله أحاديث كثيرة منها : قوله صلى الله عليه وسلم : « اللهم ادر الحق مع علي حيث ما دار » . وقال صلى الله عليه وسلم : « اما ترضى أن تكون بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لاني بعدي » ، وقال صلى الله عليه وسلم : « لا عطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله » ، فاعطاها لعلي عليه السلام .

مسألة : والدليل على إثبات الإمامة للخلفاء الأربعة رضي الله عنهم على الترتيب الذي بيناه أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا اعلام الدين ومصاييح أهل اليقين شاهدوا التنزيل ، وعرفوا التأويل ، وشهد لهم النبي صلى الله عليه وسلم بانهم خير القرون فقال : « خير القرون قرن » ، فلما قدموا هؤلاء الأربعة على غيرهم ورتبهم على الترتيب المذكور علمنا أنهم رضي الله عنهم لم يقدموا احداً تشبيهاً منهم وانما قدموا من قدموه لا اعتقادهم كونه أفضل وأصلح للإمامة من غيره في وقت توليه .

قال الشريف الأجل الإمام جمال الاسلام ووقع لي أنا دليل من نص الكتاب في ترتيبهم على هذه الرتبة أنه لا يجوز أن يكون غير ذلك [هو] قوله تعالى : (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ٢٤ - ٥٥) ووعدده حق وخبره صدق لا يقع بخلاف مخبره فلا بد من أن يتم ما وعدهم به واخبر ان يكون لهم ولا يصح إلا على هذا الترتيب لأنه لو قدم على عليه السلام لم تقصر الخلافة فيها إلى احد من الثلاثة لأن علياً عليه السلام مات بعد الثلاثة . وكذلك لو قدم عثمان رضي الله عنه لم تقصر الخلافة إلى ابى بكر وعمر لأن عثمان مات بعد موتهمما ، ولو قدم عمر لم تقصر الخلافة إلى ابى بكر لأن عمر مات بعده والله تعالى أخبر ووعد انها تصير اليهم فلم يصح أن تقع إلا على الوجه الذي وقعت والله الحمد على الهداية والتوفيق .

مسألة ويجب أن يعلم أن ماجرى بين أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ورضى عنهم من المشاجرة نكف عنه وترحم على الجميع ، ونثى عليهم ونسال الله تعالى لهم الرضوان، والامان، والفوز، والجنان . ونعتقد ان علياً عليه السلام أصاب فيما فعل وله اجران . وان الصحابة رضى الله عنهم إنما صدر منهم ما كان باجتهاد فلهم الأجر ولا يفسقون ولا يبدعون .

والدليل عليه قوله تعالى : (رضى الله عنهم ورضوا عنه ٥ - ١١٩ و ٩ - ١٠٠ و ٥٨ - ٢٢ و ٩٨ - ٨) وقوله تعالى : (لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم واثابهم فتحاً قريباً ٤٨ - ١٨) وقوله صلى الله عليه وسلم : « إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله اجران وإذا اجتهد فأخطى فله أجر ، فإذا كان الحاكم في وقتنا له اجران كل اجتهاده فما ظنك باجتهاد من رضى الله عنهم ورضوا عنه .

ويدل على صحة هذا القول قوله صلى الله عليه وسلم للحسن عليه السلام : « إن ابني سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين ، فأثبت العظم لكل واحدة من الطائفتين وحكم لهم بصحة الإسلام . وأيضاً قوله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « يكون بين اصحابي هنات ونزغات يكفرها الله تعالى لهم ويشق فيها من شقى ، . وقد وعد الله هؤلاء القوم بنزع الغل من صدورهم بقوله تعالى : (ونزعنا ما في قلوبهم ^(١) من غل أخواناً على سرر متقابلين ١٥ - ٤٧)

مسألة : ويجب أن يعلم أن خير الأمة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأفضل الصحابة العشرة الخلفاء الراشدون الأربعة رضى الله عن الجميع وأرضاهم ، ونقر بفضل اهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكذلك نعترف بفضل أزواجه رضى الله عنهن وانهن امهات المؤمنين كما وصفهن الله تعالى ورسوله ونقول في الجميع

خير آ ، ونبدع ، ونضلل ، ونفسق من طعن فيهن أوفى واحدة منهن لنصوص الكتاب والسنة في فضلهم ومدحهم والثناء عليهم فمن ذكر خلاف ذلك كان فاسقاً مخالفاً للكتاب والسنة نحوذ بالله من ذلك .

مسألة : ويجب السكف عن ذكر ماشجر بينهم والسكوت عنه لقوله صلى الله عليه وسلم : « اياكم وماشجر بين أصحابي » وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قيل له : ما تقول فيما شجر بين الصدر الأول ؟ فقال : أقول كما قال الله تعالى : (ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا) (٥٩ - ١٠) . وسئل عن ذلك جعفر بن محمد الصادق عليه السلام فقال : أقول ما قال الله : (عليها عند ربى فى كتاب لا يضل ربى ولا ينسى ٢٠ - ٤٢) . وسئل بعضهم عن ذلك فقال : (تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون ٢ - ١٣٤ و ١٤١) . وسئل عمر بن عبد العزيز عن ذلك فقال : تلك دماء طهر الله يدي منها أفلا اطهر منها لساني ؛ مثل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل العيون ودواء العيون ترك مسها)

مسألة : ويجب أن يعلم أن الإمامة لا تصلح إلا لمن تجتمع فيه شرائط .

منها : أن يكون قرشياً لقوله عليه السلام : « الأئمة من قریش » .

والثانى : أن يكون مجتهداً من أهل الفتوى لأن القاضى الذى يكون من قبله يفتقر إلى ذلك فالإمام أولى .

والثالث : أن يكون ذانجدة وكفاية وتهد لسياسة الأمور ويكون حراً ورعاً فى دينه . وهذه الشرائط كانت موجودة فى خلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال عليه السلام : « الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم تصير ملكاً » وكانت أيام الخلفاء الأربعة هذا القدر وفقنا الله للصواب وعصمنا من الخطأ والزلل بمنه ورحمته .

فصل : اعلموا رحمنا الله وإياكم أن أهل البدع والضلال من الخوارج ، والروافض والمعتزلة قد اجتهدوا أن يدخلوا على أهل السنة والجماعة شيئاً من بدعهم وضلالهم فلم يقدرُوا على ذلك لذنب أهل العلم ودفع الباطل حتى ظفروا يقوم في آخر الوقت ممن تصدى للعلم ولا علم له ولا فهم ، ويستنكف ويتكبر أن يتفهم وأن يتعلم لأنه قد صار متصديراً معلماً بزعمه فيرى بجهله أن عليه في ذلك عاراً وغضاضة وكان ذلك منه سبباً إلى ضلاله وضلال جماعته من الأمة .

وأعلم أن أخبث من ذكرنا من المبتدعة وأكثرهم شبهاً وأعظمهم استجلاباً لقلوب العوام ، المعتزلة ، فجعلوا يتطلبون أن يضلوا من ذكرنا في مسألة القدر فلم يقدرُوا ، وكذلك في مسألة الرؤية فلم يقدرُوا ، وكذلك في مسألة الشفاعة والصراط والميزان ، وعذاب القبر وجميع ما انكروه مما صححت فيه الآثار فلم يقدرُوا عليهم في شيء من ذلك ولم يظفروا به فجاؤا إلى مسألة القرآن وعقدتهم فيه أنه مخلوق محدث موصوف بصفات المخلوقين فما قدرُوا أن يصرحوا بكونه مخلوقاً فما زالوا يحسنوا لهم أموراً حتى قالوا بأن القرآن يتصف بصفات الخلق وذلك أكبر عمدة لهم في كونه مخلوقاً فرضوا منهم بأن يقولوا بخلق القرآن معنى وإن لم يصرحوا به نطقاً . وكان أكبر غرض هؤلاء الجهالة ممن يتصدى للعلم وليس من أهل ذلك أن ينفروا العوام من أهل التحقيق والذين يعرفون مغزاهم في ذلك حتى لا يسمع كلامهم ولا يتعلم منهم حتى ينقضوا شيئاً فشيئاً ويتم لهم ما أرادوا في الجاهل والعوام . وأنا بحمد الله وعونه وحسن توفيقه أبين لك ذلك مسألة مسألة واذكر لك شبههم في كل مسألة وهي أربع مسائل : مسألة القرآن وهي أهمها : و(الثانية) : مسألة القدر والجرح والتعديل و(الثالثة) : مسألة الرؤية : و(الرابعة) : مسألة الشفاعة .

مسألة : اعلم ان الله تعالى متكلم له كلام عند أهل السنة والجماعة وان كلامه قديم ليس بمخلوق ، ولا مجعول ، ولا محدث بل كلامه قديم صفة من صفات ذاته كعلمه وقدرته و ارادته ونحو ذلك من صفات الذات . ولا يجوز ان يقال كلام الله عبارة ولا حكاية ولا يوصف بشيء من صفات الخلق ولا يجوز ان يقول أحد لفظي بالقرآن مخلوق ولا غير مخلوق ولا اني اتكلم بكلام الله هذه جملة أنا افصلها واحدا واحدا ان شاء الله تعالى .

مسألة : فاما الدليل على كون كلام الله قديماً غير مخلوق فمن الكتاب قوله تعالى : (الا له الخلق والأمر ٧ - ٥٤) فصل بين الخلق والأمر فدل على أن الأمر غير مخلوق لأن كلامه أمر ونهى وخبر . وأيضاً قوله تعالى : (والله يقول الحق ٣٣ - ٤) ويدل عليه أيضاً قوله تعالى : (إنما قولنا لشيء إذا اردناه أمرٌ نقول له كن فيكون ١٦ - ٤٠) ولو أن كلامه مخلوق لاحتاج في خلقه إلى قول يقول به كن واحتاج القول إلى قول ثالث والثالث إلى رابع إلى ما لا نهاية له وهذا محال باطل فثبت أن القول الذي تكون به الأشياء المخلوقة غير مخلوق وهو كلامه القديم .

ويدل عليه من السنة قوله صلى الله عليه وسلم : « فضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على سائر خلقه » . فلما كان فضل الله على خلقه بقدمه ودوامه لأنه غير مخلوق وهم مخلوقون فكذلك القول في كلامه فوجب أن يكون غير مخلوق وكلامهم مخلوقا .

ويدل عليه أيضاً ان ابا الدرداء لما سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القرآن فقال : « كلام الله غير مخلوق » .

ويدل عليه أيضاً اجماع الصحابة وهو أن علياً عليه السلام لما إنكر عليه التحكيم وكفر الخوارج فقال بحضرة الصحابة : والله ما حكمت مخلوقا وانما حكمت القرآن . ولم ينكر ذلك منكر فدل على أنه اجماع ولأنه لو كان مخلوقا لم يخل أن

يكون خلقه في نفسه أو في غيره . أو في شيء ولا يجوز أن يكون مخلوقا في نفسه لأن ذاته لا تقوم بها المخلوقات والحوادث يتعالى عن ذلك علواً كبيراً .

ولا يجوز أن يكون خلقه في غيره لأنه لو كان خلقه في غيره لكان ذلك الغير إلهاً ، أمراً ، ناهياً قائلاً : (يا موسى انه انا الله العزيز الحكيم ٢٧-٩) وهذا محال باطل ولا يجوز أن يكون خلقه في غير شيء لأنه يؤدي إلى وجود كلام من غير متكلم وهذا محال . فاذا ثبت بطلان هذه الثلاثة الأقسام لم يبق إلا أنه غير مخلوق بل هو صفة من صفات ذاته ، قديم بقدمه ، موجود بوجوده ، موصوف به فيما لم يزل وفيما لا يزال . ولا يجوز أن يباينه ولا يزايله ولا يحل في مخلوق ولا يتصف بالحوال رأساً فاعلم ذلك وتحققه .

فان احتجاجوا بقوله تعالى : (الله خالق كل شيء ١٣ - ١٦) وربما قرر عليك هذا السؤال ، والدليل كما قرره بشر المريسي على عبد العزيز المكي وهو انه قال له : اتقول ان القرآن شيء أو ليس بشيء ؟ فقال : بل هو شيء فقال يا أمير المؤمنين سلم أن القرآن مخلوق لأن الله تعالى قال : (الله خالق كل شيء ١٣ - ١٦) والجواب أن يقال في أول [الأمر أي] شيء أردت بقولك أنه شيء [فان أردت] أنه موجود ثابت فنعم ، وان أردت بقولك أنه شيء كالأشياء من حيث خروجه من العدم إلى الوجود كالأشياء الموجودة بعد العدم فلا نقول ذلك .

والموجود الثابت لا يدل على أنه مخلوق محدث فان الله موجود ثابت دائم الوجود ليس بمخلوق . وأما الجواب على جملة (خالق كل شيء) فالمراد به الخصوص دون العموم فانه ^(١) بعضه [قطعاً] وأنه [غير د] اخل في ذلك كما سمي نفسه فقال : (كتب على نفسه الرحمة ٦ - ١٢) ثم قال : (كل نفس ذائقة الموت ٢١ - ٣٥)

(١) أي فان المراد بعض الشيء (ز) .

ولا تدخل نفسه في ذلك وإنما المراد به كل نفس منقوسة مخلوقة كذلك قوله : (الله خالق كل شيء ١٣ - ١٦) يعنى مما يصح فيه الخالق والحدث ، وصفات ذاته قديمة بقدمه وموجودة بوجوده فلم تدخل في ذلك . ومثل هذا في القرآن كثير فان الله تعالى قال فيما أخبر به عن داود وسليمان عليهما السلام : (يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء ٢٧ - ١٦) ولم يؤتيا سماء ولا أرضاً ، ولا شمساً ولا قمرآ ولا جنة ، ولا ناراً ، ولا ملائكة ، ولا عرشاً ولا غير ذلك وإنما أراد أوتينا من كل شيء ينبغى لمثلنا . وكذلك قوله في قصة بلقيس : (واوتيت من كل شيء ٢٧ - ٢٢) ومعلوم أنها لم تؤت النبوة ولا تسخير طير الى غير ذلك إنما أراد به الخصوص دون العموم لأنها ما دمرت هوداً ، ولا السماء ، ولا الملائكة ، ولا الجبال إلى غير ذلك .

قال الشريف الأجل جمال الاسلام : ووقع لي جواب اخصر من هذا وأجود أن شاء الله وهو : أن يقول الآية حجة عليكم وان القرآن ليس بمخلوق وذلك أنه سبحانه وتعالى أفرد الخالق من المخلوق فسمى نفسه خالقاً وسمى كل شيء دونه مخلوقاً فالخالق بجميع صفات الذات غير مخلوق لأن الاسم هو المسمى على ماقررنا وهذا صحيح لأن الخالق هو الله العالم ، القادر ، المرید ، المتكلم وكلامه هو القرآن فدل على أنه غير مخلوق ولا داخل في الأشياء المخلوقة ، والذي يفهم من ذلك فان كل عاقل يعلم انه يصنع كل شيء غير ذاته بصفات من قدرته ، وحياته ، وعلمه ، وكلامه . وكذلك إذا قيل [آخذ] الملك اليوم كل أحد ، وصغر كل صفة وحقرها ومعلوم [ان ذاته مادخلت] في المفعولين ولا دخلت صفاته في التحقير والتصغير فكذاك قوله : (الله خالق كل شيء ١٣ - ١٦) يعنى غير ذاته ، وذاته قديمة غير مخلوقة بجميع صفاتها فصح أن الآية حجة عليهم لا لهم . فان احتجوا بقوله تعالى : (ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث ٢١ - ١٢) فوصفه بالحدث والحدث هو الخالق الجواب من ثلاثة أوجه : -

أحدها : ان الآية حجة عليهم لأنها تبدل على أن من الذكر ما ليس بمحدث

لأنه لم يقل ما يأتيهم من ذكر إلا كان محدثاً . فثبت أن من الذكر ما هو قديم ليس بمحدث فيجب أن يكون القرآن لأن الاجماع قد وقع على أن كل ذكر غيره ، مخلوق فلم يبق ذكر غير مخلوق غير كلامه سبحانه وتعالى .

الجواب الثاني : ان الذكر ها هنا يراد به وعظ الرسول صلى الله عليه وسلم لهم وتوعده لهم وتخويفه لأن وعظ الرسل عليهم السلام يسمى ذكراً يدل عليه قوله تعالى : (فذكرناهم أنما أنت مذكر ٨٨ - ٢١) ويقال : فلان في مجلس الذكر يعنى في مجلس الوعظ . الذى يحقق ذلك أن قریشاً لم تلعب عند سماع القرآن ولكنها كانت تفهم عند سماعه حتى قال عتبة : والله لقد سمعت كلاماً ما هو بالشعر ، وان أسفله لمغدق وان أعلاه لمشر ، وان عليه لطلاوة ، وان له لحلاوة . وفزعوا أيضاً أن تفتن عند سماعه نساؤهم وأولادهم حين كان يقرأ ابو بكر رضى الله عنه .

الجواب الثالث : انه اراد ما يأتيهم من نهى محدث مجدد بعد نبى إلا استمعوه وهم يلعبون هل هذا لإبشر ، وقد سمي الله تعالى رسوله ذكراً بقوله : (رسولاً يتلو عليكم آيات الله مبينات ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً قد أحسن الله له رزقا ٦٥ - ١١) .

فان احتجوا بقوله تعالى : (وكان امر الله مفعولاً ٤ - ٤٧) (وكان امر الله قدراً مقدوراً ٣٣ - ٣٨) فالجواب : انه تعالى اراد عقابه وانتقامه من الكافرين ونصره للمؤمنين وما حكم به وقدره من أفعاله وهذا بمنزلة قوله (حتى إذا جاء أمرنا) (٤٠ - ١١) يعنى ما أمرنا به من زيادة الماء واغراق الكافرين من قوم نوح عليه السلام ولم يعن (قوائنا) وكذلك ايضا قال : (وما امر فرعون برشيد ١١ - ٩٧) يعنى شأنه وأفعاله وطرائقه ولم يرد (قوله) وهذا بمنزلة قول القائل : —

فقلت لها امرى إلى الله كله وإن اليه فى الاياب لراجع

يعنى سرى وافعالى ولم يرد بذلك الامر من القول ، وجمع هذا امور ، وجمع الامر من القول الاوامر . ولولا عجزهم وجهلهم لم يلجؤا الى مثل هذا التويه على العوام والجهال مثلهم . ولو نظروا الى قوله تعالى : (وأفوض امرى إلى الله ٤٠ - ٤٤) تعالى انه أراد بذلك افعالى وامورى دون امره الذى هو قوله : (حتى تبين لهم انه الحق ٤١ - ٥٣) ورجعوا اليه .

فان احتجاجوا بقوله تعالى : (انا جعلناه قرآنا عربيا ٤٣ - ٣) والمجعل مخلوق بدليل قوله تعالى . (وجعلنا من الماء كل شئ حى ٢١ - ٣٠) أى خلقنا فالجواب من ثلاثة أوجه : —

أحدها : ان معنى ذلك انا سميناه قرآنا عربيا ، والجعل يكون بمعنى التسمية بدليل قوله عز وجل : (الذين جعلوا القرآن عضين ١٥ - ٩١) يعنى سموه فبعضهم سماه شعرا ، وبعضهم سحرا . وبعضهم كهانة إلى غير ذلك ولم يرد انهم خلقوه . وكذلك قوله تعالى : (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا أشهدوا خلقهم مستكتب شهادتهم ويسئلون ٤٣ - ١٩) يعنى سموهم وحكموا عليهم بذلك ولم يرد انهم خلقوهم . وكذلك قوله تعالى : (وجعلوا لله اندادا ١٤ - ٣٠) يعنى سموا . وكذلك قوله تعالى : (ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب واكثرهم لا يعقلون ٥ - ١٠٣) وفى القرآن مثل هذا كثير .

الجواب الثانى : انه اراد انا جعلنا قراءته وتلاوته بلسان العرب وافهمنا احكامه . والمراد به باللسان العربى وتسكون الفائدة فى ذلك الفرق بينه وبين التوراة والانجيل لأنه جعل تلاوة الكتابين المذكورين وافهام احكامهما باللسان العبرانى والسريانى وجعل تلاوة هذا الكتاب وافهام احكامه والمراد به بلسان العرب ولو عرفوا الفرق بين التلاوة والمتلو لم يموهوا بمثل هذا التويه .

والجواب الثالث : ان الجعل اذا عُدى إلى مفعول واحد كان ظاهره الخلق ،
واذا عُدى إلى مفعولين كان ظاهره الحكم والتسمية في أكثر الاستعمال . ولذلك
لا يجوز أن يقول القائل : جعلت النجم والرجل ويسكت حتى يصله بقوله : جعلت
النجم هادياً ودليلاً ، وجعلت الرجل صديقاً وصاحباً . فلما قال الله تعالى : (انا جعلناه
قرآنا عربياً ٤٣ - ٣) تعدى إلى مفعولين فيكون بمعنى الحكم والتسمية .

فان احتجوا بقوله تعالى : (واذا بدلنا آية مكان آية ١٦ - ١٠١) وقالوا :
ما يغير ويبدل فهو مخلوق لا محالة قلنا : هذا جهل منكم ايضاً وذلك ان التبديل
والنسخ انما يكون ويتصور في الرسم من خط أو تلاوة ؛ أو في حكم فيكون تقدير
الكلام واذا بدلنا حكم آية أو تلاوة آية دون المتلو القديم الذي لا يتصور عليه
تبديل ولا تغيير وقد بين ذلك سبحانه وتعالى وأخبر أن كلامه القديم لا يغير
ولا يبدل .

دليل الأول : قوله تعالى : (واذا بدلنا آية مكان آية ١٦ - ١٠١) يعني حكم آية
أو تلاوتها .

ودليل الثاني : قوله تعالى : (ولا تبدل لكلمات الله ٦ - ٣٤) وقوله تعالى :
(لا تبدل لكلماته ٦ - ١١٥) فآخبر تعالى ان التبديل يتصور في احكام كلامه وتلاوة
كلامه دون كلامه القديم الذي هو صفة من صفات ذاته ولو حققوا الفرق بين
التلاوة والمتلو سلبوا وجميع من وافقهم من الجهال الذين سلبوا لهم وفق مذهبهم
من خلق القرآن معنى ومنعوه نطقاً نعوذ بالله من الجهل وسنبلين هذا الأمر إن
شاء الله على الاستيفاء بالكمال في مسألة الفرق بين التلاوة والمتلو ، والقراءة
والمقروء .

فان احتجوا بقوله تعالى : (ولئن شئنا لنذهبن بالذى اوحينا إليك ١٧ - ٨٦)
وقالوا : ما جاز عليه الذهاب والعدم فانه مخلوق .

فالجواب عن هذا السؤال مثل الجواب المتقدم لأن الذهاب والعدم إنما يكون في الحفظ والرسم دون المحفوظ الذى هو كلام الله تعالى . ويدل على صحة هذا ان ابن مسعود رضى الله عنه لما قال : استكثروا من قراءة القرآن قبل أن يرفع . ثقل له : كيف يرفع وقد حفظناه في صدورنا واثبتناه في مصاحفنا ؟ . فقال : يسرى عليه فيذهب حفظه من الصدور ، ورسمه من المصاحف . وهذا صحيح لأن حفظ المخلوق مخلوق مثله وحفظه مخلوق مثله فتصور عليه الذهاب والعدم بالنسيان والحو . وأما المحفوظ والمكتوب^(١) الذى هو كلامه القديم فلا يتصور عليه ذلك فاعلم ذلك وتحققه .

فان احتجاجوا بقول النبي صلى الله عليه وسلم : « لا تسافروا بالقرآن الى ارض العدو مخافة ان تناله ايديهم » قالوا : وما جاز أن ينتقل ويتحول ويسافر به فهو مخلوق . قلنا : كم هذا التويه الذى تشبهون به على العوام وجهال الناس ، لان النبي صلى الله عليه وسلم إنما اراد بهذا الكلام حمل المصحف الذى فيه كلام الله مكتوب ولم يرد بذلك نفس كلامه القديم الذى هو صفة من صفات ذاته وقد قرنه صلى الله عليه وسلم بما يدل على أن المراد به المصحف دون غيره الا تراها قال : « مخافة ان تناله ايديهم » ومعلوم أن الذى تناله ايديهم إنما هو المصحف دون غيره وقد بين عليه السلام ذلك فى حديث آخر ، وهو قوله صلى الله عليه وسلم لبعض اصحابه : « لا تمس القرآن إلا وانت طاهر » يريد بذلك المصحف التى يكتب فيها القرآن دون نفس القران الذى هو كلام الله تعالى لانه صفة من صفات ذاته ولا يتصور على صفات ذاته اللمس ونيل الأيدى .

فان قالوا : اجمعنا على ان القرآن سور ، والسور آيات ، والآيات كلمات ، والكلمات حروف واصوات . وجميع ذلك يدل على كونه محدثا مخلوقا لان السور

(١) وصف القرآن القائم بالله سبحانه بالمكتوب ، والمحفوظ ، والمتلو من قبيل وصف المدلول بوصف الدال مجازاً كما حققه التفتازانى فى شرح المقاصد على ما سبق (ز) .

معدودة محسوبة لها أول وآخر ، وكذلك الآيات والحروف وما دخله الحصر والعد وكان له أول وآخر فهو مخلوق ، وهذه الشبهة التي سخّمت وجوه من وافقهم في مقالتهم هذه من أهل السنة الجاهل بطرق التحقيق حيث سلموا لهم مع زعمهم أنه كلامه ليس بمخلوق مقرر روء من هذه الشبهة وقالوا مثل قولهم أن كلمة حروف وأصوات فانا لله وانا اليه راجعون . (١)

والجواب عن هذه الشبهة : أن يقال لهم : أما ما ذكرتم من الحصر ، والتحديد والتبعض ، والحروف ، والأصوات فجميع ذلك راجع الى تلاوة المخلوقين دون كلام الله تعالى الذي هو صفة من صفات ذاته لأن جميع ما ذكرتم يحتاج الى مخرج من لسان ، وشفقين ، وحلق والله يتعالى لم يتنزه عن جميع ذلك . بل نقول ان كلامه

(١) قال السعد في شرح المقاصد : (انتظم من المقدمات القطعية والمشهورة قياسان ينتج احدهما قدم كلام الله تعالى ، وهو انه من صفات الله وهي قديمة ، والآخر حدوثه وهو انه من جنس الأصوات ، وهي حادثه ، فاضطر القوم الى القدح في احد القياسين ومنع بعض المقدمات ضرورة امتناع حقيقة النقيضين ، فنعت المعتزلة كونه من صفات الله تعالى ، والكرامية كون كل صفة قديمة ، والأشاعرة كونه من جنس الأصوات والحروف ، والحشوية كون المنتظم من الحروف حادثا ، ولا عبرة بكلام الكرامية والحشوية ، فبقى النزاع بيننا وبين المعتزلة . وهو في التحقيق عائد الى إثبات الكلام النفسى ونفيه ، وأن القرآن هو أو هذا المؤلف من الحروف الذي هو كلام حسى أولا . فلا نزاع لنا في حدوث الكلام الحسى ولاهم في قدم النفسى لو ثبت) ثم قال السعد : (وعلى البحث والمناظرة في ثبوت الكلام النفسى وكونه هو القرآن ينبغي ان يحمل ما نقل من مناظرة ابى حنيفة وابى يوسف ستة أشهر ثم استقر رأيهما على ان من قال بخلق القرآن فهو كافر) وهذا التحقيق هو مفتاح هذا البحث الطويل العريض . وقد أثبت المصنف الكلام النفسى بكل ما جلاء في موضعه ، وحدث ما سواه بما في الأذهان والألسنة والخطوط جلي واضح عند أرباب العقول فوق الحق وبطل ما كانوا يعملون (ز) .

صفة له قديمة لا يحتاج فيه الى اداة من صوت ، أو حرف ، أو مخرج . يتعالى عن ذلك علواً كبيراً .

وكذلك ما ذكرتم من الحصر ، والعد ، والأول ، والآخر انما ذلك راجع الى تلاوة المخلوقين لكلامه وكتبتهم لكلامه دون كلامه الذى هو صفة وقدين ذلك سبحانه وتعالى باظهر بيان لمن كان له فهم صحيح لانه تعالى قال : (قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربى لنفد البحر قبل ان تنفذ كلمات ربى ولو جئنا بمثله مدداً ١٨ - ١٠٩) وقوله تعالى : (ولو ان مافى الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله ان الله عزيز حكيم ٣١ - ٢٧) ومعلوم ان الكاتب منا يكتب عدة مصاحف بمحبرة واحدة ، ويتلو التالى من اعادة ختمات فالمحصور والمعدود المحدود الذى يتصف بأول واخر صفاتنا من تلاوتنا لكلامه ، وخطنا لكلامه ، وحفظنا لكلامه . فاما صفته التى هى كلامه على الحقيقة فلا تتصف بالزوال ، والحصر ، والعد ، والأول والآخر على ما اخبر سبحانه وتعالى على مقتضى التحقيق لان كل ما اتصف بالبداية والفراغ والحصر والعد فانما هى صفة المخلوق لا صفة الخالق القديمة بقدمه الموجودة بوجوده التى لا يجوز ان تتقدم عليه ولا تتأخر عنه فاعلم هذه الجملة وتحققها تسلم من ضلالة الفريقين وتخلص من جهل الطائفتين .

مسألة : ويجب أن يعلم أن القراءة غير المقروء ، والتلاوة غير المتلو (١) والكتابة غير المكتوب وهذا انما خالف فيه من لاحس له ، ولا فهم ، ولا عقل ، ولا تصور ، (١) اعلم ان المتلو فى الحقيقة هو اللفظ ، والمكتوب هو أشكال الحروف ، والمحفوظ هو الحروف المتخيلة ، والمسموع هو الصوت ، واما التلاوة ، والكتابة والحفظ ، والسمع بالمعنى المصدرية فانما هى نسب بين التالى والمتلو ، والكاتب والمكتوب ، والحافظ والمحفوظ ، والسامع والمسموع فطرفا كل من هذه النسب مخلوقان ، وإنما القديم هو مقام به سبحانه ، واطلاقنا المتلو والمحفوظ والمكتوب والمسموع ونحو ذلك على مقام به سبحانه من قبيل وصف المدلول بصفة الدال كما ذكرت فيما علقنا على الاسماء والصفات نص قول السعد فى شرح المقاصد فى ذلك (ز) .

ونحن بحمد الله نبين الفرق بين الأمرين من الكتاب والسنة ودليل العقول .
 فاما الدليل من الكتاب فكثير جداً . أحدها : قوله تعالى : (وقرأنا فرقناه
 لتقرأه على الناس على مكث ١٧ - ١٠٦) فآخبر تعالى ان القرآن منه منزل موحى
 وان الرسول يقرأه ويعلمه فالموحى المنزل المقروء هو كلام الله تعالى القديم وصفة
 ذاته والقراءة له فعل الرسول التي هي صفته . وايضاً قوله تعالى : (يا أيها الرسول
 بلغ ٥ - ٩٧) ففعل الرسول البلاغ الذي هو القراءة : وقوله تعالى : (لا تحرك به
 لسانك ٧٥ - ١٦) وقوله تعالى : (إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي
 الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم ٢٢ - ٥١) وقوله تعالى : (يتلونه حق
 تلاوته ٢ - ١٢١) وقوله تعالى : (إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرّمها
 وله كل شيء . وأمرت أن يكون من المسلمين ٢٧ - ٩١) (وان اتلو القرآن ٢٧ - ٩٢)
 فمعلوم ان هاهنا أمر أمر بشيئين وهو الله تعالى ، ومأمور وهو الرسول فأمره
 بالعبادة له ففصل هاهنا أمر ، ومأمور ، ومأمور به ، فالأمر هو الله تعالى ، والمأمور
 الرسول ، والمأمور به العبادة ، فالمعبود غير العبادة التي هي فعل الرسول ، فكذلك
 التلاوة (١) غير المتلو ، لأن التلاوة فعل الرسول وهو المأمور بها ، والمتلو كلامه القديم
 ولم يأمره ان يأتي بكلامه القديم لأن ذلك لا يتصور الأمر به ولا يدخل تحت قدرة
 مخلوق ، انما أمر بتلاوة (١) كلامه كما أمر بعبادته وعبادته غيره ، فكذلك تلاوة كلامه
 غير كلامه ، فحصل من هذا : قال . وهو الرسول عليه السلام وتلاوته صفة له . ومتلو :

(١) وبما يجب الانتباه اليه هنا ان التلاوة بالمعنى المصدرى لها طرفان كما سبق
 جانب الفاعل وجانب الأثر المترتب عليه الذي يتم له الحاصل بالمصدر المبني للمفعول
 وهذا هو المتلو حقيقة فالتالي والمتلو بهذا المعنى مخلوقان واماما دل عليه هذا الصورت
 المكيف فهو صفة لله قائمة به وقديمة قدم باقي صفاته الذاتية الثبوتية فليس مراد المصنف
 بالمتلو والمحفوظ زالمكتوب ما هو أثر مترتب على المعنى المصدرى للتلاوة والحفظ
 والكتابة بل مراده بها الصفة القائمة بالله التي لا ترتب ولا تقدم ولا تأخر فيها . وفي
 شرح المقاصد تفصيل ذلك (ز) .

وهو كلام الله القديم الذي هو صفة له . ويدل عليه ايضاً قوله تعالى : (فاذا قرأت القرآن) (فرق بين القراءة والمقروء : وايضاً قوله تعالى : (واتل ما أوحى إليك من كتاب ربك ١٨ - ٢٧) فذكر قرآءة ومقروءاً ، وتلاوة ، ومتلواً ، وعند الجاهل ان ذلك شيء واحد .

وايضاً فإنه امر بالتلاوة والقراءة ، والأمر هو استدعاء الفعل ، والفعل صفة المأمور لا صفة الأمر الا يرى أنه امر بالعبادة ، والعبادة صفة العابد لا المعبود . ويدل عليه ايضاً قوله تعالى : (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك ٢٩ - ٤٨) فآخبر تعالى أنه لم يكن تالياً ، ثم جعله تالياً ، ولم يكن كاتباً ، ولم يجعله ايضاً في الثاني كاتباً ، وقد جعل غيره تالياً لكلامه كاتباً ، ومعلوم عند كل عاقل ان ما لم يكن ثم كان وهي التلاوة صفة للرسول لم يكن موصوفاً بها ثم صار موصوفاً بها غير كلام الله الذي هو صفة له لا يستحق غيره الوصف بها ولا يتصف بأنه لم يكن ثم كان ، ومعلوم ان الرسول كان تالياً قبل أن تكون امته تالية ، وحافظاً قبل أن تكون امته حافظة ، ثم صارت امته تالية حافظة لما اقرأها وحفظها ، فتلاوته غير تلاوة امته لتقدمها عليها وتلاوة امته غير تلاوته لتأخرها عنها والذي تلاه بتلاوته فهو كلام الله القديم و [كذا] الذي تلتته امته بتلاوتها . فلا يخفى على عاقل ان التلاوة غير المتلو ، كما ان العبادة غير المعبود ، والذكر غير المذكور ، والشكر غير المشكور ، والتسبيح غير المسبح ، والدعاء غير المدعو إلى غير ذلك . ويدل على صحة ذلك من السنة وان القراءة والتلاوة صفة القارى ، والمقروء المتلو صفة البارى قوله صلى الله عليه وسلم : « من اراد ان يقرأ القرآن غصاً فليقرأ على قراءة ابن ام عبد ، يعنى ابن مسعود فاضاف القراءة إلى ابن مسعود ، والمقروء صفة الله تعالى ، والذي يدل على صحة هذا القول انه يجوز ان يقال هذا الحرف قراءة ابن مسعود وليس قراءة أبي وغيره من القراء ، ولا يجوز ان يقال ان المقروء الذي يقرأه ابن مسعود غير المقروء الذي يقرأه أبي ، لأن القراءة تكون غير القراءة والقرآن الذي يقرأه هذا بقراءته هو القرآن الذي يقرأه هذا انه شيء واحد لا يختلف ولا يتغير وان تغيرت القراءة له واختلفت . والذي يوضح لك هذا ويبينه تبيناً مستوفياً

ان عمر رضى الله عنه لما مر على بعض الصحابة وهو يقرأ سورة الفرقان على خلاف قراءة عمر فانكر ذلك عليه وقال : قد قرأتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم على خلاف هذه القراءة ولبيه حتى اتى به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قال : دخل عنه ؛ إقرأ يا عمر فقرأ فقال : هكذا انزل ، ثم قال للآخر . اقرأ فقرأ بالقراءة التي سمعها عمر منه فقال : هكذا انزل . ان هذا القرآن انزل على سبعة أحرف فاقرأوا ما تيسر منه . فاخبر صلى الله عليه وسلم باختلاف القرائتين وان كل واحدة منهما تؤدي إلى ما تؤدي اليه الأخرى وهو المتلو المقروء القديم الذى لا يختلف ولا يتغير . وأيضاً ما روى عن ابن مسعود رضى الله عنه من عدة طرق عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن هذا القرآن مأدبة الله فاقبلوا مأدبته ما استطعتم واتلوه فان الله يأجركم على تلاوته بكل حرف عشر حسنة اما انى لأقول الم حرف ولكن بالالف عشر ، الحديث ... » .

وروى عنه صلى الله عليه وسلم : « من قرأ حرفاً من كتاب الله ، فأضاف القرآن إلى الله تعالى لأنه صفة من صفات ذاته ، وأضاف التلاوة إلى التالى لأنها صفة يؤجر عليها كما يؤجر على جميع أفعال طاعاته . وإيضاً قوله صلى الله عليه وسلم : « استقرئوا القرآن من أربعة من عبد الله بن مسعود ، وسالم مولى أبي حذيفة ، وأبي بن كعب ، ومعاذ بن جبل ، وهذا يدل على الفرق بين القراءة والمقروء ، والتلاوة والمتلو ؛ لأنه صلى الله عليه وسلم لما حضهم على أخذ القراءة للقرآن عن هؤلاء الأربعة لأنهم قد باينوا غيرهم من الصحابة رضى الله عنهم في جودة القراءة وصحتها والعلم بها ، وهذا المعنى صحيح لأن الغلط ، واللحن ، والتحريف ، والتصحيف إنما يقع في القراءة والتلاوة التي هي صفة القارى ؛ فاما القرآن المقروء فهو كلام الله تعالى الذى قد أخبر أنه لا يأتىه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ولأن القراءة تتعوج فيقومها القارى الماهر لأنها يجوز عليها التعويج والتغيير ؛ فاما كلام الله القديم فليس يوصف بالتعويج . دليله : قوله تعالى : (ولم يجعل له عوجاً فيما ١٨ - ١) وأيضاً ما روى عن عمر بن الخطاب

رضي الله عنه قال : مر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنامعه ، وأبو بكر ، وعبد الله ابن مسعود يقرأ فاستمع لقراءته فلما ركع أو سجد قال صلى الله عليه وسلم : « سل تعطه من سره ان يقرأ القرآن غصاً كما انزل فليقرأ قراءة ابن ام عبد ، . فاضاف القراءة إلى عبد الله ، لأنها صفته وعبادته عليها يثاب ويؤجر ؛ والمقروء بها كلام الله القديم الازلي وقد روى : « من سره ان يقرأ القرآن رطبا ، وروى عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال : مر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر ، وعمر واني اقرأ سورة النساء فكنت اسجلها سجلا فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « سل تعطه ، ومعلوم عند كل عاقل ان الرسول صلى الله عليه وسلم انما وصف بالغضاضة والطراوة والتسجيل قراءة ابن مسعود دون كلام الله تعالى المتلو المقروء لأنه لا يوصف بالشئ - وضده فاعلم ذلك وتحققه ؛ ولأن صفة القراءة تارة تكون غضة رطبة من قارىء دون قارىء - انما ذلك راجع إلى صفات المحدثين الذين يتفاضلون في قراءتهم واصواتهم فتكون قراءة بعضهم غضة رطبة ، وقراءة بعضهم فجحة سمجة ، ويكون صوت احدهم حادا حسنا ، وصوت آخر فجاء جهورا عاليا ، فاما القرآن المقروء المتلو فلا يختلف في ذاته بأي قراءة قرئ ، وبأي تلاوة تلى ، وبأي صوت سمع . بل الأدوات ، والاصوات واللغات تختلف في الجودة والرداءة والحفاء والجهارة .

فصل : وقد روى من الاخبار والآثار عن سيد الأولين والآخرين وصحابته رضي الله عنهم في الفرق بين التلاوة والمتلو ، والقراءة والمقروء . مالا يحصى عدداً ونحن نذكر شيئاً من ذلك يقوى جميع ما تقدم .

فن ذلك ما روى عن جابر بن عبد الله قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نقرأ القرآن وفيما الأجمعى ، والاعرابي . قال : فاستمع وقال : « اقرؤه فكل حسن سيأتى قوم يقومونه كما يقومون القدح يتعجلونه ولا يتأملونه ، .

وعن سهل بن سعد الساعدي قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نقترى . يقرى بعضنا بعضا فقال : « الحمد لله كتاب الله واحد فيه الأحمر والأسود اقرؤا اقرؤا قبل أن يجيء قوم يقومونه كما يقومون القدح ولا يجاوز تراقيهم يتعجلون أجره ولا يتأملونه ففصل صلى الله عليه وسلم في هذين الحديثين بين التلاوة والملتو ، والقراءة والمقروء ، لأنه صلى الله عليه وسلم عني بالأحمر العربي الفصيح ، وبالأسود الأعجمي ، فالعجمي يقع في قراءته اللكنة والتمتمة ويسلم من ذلك العربي الفصيح فاستمع صلى الله عليه وسلم قراءتهم المختلفة وحثهم ورغبهم في القراءة وأخبر أن كتاب الله واحد ليس بمختلف ولا متغاير ، ثم أعلمهم بمجيء قوم من بعدهم ممن يقوم القراءة تقويم القدح ، فعلم كل عاقل أن كلام الله القديم الأزلي ليس مما يعوج فيقوم ، وإنما العوج يقع في قراءة القارىء فيقوم .

ويدل عليه أيضا قول ابن مسعود رضى الله عنه : عجبت للناس وتركهم لقراءتي وأخذهم قراءة زيد بن ثابت ، وقد أخذت من في رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعين سورة وزيد بن ثابت غلام صاحب ذوآبة ، فاضاف ابن مسعود قراءته إلى نفسه ، وأضاف قراءة زيد إلى نفسه ، وأخبر أن قراءته أكمل من قراءة زيد لأخذه لها من في رسول الله صلى الله عليه وسلم فغاير بين القراءتين ، ومعلوم عند كل عاقل أن المقروء والملتو الذى يقرأه عبد الله هو المقرء الملتو الذى يقرأه زيد وإن كانت قراءة أحدهما غير قراءة الآخر .

ويدل عليه ما روى عن عمرو بن مرة قال : سمعت أبا وائل يحدث : أن رجلا جاء إلى ابن مسعود فقال : انى قرأت المفصل كله فى ركعة فقال عبد الله : هذا كذب الشعر لقد عرفت النظائر التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرن بينهما . وعنه أيضا أنه قال له رجل : انى أقرأ المفصل فى ركعة فقال عبد الله : هذا كذب الشعر إن اقواما يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم ولكن إذا وقع فى القلب فرسخ نفع . ومعلوم أن ابن مسعود رضى الله عنه لم يشبه كلام الله تعالى بهذا

الشعر ، وإنما شبه قراءة القارىء دون كلام البارى . وأيضاً قوله صلى الله عليه وسلم : « من قرأ القرآن بأعراب فله اجر شهيد » . وايضاً ما روى انس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قرأ القرآن مثبثاً أو بأعراب كان له بكل حرف فضل أربعين حسنة » . فكل عاقل يعلم ويتحقق ان القراءة المعربة غير القراءة المملوكة لأن من صحح قراءة الفاتحة صحت صلاته ، ومن ترك ذلك مع قدرته عليه بطلت صلاته . فأما كلام الله تعالى القديم فلا يتصف بالصحة وضدها بل هو صحيح على كل حال وان وقع الفساد فى القراءة .

وايضاً ما روى قتادة قال : قلت لانس بن مالك كيف كانت قراءة النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قال : يمد صوته مدأ . وايضاً ما روى عبد الله بن مغفل قال : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح وهو على ناقته أو جملة وهو يسير وهو يقرأ سورة الفتح أو من سورة الفتح قراءة لينة . فمعلوم عند كل عاقل عارف ان الترجيع ، والمد ، واللين . إنما تقع فى القراءة التى هى صفة القارىء دون كلام الله القديم الازلى ، ومن اعتقد ان الترجيع . والمد ، واللين الذى هو صفة القارىء ومد صوته ولينه راجع إلى الكلام القديم الازلى فقد جهل الله تعالى وصفات ذاته وصرح بحديث القرآن وخلقته . وايضاً ما روى النعمان بن بشير قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « افضل عبادة امتى قراءة القرآن » . وعن انس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « النظر فى كتاب الله عبادة » وروى ابو سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اعطوا اعينكم حظها من العبادة . قالوا يا رسول الله : وما حظها من العبادة ؟ قال : قراءة القرآن نظراً والاعتبار والتفكير فيه » . وقال ابن مسعود : « النظر فى المصحف عبادة » فقد اتضح بهذه الأخبار الفرق بين القراءة والمقروء لأن الرسول صلى الله عليه وسلم جعل قرأتنا عبادة منا ، والعبادة منا صفتنا التى نثاب عليها ونوثر جزاها وذلك ان الله تعالى وصف عبادته على الأعضاء ، وكل عضو من ابن ادم مخصوص بنوع من العبادة ، فالقلب مخصوص بالعلم بالله تعالى وبمعرفة بحفظ كلامه ، والايمان به وبكلامه ، ثم المعرفة غير المعروف ، والعلم غير المعلوم ، والايمان غير المؤمن به ،

والحفظ غير المحفوظ ، لان العلم صفة العبد ، والمعلوم الرب تعالى ، وكذلك الايمان صفة للعبد ، والمؤمن به هو الله تعالى . وكذلك الحفظ صفة العبد لم يكن يحفظ ثم صار حافظا ، والمحفوظ كلام الله القديم الذي لا يتصف بأنه لم يكن ثم كان بل قديم موجود بوجود الحق سبحانه وتعالى موجود قبل الحفظ وبعده ، واللسان مخصوص من العبادة بالذكر لله تعالى والتسبيح له والدعاء له ، وقراءة كلامه ، ثم الذكر صفة اذا ذكر ، والمذكور هو الله تعالى ، والتسبيح صفة المسبح ، والمسبح هو الله تعالى ، والدعاء صفة الداعي والمدعو هو الله تعالى . كذلك القراءة صفة القارى التى هى له عبادة وطاعة ، والمقروء كلام الله القديم الموجود قبل القارى وقبل قراءته فافهم ان كان لك فهم .

وعبادة العين : النظر فى المصحف ، والتفكر فى الآيات من كلام الله تعالى ، فالناظر إنما يثاب على نظره الذى هو صفة لاعلى المنظور فيه الذى هو صفة الله تعالى . ولهذا المعنى : ان من كان أكثر قراءة ونظراً وتفكيراً كان أكثر ثواباً بمن نظر اقل من نظره ، وقرأ أقل من قراءته ؛ فالزيادة والنقصان إنما يكونان فى افعال العباد التى تتصف بالشىء وضده ، فاما القديم الذى هو كلام الله فلا يتصف بالشىء وضده فاعلم ذلك وتأمله ثم تد ان شاء الله .

ويدل على الفرق بين القراءة والمقروء ما روى عنه صلى الله عليه وسلم من طرق عدة انه قال : « خذوا القرآن من اربعة : عبد الله بن مسعود ، وسالم مولى أبى حذيفة ، وزيد بن ثابت . ومعاذ بن جبل » ثم خص عبد الله بن مسعود فقال : « من سره ان يقرأ القرآن غصاً رطباً كما انزل فليقرأ على قراءة ابن ام عبد ، يعنى ابن مسعود . فالدليل من وجهين :

احدهما : انه صلى الله عليه وسلم خص هؤلاء الأربعة بجودة القراءة دون غيرهم من الصحابة وان كان المقروء بقراءة هؤلاء هو المقروء بقراءة غيرهم ففاضل صلى الله عليه وسلم بين القراءة وقدم بعضها على بعض وكلام الله القديم لا يجوز عليه الجودة والرداءة بل كله شىء واحد جيد لا يختلف وان اختلفت القراءة له .

الثانى من الدليلين : ان الرسول صلى الله عليه وسلم أضاف القراءة إلى ابن مسعود دون القرآن الذى هو كلام الله تعالى فقال : « من سره ان يقرأ القرآن كما انزل

فليقرأ على قراءة ابن مسعود . فقراءة ابن مسعود صفة له ، والمقروء كلام الله صفة له لا لابن مسعود . وايضا فانه وصف قراءة ابن مسعود بانها غضة رطبة ، وهذه صفة لا تقع إلا على صفة المحدثين لأن قراءة بعضهم تكون غضة رطبة مستحسنة تميل إليها القلوب ، وقراءة بعضهم فجأة غليظة تنفر عنها الطبايع ، والمقروء بهذه هو المقروء بهذه وكذلك بعض القراءات مصححة معربة ، وبعضها ملحونة معوجة مفسدة ، والمقروء بهذه هو المقروء بهذه ، لأن القديم لا يتصف بالصحة تارة وبالفساد تارة اخرى ، انما يتصف بالفساد تارة وبالصحة تارة أخرى صفة المخلوقين ، وهي قراءتهم دون المقروء والمتلو الذي هو كلام الله القديم .

فصل : وأما الدليل على أن الحروف والأصوات من صفات قراءة القارى لا أنها من كلام البارى سبحانه وتعالى من الأخبار فكثير جدا لكن ان شاء الله اذكر من ذلك ما يقع به الكفاية لكل عاقل محصل .

فمن ذلك : ما روى أبو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا قام من الليل فقرأ يخفض طورا ويرفع طورا . وعن أم سلمة رضى الله عنها انها نعتت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هي نعتت قراءة مفسرة حرفا حرفا ، فوضع الدليل من هذين الخبرين انهما اضافا القراءة إليه صلى الله عليه وسلم ، وازايفا الخفض والرفع بتفسير الحروف حرفا حرفا إلى قراءة القارىء لا إلى كلام البارى وكل حديث اذكره لك بعد هذين الحديثين فتأمله فاني اذكرها سردا ان شاء الله فتجد في كل حديث ما يدل على صحة ما أقول وهو : اضافة الصوت ، والحرف إلى قراءة القارىء لا إلى كلام البارى القديم الازلى .

فيدل على صحة ذلك ما روى عن أم سلمة رضى الله عنها انها سئلت عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقطع قراءته آية آية ، ولو شاء العاد أن يعدها احصاها . وهذا يدل على ان القراءة تنعد وتنحصر ، والمقروء القديم لا ينعد ولا ينحصر فافهم ذلك ، ويدل على ذلك أيضا ما روى عن عائشة رضى الله عنها انها سئلت أكان النبي صلى الله عليه وسلم يرفع صوته بالقرآن . قالت .

ربما رفع وربما خفض . ويدل عليه ايضا ما روى عن البراء بن عازب قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في العشا بالتين والزيتون فها سمعت أحداً أحسن صوتاً منه . ويدل عليه ايضا ما روى عن انس انه قال : ما بعث الله نبياً إلا حسن الوجه ، وحسن الصوت وكان نبيكم صلى الله عليه وسلم حسن الوجه وحسن الصوت إلا انه كان لا يُرَجِّعُ . وايضا ما روى عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر رضى الله عنه : « مالك إذا قرأت لا ترفع صوتك ، قال : انى أسمع من اناجى . وقال لعمر : « مالك إذا قرأت ترفع صوتك جداً ، قال أوقف الوسنان وانفر الشيطان . وقال لعمار : « مالك إذا قرأت تأخذ من هذه السورة ومن هذه السورة ؟ فقال : سمعتنى أخلط به ما ليس منه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فكله طيب ، فوضع الدليل ان الرسول عليه السلام اضاف قراءة كل واحد وصوته إليه وذكر انها قراءة مختلفة وأضاف إلى كل واحد صفته من القراءة والصوت ولم يضيف إلى كلام الله تعالى شيئاً من ذلك فافهم .

وايضا ما روى عن أم هانئ رضى الله عنها قالت : كنت اسمع قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا على عريشى . وايضاً ما روى جبير بن مطعم قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلى باصحابه المغرب فسمعتة وهو يقرأ وقد خرج صوته من المسجد : (ان عذاب ربك لواقع * ماله من دافع ٥٢ — ٧ و ٨) فكانما صدع قلبي ويقال ان هنا كان سبب اسلامه لانه جاء يكلم الرسول صلى الله عليه وسلم في اسارى بدر ، فلما سمع قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحسن صوته قال : فكانما صدع قلبي ، وكأني بالعذاب قد احاط بى ، فصدقت وآمنت من ساعتي . وهذا الحديث ادل دليل على الفرق بين القراءة والمقروء ، وان الصوت صفة الصايت والقارىء دون كلام البارى ، لان الذى صدع قلبه وهداه انما هو الذى فهمه من كلام الله تعالى الذى أوعده المستكبرين ؛ فعلموا الصوت من قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم صفة للرسول عليه السلام ، والذى صدق به قلبه هو ما فهمه من كلام الله تعالى الذى سمعه بواسطة قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلو

صوته ، لان الاصوات والحروف لا تهدي ولا تشقى ، اذ لا تأثير لها في احياء القلوب واقبالها ، انما الذى يحيى القلوب ويهديها كلام الله القديم الازلى يدل عليه قوله تعالى : (ولكن جعلناه نورا تهدي به من نشاء من عبادنا ٤٢ — ٥٢) فالهادى الشافى المقروء لا القراءة والمفهوم من الصوت لا الصوت .

يدل على ذلك ايضا ما روى ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما قال عبد قط اذا اصابه هم أو حزن : « اللهم انى عبدك وابن عبدك ناصيتى بيدك ماض فى حكمك عدل فى قضاؤك اسالك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته فى كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به فى علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور بصري وجلاء حزني وذهاب همي إلا أذهب الله عز وجل همه وأبدله مكان حزنه فرحا » ، قالوا يا رسول الله ينبغى لنا أن نتعلم هاؤلا الكلمات ؟ قال : « أجل . ينبغى لمن سمعهن أن يتعلمهن » فبين لك صلى الله عليه وسلم أن كلام الله الذى هو القرآن هو الذى يهدى ويشفى لا قراءة القارىء .

وأيضاً ما روى أبو هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بينا انا فى الجنة إذا سمعت صوت رجل بالقرآن فقلت من هذا ؟ فقالوا : حارثة بن النعمان . كذلك البر . كذلك البر . وكان حارثة من أبر الناس بأمه »

واضاف صلى الله عليه وسلم الصوت إلى الرجل الصايت دون القرآن . ولو انى استقصى الاخبار والآثار فى الفرق بين التلاوة والملتو ، والقراءة والمقروء لاحتاج إلى مجلدات عدة لكن ذكرت من ذلك ما فيه كفاية بحمد الله لمن له عقل سليم وفهم صحيح ، فاذا تقرر هذا صح لك ان القراءة صفة القارىء ، والمقروء على الحقيقة كلام البارى ، وكذلك الحفظ صفة الحافظ ، والمحفوظ كلام الله تعالى . وكذلك الكتابة صفة الكاتب وصنعتة ، والمسكوب كلام الله تعالى ، كما ان الذكر صفة الذكر ، والمذكور هو الله تعالى ، وكذلك العبادة من الصلاة ، والصوم ، والحج صفة للعابد وهى فى أنفسها مختلفة الصفات متغايرة ، والمعبود بها واحد ليس بمختلف ولا متغاير وهو الله تعالى وفى هذا كفاية لمن سلم له التصور والفهم .

وأما الدليل من جهة العقل هو أن يعلم أن القراءة تارة تكون طيبة مستلذة ، وتارة فجعة تنفر منها الطباع ، وتارة رفيعة عالية ، وتارة منخفضة خفية ، وتارة ، يلحقها اللحن والخطأ ، وتارة تصح وتقوم ، وما جازت عليه الأشياء فلا يجوز أن يكون إلا صفة الخلق دون صفة الحق . وكذلك أيضا الكتابة تارة تكون مرتبة جيدة حسنة يمدح كاتبها . وتارة وحشية يذم كاتبها ، والانسان إنما يمدح ويذم على فعله ، فصح أن الكتابة صفة الكاتب ، والمكتوب بها كلام الله تعالى ، وأيضا فإن الكتابة يلحقها المحو ويتصور عليها الغرق ، والحرق ، والتواء ، والتلف ، وكلام الله القديم لا يتصور عليه شيء من ذلك . وكذلك الحفظ ، والسمع تارة يوجد ، وتارة يعدم ، وما يجوز عليه الوجود بعد العدم والعدم بعد الوجود فليس بصفة لله تعالى وإنما هو صفة المخلوق المربوب ، لكن المسموع من القرآن ، والمحفوظ منه ، والمقروء منه ، والمكتوب منه كلام الله القديم الذي ليس بمخلوق ولا مربوب فافهم تصب ان شاء الله .

وأيضا فإن من حلف بالطلاق الثلاث أن لا يقوم من مقامه حتى يفعل فعلا يكون عبادة وطاعة لله تعالى فقرأ عشر آيات من القرآن ثم قام ولم يفعل شيئا غير ذلك لم يحنث في يمينه باجماع المسلمين ، فصح أن قراءته فعله وعمله الذي صار به فاعلا ، عابداً ، طائعا . وان المقروء بقراءته كلام الله تعالى القديم الذي ليس بفعل لأحد فافهم .

وأيضا فإن قراءة القارىء تارة تكون طاعة وقربة ، وتارة تكون معصية وذنبا . فاما الطاعة فهي اذا قرأها وهو طاهر غير جنب وغير مرأى بها أحد من الخلق ، وتكون معصية إذا قرأها وهو جنب مرأى ، وما يكون تارة طاعة وأخرى معصية كيف يكون صفة الحق؟ - تعالى عن ذلك - بل هو صفة الخلق ، لكن المقروء في الحالتين شيء واحد وهو كلام الله تعالى القديم لا يتصف بالشيء وضده فافهم وفي بعض هذا مقنع لمن لم يكن يكابر الضرورات .

مسألة : ويجب أن يعلم أن كلام الله تعالى مكتوب في المصاحف على الحقيقة (١) كما قال : (انه لقرآن كريم هـ في كتاب مكنون ٥٦ - ٧٧ و ٧٨) وهو في مصاحفنا مكتوب على الوجه الذي هو مكتوب في اللوح المحفوظ كما قال تعالى : (بل هو قرآن مجيد هـ في لوح محفوظ ٨٥ - ٢١ و ٢٢) لكن نحن نعلم وكل عاقل ان كلام الله الذي هو مكتوب في اللوح المحفوظ هو القرآن المكتوب في مصاحفنا شيء واحد لا يختلف ولا يتغير وأن اللوح غير أوراق مصاحفنا ، وان الخط الذي فيه غير الخطوط التي في مصاحفنا ، وان القلم الذي كتب في اللوح المحفوظ غير اقلامنا ، وكذلك ما اختلف وغاز غير هـ واختص بمكان دون مكان وزمان دون زمان فهو مخلوق مربوب ، وكل ما هو على صفة واحدة لا يختلف ولا يتغير ولا يجوز عليه شيء من صفات الخلق ، فكذلك هو كلام الله تعالى القديم وجميع صفات ذاته . وكذلك القرآن محفوظ بالقلوب على الحقيقة كما قال تعالى : (بل هو آيات بينات في صدور الذين اوتوا العلم ٢٩ - ٤٩) لكن نعلم قطعاً أن زيداً الحافظ غير عمرو الحافظ ، وان قلب هذا غير قلب هذا ، وان حفظ هذا غير حفظ هذا . لكن المحفوظ لهذا بحفظه هو المحفوظ للآخر بحفظه وهو شيء واحد لا يختلف ولا يتغير اذ هو صفة الله تعالى قديم غير مخلوق ، وكذلك نقول أنه مقروء بالسنتنا نتلوا بها على الحقيقة لكن نعلم أن زيداً القارىء غير عمرو القارىء ، وان لسان زيد غير لسان عمرو ، وان قراءة زيد غير قراءة عمرو ، ولكن المقروء لزيد هو المقروء لعمرو شيء واحد لا يختلف ولا يتغير بل هو كلام الله القديم الذي ليس بمخلوق ولا يجوز عليه صفات الخلق وهذا كما قال تعالى : [انما انزل بعلم الله ١١ - ١٤] يعلمه زيد بعلمه ويعلمه عمرو بعلمه ، ويعبده زيد بعبادته ، ويعبده عمرو بعبادته ، ويدعوه زيد بدعائه ، ويدعوه عمرو بدعائه ، ويذكره زيد بذكره ، ويذكره عمرو

(١) عند من يرى وجود الشيء في الأعيان والأذهان واللسان والكتابة ونحوها حقائق يشترك بينها لفظ الوجود اشتراكاً لفظياً (ز) .

بذكره ، ويسبحه زيد بتسبيحه . ويسبحه عمرو بتسبيحه ، فزيد غير عمرو . وذكره غير ذكر عمرو ، وعبادته غير عبادة عمرو ، ولـكن المعبود لهذا هو المعبود لهذا . والمذكور لهذا هو المذكور لهذا ، والمسيح لهذا هو المسيح لهذا ، والله تعالى القديم الواحد الذى (ليس كمثل شئ وهو السميع البصير ٤٢ - ١١)

مسألة : ويجب أن يعلم أن كلام الله تعالى مسموع لنا على الحقيقة (١) لكن بواسطة وهو القارى .

دليل ذلك قوله تعالى : (وإن أحد من المشركين استجارك فاجرهُ حتى يسمع كلام الله ٩ - ٢٦) واعلم : أن المسموع فهو كلام الله القديم صفة لله تعالى قديمة موجودة بوجود قبل سماع السامع لها ، وإنما الموجود بعد أن لم يكن هو سماع السامع وفهم الفاهم لكلام الله تعالى يحدث الله تعالى له سمعاً إذا أراد أن يسمعه كلامه ، وفهما إذا أراد أن يفهمه كلامه لأن المسموع لم يكن ثم كان عند السمع والفهم ، وهذا كما أن الله موجود قديم بوجود قديم ، وإذا خلق رجلاً أو امره لعبادته وسهل له العبادة التى لم تكن ثم كانت فانه يصير عبداً لله تعالى الذى هو موجود قديم دائم قبل العبادة وبعدها ، وإنما الذى لم يكن ثم كان هو العابد والعبادة فافهم الحق وحدوده .

مسألة : فحصل من هذا أن الله تعالى يسمع كلامه لخلقه على ثلاث مراتب : تارة يسمع من شاء كلامه بغير واسطة لكن من وراء حجاب ، ونعنى بالحجاب

(١) على القول بالاشتراك بين الوجودات السابق ذكرها ، وأما على القول بأن القرآن اسم للنظم الدال لا من حيث تعين من قام به فيكون واحداً بالنوع كما هو قولهم فى أسماء الكتب فيكون المقروء هو هو بدون إشكال الحدوث والقدم فما قام بالقديم قديم ، وما قام بالحادث حادث (ز) .

للخلق لا للحق موسى عليه السلام اسمعه كلامه بلا واسطة ^(١) لكن حجبته عن النظر إليه ، وتارة يسمع كلامه من شاء بواسطة مع عدم النظر والرؤية أيضاً من ملك أو رسول أو قارئ ، وهو استماع الخلق من الرسول عند قراءته للصحابة وقراءة الصحابة على التابعين ، وكذلك هلم جرا إلى يومنا هذا يسمع كلام الله تعالى على

(١) وفي شرح المقاصد : (اختصاص موسى عليه السلام بانه كليم الله تعالى ، فيه أوجه ؛ أحدها - وهو اختيار الغزالي - انه سمع كلامه الاذلي بلا صوت ولا حرف ، كما ترى ذاته في الآخرة بلا كم ولا كيف ، وهذا على مذهب من يجوز تعلق الرؤية والسمع بكل موجود حتى الذات والصفات ولكن سماع غير الصوت والحرف ، لا يكون إلا بطريق خرق العادة ، وثانيها : انه سمعه بصوت من جميع الجهات على خلاف ما هو العادة ، وثالثها : انه سمع من جهة لكن بصوت غير مكتسب للعباد على ما هو شأن سماعنا . وحاصله انه أكرم موسى عليه السلام فأفهمه كلامه بصوت تولى بخلقه من غير كسب لأحد من خلقه ، وإلى هذا ذهب أبو منصور المازيدي ، وأبو اسحاق الاسفرايني ، وقال الاسفرايني : اتفقوا على انه لا يمكن سماع غير الصوت إلا ان منهم من بت القول بذلك ومنهم من قال لما كان المعنى القائم بالنفس معلوما بواسطة سماع الصوت كان مسموعا فالاختلاف لفظي لا معنوي اهـ) والصوت سواء كان من جهة أو الجهات كلها حادث مخلوق لا يقوم بالله سبحانه ، وفي طبقات الحنابلة لأبي الحسين بن أبي يعلى عند ترجمة الاصطخري في صدد ذكر عقيدة احمد : (وكلم الله موسى تكليماً من فيه ، وناولته التوراة من يده إلى يده) ومن هذا يعلم مبلغ ضلال هؤلاء المجسمة المتسترين بالانتساب إلى أحمد زوراً وحاش لله أن يكون الامام أحمد يثبت لله فماً ، وما إلى ذلك من وجوه الضلال في العقيدة المعزوة إليه هناك كما ذكرت فيما علقته على الأسماء والصفات . (ص ١٩٣) ولي افاضة في ذلك في كثير من المواضع والله سبحانه هو الهادي (ز)

الحقيقة لكن بواسطة ، فتارة يسمع كلامه من شاء من الخلق بغير واسطة ولا حجاب كتكليمه لنبينا عليه السلام ليلة المعراج . دلائل الثلاثة قوله تعالى : (وما كان لبشر ان يكلمه الله إلا وحيا ٤٢ - ٥١) وهو نبينا صلى الله عليه وسلم اسمعه الله تعالى كلامه ليلة المعراج من غير واسطة ولا حجاب لأنه تعالى في تلك الليلة قال : (فاوحى الى عبده ما اوحى ٥٣ - ١٠) ولا يحمل الوحي هاهنا على الالهام بل على السماع والإفهام ؛ "أو من وراء حجاب" كموسى عليه السلام اسمعه كلامه بلا واسطة لكن حجبته عن الرؤية ، "او يرسل رسولا فيوحى باذنه ما يشاء" فيسمع من يشاء كلامه بواسطة تبليغ الرسول او قراءة القارى وهذه جملة بليغة في هذا المعنى إن شاء الله تعالى .

مسألة : ويجب أن يعلم أن كلام الله تعالى منزل على قلب النبي صلى الله عليه وسلم نزول اعلام وافهام لا نزول حركة وانتقال .

والدليل على ذلك قوله تعالى : (وانه لتنزيل رب العالمين * نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين * بلسان عربي مبين ٢٦ - ١٩٢ - ١٩٥) فيجب ان تعتقدها هنا اربعة اشياء : منزل ، ومنزل ، ومنزل عليه ، ومنزل به . فالمنزل هو الله تعالى لقوله : (انا نحن نزلنا الذكر ١٥ - ٩) وقوله تعالى : (وانزلنا اليك الذكر ١٦ - ٤٤) والمنزل على الوجه الذى بيناه من كونه نزول اعلام وافهام لا نزول حركة وانتقال كلام الله تعالى القديم الأزلى القديم بذاته لقوله تعالى : (وانه لتنزيل رب العالمين ٢٦ - ١٩٢) والمنزل عليه قلب النبي صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى : (على قلبك لتكون من المنذرين ٢٦ - ١٩٤) والمنزل به هو اللغة العربية التى تلاها جبريل ونحن نتلوا بها الى يوم القيامة لقوله تعالى : (بلسان عربي مبين ٢٦ - ١٩٥) والنازل على الحقيقة المنتقل من قطر الى قطر قول جبريل عليه السلام . يدل على هذا قوله تعالى : (فلا اقسم بما تبصرون * وما لا تبصرون * انه لقول رسول كريم * وما هو بقول شاعر قليل ما تؤمنون * ولا بقول كاهن قليل ما تذكرون *

تنزيل من رب العالمين ٦٩ - ٣٨ - ٤٣) وقوله تعالى: (فلا اقسم بالخنس * الجوار
الكنس * والليل اذا عسعس * والصبح اذا تنفس * انه لقول رسول كريم * ذى
قوة عند ذى العرش مكين * مطاع ثم أمين * وما صاحبكم بمجنون * ولقد رآه بالأفق
المبين * وما هو على الغيب بضنين * وما هو بقول شيطان رجيم * فإين تذهبون
ان هو الا ذكر للعالمين * لمن شاء منكم ان يستقيم * وما تشاؤون الا ان يشاء الله رب
العالمين ٨١ - ١٥ - ٢٩) وهذا اخبار من الله تعالى بان النظم العربى الذى هو قراءة كلام الله
تعالى قول جبريل لا قول شاعر ولا قول كاهن . وقالوا : ما هذا إلا قول البشر فرد
عليهم بهاتين الآيتين وكذلك رد عليهم أيضا لما قالوا : (انما يعلمه بشر لسان الذى
يلحدون اليه اعجمى وهذا لسان عربى مبین ١٦ - ١٠٣) فحصل من هذا ان الله
تعالى علم جبريل عليه السلام القرآن . دليله قوله تعالى : (الرحمن * علم القرآن ٥٥ - ١ و٢)
وجبريل عليه السلام علم نبينا صلى الله عليه وسلم . دليله قوله تعالى : (عليه شديد القوى ٥٣ - ٥)
وكان صلى الله عليه وسلم يقرأ مع جبريل حال قراءته فزعا منه ان يذهب عنه حفظه
حتى نهاه الله تعالى عن ذلك بقوله : (ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يلقى اليك
وحيه وقل رب زدنى علما ٢٠ - ١١٤) وبقوله : (لا تحرك به لسانك لتعجل به
٧٥ - ١٦) معناه لا تعجل بقراءة تلك حتى يفرغ جبريل عليه السلام . ثم طمن قلبه
صلى الله عليه وسلم بانه يحفظه اياه ويثبت حفظه فى قلبه فقال : (إن علينا جمعه وقرآنه
٧٥ - ١٧) يعنى فى صدرك حفظه ، ووعد ان لسانه يقرأه قراءة لا يحصل معها
نسيان فقال : (سنقرئك فلا تنسى ٨٧ - ٦) يعنى قراءة لا نسيان معها ، فحصل
هذا الكلام أن الصفة القديمة كالعلم ، والكلام ونحو ذلك من صفات الذات لا يجوز
ان تفارق الموصوف ، لأن الصفة إذا فارقت الموصوف اتصف بضدها والله تعالى
متنزه عن الصفة وضدها فافهم ذلك . ف جاء من ذلك ان جبريل عليه السلام علم كلام
الله وفهمه ، وعلمه الله النظم العربى الذى هو قراءته ، وعلم هو القراءة نبينا صلى الله
عليه وسلم ، وعلم النبى صلى الله عليه وسلم اصحابه ، ولم يزل ينقل الخلف عن السلف
ذلك الى ان اتصل بنا فصرنا نقرأ بعد ان لم نسكن نقرأ ، فالقراءة اغيار ، امة لا قرن

جبريل عليه السلام غير قراءة نبينا عليه السلام ، وقراءة نبينا عليه السلام غير قراءة اصحابه ، وقراءة اصحابه غير قراءة من بعدهم ، ثم كذلك هلم جرا إلى يومنا هذا يعلم كل عاقل ان الرسول صلى الله عليه وسلم قرأ قبل الصحابة ، ثم قرأت الصحابة ، ثم قرأ التابعون ثم كذلك إلى اليوم ، لكن المقروء والمتلو هو كلام الله القديم الذى ليس بمخلوق ولا يشبه كلام الخلق هو المقروء بقراءة الرسول عليه السلام وقراءة الجميع وهذا امر واضح ان شاء الله تعالى .

مسألة : ويجب أن يعلم ان الله تعالى لا يتصف كلامه القديم بالحروف والأصوات ولا شيء من صفات الخلق ، وانه تعالى لا يفتقر فى كلامه الى مخارج وادوات بل يتقدس عن جميع ذلك وان كلامه القديم لا يحل فى شيء من المخلوقات .

والدليل على ذلك : انه قد صح وثبت ان من شرط الصفة قيامها بالموصوف ، والدليل على صحة ذلك أولا : ان حد القديم ما لا اول لوجوده ولا آخر لدوامه ، وان القديم لا يدخله الحصر والعد ، ونحن نعلم وكل عاقل ان هذه الاشكال من الحروف لم تكن قبل حركة السكاتب وانما يحدثها الله مع حركة السكاتب شيئا فشيئا . ثم هى مختلفة الصور والأشكال ويدخلها الحصر والحد وتعدم بعد ان توجد وكل ذلك صفة المحدث المخلوق لمن كان له عقل سليم . وايضا فان حروف الكلمة يقع بعضها سابقا لبعض فعند خط السكاتب « باء » قد حصلت وثبتت قبل خطه « سيناً » وكذلك السين حصلت وثبتت قبل خطه « ميم » وكذلك النطق اذا تلفظ بالباء حصلت قبل السين وما تقدم بعضه على بعض وتأخر بعضه عن بعض فهو صفة الخلق لا صفة الحق (١) : وكذلك الأصوات يتقدم بعضها على بعض ويتأخر بعضها عن بعض

(١) قال المصنف فى النقض الكبير - كما فى الشامل لامام الحرمين - . (من زعم ان السين من بسم الله بعد الباء ، والميم بعد السين الواقعة بعد الباء لا أول له فقد =

ويخالف بعضها بعضاً وكل ذلك صفة كلام الخلق لاصفة كلام الحق الذى هو قديم ليس بمخلوق . وأيضاً فإن القول بقدم الأصوات والحروف يوجب التقدم لجميع كلام الخلق وأصوات الناطق والصامت وهذا قول يؤدى الى قدم جميع العالم اجمع ، وايضاً فإن الحروف التى يزعمون انها قديمة وانها صفة لكلامه تعالى لا يخلوا ما أن تكون هذه الحروف التى تجرى فى كلام الخلق او مثلها او ضدها . فان قالوا : انها هى . وجب قدم كلام الخلق ، وكذلك ان قالوا مثلها وجب ذلك ايضاً ، لأن حد المثاليين ماسد احدهما مسد الآخر وناب منابه وساقوه من جميع الوجوه وان قالوا : بل هى مضادة لهذه الحروف فقد يقولون القول [من غير] ان يكون [له] معنى وهذا بين الفساد .

ويدل على ان كلام الله القديم لا يجوز أن يكون حروفاً واصواتاً . ماروى عن ابن عباس انه قال : لما سيط الله بختنصر على اليهود لما قتلوا يحيى عليه السلام سلطه عليهم فقتلهم وخرّب بيت المقدس وحرّق التوراة . قال عزيز عليه السلام فى جملة مناجاته : (يارب سلط عليهم عدوا من اعدائك ، بطر رحمتك ، وامن مبكرك ، وهدم بيتك ، وحرّق كتابك) فأوحى الله تعالى اليه من جملة ما أوحى ان بختنصر انما احرق من التوراة الخط ، والحروف ، والورق ، والدفتر ولم يحرق كلامى فاخبر تعالى ان كلامه ليس هو الحروف التى حرقت ولا انه مما تناله الأيدى ولا تعتديه ولا يبلى ولا يندم ويؤكد هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم : « لو جعل هذا القرآن فى اهاب والقي فى النار لم يحترق » ولم يرد صلى الله عليه وسلم ان الجلد ، والمداد ،

= خرج عن المعقول وحجده الضرورة وأنكر البديهة ، فان اعترف بوقوع شيء بعد شيء فقد اعترف بأوليته ، فاذا ادعى انه لا أول له فقد سقطت حاجته وتعين لحوقه بالسفسطة ، وكيف يرجى أن يرشد بالدليل من يتوآقع فى حجد الضرورى اهـ) راجع ماعلقناه على السيف الصقيل (ص ٧٠) (ز) .

والحروف المصورة لا تحترق وإنما اراد ان كلام الله تعالى هو القرآن لا يحترق في النار ولا يتصور عليه الحرق ، والعدم انما يتصور ذلك على الأجسام والأشكال . فاما الكلام القديم فلا . والذي يدل على صحة هذا انه - ونعوذ بالله تعالى - لو اخذ اليوم جبار عاص لله مصحفاً فحرقه بالنار حتى صار رماداً ، انقول ان كلام الله القديم احترق وانعدم ؟ ام نقول ان كلامه باق ثابت لم يحترق ولم ينعدم وإنما احترق الورق ، والحروف المصورة بلا خلاف بين كل عاقل .

دليل آخر على حدث الحروف : وهو ان الأمة مجمعة على أن من قرأ كلام الله تعالى في صلاته لم تبطل صلاته ، ولا خلاف أن من قرأ حروف التهجي في صلاته بطلت صلاته فعلم بذلك انها ليست بكلام الله تعالى .

دليل آخر على ذلك : وهو ان من قرأ القرآن وهو جنب أو امرأة حائض مع علمها بتحريم ذلك انهما قد عصيا وفعلا ما لا يجوز لهما ، ولو تهجا الجنب والحائض حروف الهجاء من أولها إلى آخرها لم يعصيا بذلك ، فعلم بذلك أن الحروف غير كلام الله تعالى وإنما هي آلة يكتب بها كلام الله تعالى ويتلى بها كلامه وليست نفس كلامه . ويدل على ذلك أيضا ما روى على رضى الله عنه انه قال في جواب مسائل سأله عنها اليهود فقال : ان الله تعالى كلم موسى عليه السلام بلا جوارح ، ولا ادوات ، ولا حروف ، ولا شفة ، ولا لهوات سبحانه عن تسكيف الصفات . وايشا ما روى عن على عليه السلام أنه سئل هل رأيت ربك ؟ وكان السائل له دعبل فقال في جوابه : لم أعبد رباً لم أره . فقال له كيف رأيته ؟ قال : لم تره العيون بمشاهدة الأبصار ، بل رأته القلوب بحقائق الإيمان ، ويحك يا دعبل ! ان ربى لا يوصف بالبعد وهو [قريب] ولا بالحركة ، ولا بقيام ، ولا انتصاب ، ولا بجىء ، ولا ذهاب ، كبير الكبرام لا يوصف بالكبر ، جليل الاجلاء لا يوصف بالغلظ ، رؤوف رحيم لا يوصف بالرقّة ، أمر لا بحروف ، قائل لا بألفاظ ، فوق كل شيء

ولا يقال شيء تحته ، وخلف كل شيء ، ولا يقال شيء قدامه ، وامام كل شيء ، ولا يقال له امام ، وهو في الأشياء غير ممازج ولا خارج منها كشيء من شيء خارج ، (كتبارك الله رب العالمين ٧ - ٥٤) لو كان على شيء لكان محمولا ، ولو كان في شيء لكان محصورا ، ولو كان من شيء لكان محدثا .

ويدل عليه قول شيخ طبقة التصوف الجنيد رحمه الله فانه قال : جلت ذاته عن الحدود ، وجل كلامه عن الحروف ، فلا حد لذاته ، ولا حروف لكلامه . ويدل عليه أيضا ما حدث به ابو بكر^(١) النقاش في تفسيره عن آدم بن أبي إياس قال : رأيت في يد بكر بن خنيس كتابا فزدت فيه حرفا أو نقصت منه حرفا : فقال لي بكر بن خنيس : يا آدم من أمرك أن تفعل هذا ؟ أما علمت أن الله تعالى لما خلق الألف انتصبت قائمة ، فلما خلق الباء اضجعت وقيل للألف لم انتصبت قائمة ؟ قالت : انتظر ما أومر ، وقيل للباء لم اضجعت ؟ قالت : سجدت لربي . فقال بكر فأيهما أجل ؟ الذي فعل ما لم يؤمر به يعني الباء سجدت ولم تؤمر بالسجود والذي انتظر ما يؤمر يعني الألف . قال آدم بن أبي إياس فكأنه فضل الألف على الباء ودلالة هذا على وجهين : —

أحدهما : انه صرح في هذا بخلق الألف والباء .

والثاني : انه فضل الألف على الباء والقديم لا يجوز أن يفضل بعضه على بعض ولا يوصف بالأبعض وإنما الذي يبعض ويحدد تلاوة القديم لا نفس الكلام القديم : وأيضا ما ذكره في تفسيره باسناد رفعه إلى كعب الأحبار انه قال : إن أول ما خلق الله تعالى من الحروف الباء : ويقال كانت الألف والسين حرفين كاملين فرفعت السين ورفع الله الألف عليها .

(١) محمد بن الحسن صاحب شفاء الصدور الكذاب المشهور (ز) .

وايضاً ماروى عن عبد الله بن سعيد أنه قال عرضت حروف المعجم على الرحمن تعالى وتقدس وهى تسعة وعشرون حرفاً فتواضع الألف من بينهما فشكر الله تعالى له فجعله قائماً وجعله امام اسمه الأعظم يعنى الله فانه لم يسم به غيره ويدل عليه أيضاً أن حروف التوراة مخالفة لحروف الفرقان فى الهيئة والصورة والعدد لأن حروف التوراة حروف عبرانية ، وكذلك القول فى حروف الانجيل والمقروء بالكل منهما وان اختلفت الحروف شىء واحد لا يختلف ولا يتغير .
وايضاً فان الحروف تحتاج إلى مخارج ، فحرف الشفة غير حرف اللسان ، وحرف الحلق غيرهما ، فلو كان تعالى يحتاج فى كلامه إلى الحروف لاحتاج إلى المخارج وهو منزّه عن جميع ذلك سبحانه وتعالى عما يشركون .

وايضاً فان الحروف متناهية معدودة محدودة ، وكلام الله تعالى قديم لا مفتتح لوجوده ولا نهاية لدوامه كعلمه ، وقدرته ، ونحو ذلك من صفات ذاته . وقد اكد تعالى ذلك بغاية التأكيد ، وان كلامه لا يدخله العد والحصر والحد بقوله تعالى : (قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربى ولو جئنا بمثله مدداً ١٨ - ١٠٩) وقال : (ولو أن ما فى الأرض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله ٣١ - ٢٧) فاخبر تعالى فى هاتين الآيتين انه لا نهاية لكلامه . إذ كل ماله نهاية له بداية ، وانما تتصور النهاية فى حق من يتصور فى حقه البداية . وبالجملّة ان من خالف فى هذا فلا اراه اهلاً للكلام معه لأنه ينكر ما قد علم ضرورة ويكابّر الحس ويعاند الحق وفى هذا القدر كفاية ومقنع .

مسألة : ويجب أن يعلم أن القراءة^(١) غير المقروء ، وانها صفة للقارىء ،

(١) ليكون على ذكر منك ما علقناه على مواضع من هذا الكتاب وغيره من أن وصف القرآن القائم بالله بالمقروء والمكتوب ، والمحفوظ ، والمسموع من قبيل وصيف المدلول بوصف الدال عند السعد وغيره من المحققين (ز) .

والمقروء بها غير مخلوق بل هو من كلام البارئ وكذلك الحفظ صفة القلب والمحفوظ غير مخلوق بل هو كلام الرب ، وكذلك السمع صفة السامع والمسموع به غير مخلوق بل هو كلام الله تعالى ؛ وكذلك الكتابة صفة الكاتب والمكتوب بها من القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق ولا صفة مخلوق وهذا كما تقول : ان الذكر غير المذكور لأن الذكر صفة الذاكر ، والمذكور بذكره هو الله تعالى ، وكذلك العبادة صفة العابد من المخلوقين والمعبود غير العبادة بل هو الله تعالى ؛ وكذلك التسبيح صفة العبد المسبح ، والمسبح هو الله تعالى ، والذي يحقق هذه الجملة النفي ، والاثبات ، والوجود ، والعدم . فانك تقول : قرأ زيد امس . فقراءته امس معدومة اليوم ، وقراءته اليوم غير قراءته امس ، والمقروء امس بقراءته امس هو المقروء بقراءته اليوم . ثم تنفي تارة اخرى فتقول لم يقرأ زيد يوماً ولم يوجد منه قراءة ، والمقروء موجود ثابت لا يتصور عليه العدم ، بل هو ثابت قبل وجود زيد وقبل وجود قراءته ، وموجود ثابت في حال قراءته وبعد قراءته على وجه واحد لا يتصور عليه الشيء وضده وهذا كما تقول : عبد زيد ربه اليوم ولم يعبد امس ، فعبادته اليوم غير عبادته امس ، وعبادته امس ليست موجودة اليوم ، لكن المعبود موجود قبل امس وفي اليوم لا يجوز أن يوصف بالشيء وضده ، وعلى هذا فقس المحفوظ ، والمسموع ، والمكتوب ، فان الكتابة توجد بعد ان لم تكن ، والحفظ يوجد بعد ان لم يكن ، والسمع يوجد بعد ان لم يكن ؛ ويتصور على الحفظ العدم بالنسيان ، ويتصور على السمع العدم بالصمم ؛ ويتصور على الكتابة العدم بالغسل بالماء وطول الزمان والحرق بالنار ، لكن المحفوظ بالحفظ من كلام الله تعالى ؛ والمكتوب ، والمسموع لا يتصور عليه العدم بوجه من الوجوه ، لأنه قديم كذاته تعالى في القدم ، ولا تقول كذاته تعالى من جميع الوجوه ، لأنه لو كان كذاته تعالى من جميع الوجوه لوجب أن يكون خالقاً رازقاً حياً ممتداً .

فصل : [ويعلم من] جميع ما تقدم : ان القراءة تارة توصف بالصحة والحسن ، وتارة بالفساد والقبح ، فيقال : قراءة فلان حسنة صحيحة جيدة ، ويقال قراءة فلان قبيحة

فاسدة ، فالقراءة تتصف بالشئ وضده ، لأنها صفة القارى ، والمقروء بها لا يتصف بالشئ وضده لأنه صفة البارى . وكذلك ايضاً القراءة تكون تارة طيبة مستلذة ، وتارة تأباها الطباع وتنفر عنها الا نفس ، لكن المقروء والمتلو من كلام الله تعالى لا يختلف ولا يتغير بتغير غيره . وكذلك الكتابة تكون تارة بالذهب ، وتارة بالفضة ، وتارة بالمسك والعنبر ؛ وتارة تنحت في الخشب ، وتارة تكون بقطع الحجر ، فكتابة الذهب غير كتابة الفضة ، وكذلك كتابة المسك غير كتابة العنبر ، لكن المكتوب وهو القرآن كلام الله بالذهب هو المكتوب بالفضة ، وكذلك المكتوب بالمسك هو المكتوب بالعنبر ، وما أعلم احدا يخالف في هذا الا احد رجلين : اما جاهل غي ليس له حس ولا تصور ، واما منافق مدهن ، نعوذ بالله من الجميع ونسأله حسن التوفيق في الدنيا والآخرة .

فتحقق [من] جميع ما ذكرنا ان القراءة فعل من أفعال العباد ، والمقروء والمتلو لا يجوز أن يكون فعلا من افعال العباد ، ولا نقول ايضاً انه من صفات الفعل لله تعالى بل هو من صفات الذات . يدل على صحة هذا القول ان رجلا لو حلف بالطلاق لاقت من موضعي هذا حتى افعل فعلا يكون طاعة من طاعات الله فقرأ آيات من القرآن ثم قام قبل ان يفعل شيئاً آخر انه قد بر في يمينه ولم يحنث ، فعلم أن القراءة فعل القارى الذى يثاب عليها تارة ويعاقب عليها اخرى ، والمقروء في حال الطاعة هو المقروء في حال المعصية وهذا امر قد اتضح بحمد الله تعالى لمن له ادنى عقل وتصور .

مسألة : ويجب أن يعلم انه لا يجوز ان يقول احدانى اتكلم بكلام الله ، ولا احكى كلام الله ، ولا اعبر كلام الله ، ولا اتلفظ بكلام الله ، ولا ان لفظى بكلام الله مخلوق ولا غير مخلوق ، بل الذى يجوز ان يقول : انى اقرأ كلام الله تعالى كما قال تعالى : (فاذا قرأت القرآن) (١٦ - ٩٨) وكما قال : (فاقرأ ما تيسر منه ٧٣ - ٢٠) ويجوز أن يقول : انى اتلو كلام الله كما قال تعالى : (وان اتلو القرآن ٢٧ - ٩٢)

ويجوز ان يقول انى احفظ القرآن كما قال صلى الله عليه وسلم : « من حفظ القرآن ثم نسيه . . الخبر . فكل ما نطق به الكتاب والسنة فى القرآن جاز لنا ان نطلقه ، وما لا ينطق به كتاب ولا سنة فلا نطلقه فى الله تعالى ولا فى صفاته فاعلم ذلك وتحققه .

وايضاً فان زيدا انما يكون متكلماً بكلامه ، ولا يجوز ان يكون زيد متكلماً بكلام عمرو ، وكذلك لا يكون زيد اسود سواداً من عمرو ، ومن عجيب الامر ان المجسمة الحشوية لا يجوزون ان يتكلم زيد بكلام عمرو ، وعمرو مخلوق ، وكلامه مخلوق ، والمخلوق الى المخلوق اقرب فى الشبه والذات والصورة والحكم ، ويجوزون ان يقولوا : نتكلم بكلام الله تعالى وكلام الله غير مخلوق ولا يشبه كلام الخلق فى الذات والحكم .

مسألة : ويجب ان يعلم ان الكلام الحقيقى هو المعنى الموجود فى النفس لكن جعل عليه امارات تدل عليه ، فتارة تكون قولاً بلسان على حكم اهل ذلك اللسان وما اصطالحوا عليه وجرى عرفهم به وجعل لغة لهم وقد بين تعالى ذلك بقوله : (وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليدين لهم) ١٤ - ٤) فاخبر تعالى انه ارسل موسى عليه السلام الى بنى اسرائيل بلسان عبرانى ، فافهم كلام الله القديم القائم بالنفس بالعبرانية ، وبعث عيسى عليه السلام بلسان سريانى ، فافهم قومه كلام الله القديم بلسانهم ، وبعث نبينا صلى الله عليه وسلم بلسان العرب ، فافهم قومه كلام الله القديم القائم بالنفس بكلامهم ؛ فبلغ العرب غير لغة العبرانية ، ولغة السريانية غيرهما ، لكن الكلام القديم القائم بالنفس شىء واحد لا يختلف ولا يتغير . قد يدل على الكلام القائم بالنفس الخطوط المصطلح عليها بين كل اهل خط فيقوم الخط فى الدلالة مقام النطق باللسان ، وقد بين تعالى ذلك فقال : (هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون ٤٥ - ٢٩) فقام الخط مقام النطق لما كان يدل على الكلام دلالة النطق ، لكن الخطوط تختلف بحكم

الاصطلاح والمواضعة وقلة الحروف وكثرتها ، فحروف الانجيل والتوراة كل واحد منهما خلاف الآخر ، وكذلك حروف العرب وخطوطهم تخالف غيرها ، وكذلك حروف الهند وخطوطهم تخالف الجميع ، لكن لكل خط وحرف بين أهله يقوم لهم في الدلالة على الكلام القائم بانفسهم مقام دلالة نطق السنتهم ، ويختصون بذلك في الفهم والاصطلاح عند كلام اللسان وعند رسم الحروف الخطوط حتى لا يفهم غيرهم ذلك إلا ان يتعلم لغتهم وخطوطهم ، فصح ان الكلام الحقيقي هو المعنى القائم بالنفس دون غيره ، وانما الغير دليل عليه بحكم التواضع والاصطلاح ، ويجوز ان يسمى كلاما اذ هو دليل على الكلام ، لا أنه نفس الكلام الحقيقي . وكذلك قد يدل على الكلام الحقيقي القائم بالنفس الرموز والاشارات ، وقد بين ذلك تعالى بقوله في قصة زكريا عليه السلام . (آيتك الاتكلم الناس ثلاثة ايام الا رمزا ٣ - ٤١) يعني ان لا تفهم الكلام القائم بنفسك باللسان وانما أفهمه بالرمز والاشارة ففعل كما امره تعالى فاخبر عنه فقال : (فخرج على قومه من المحراب فاوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا ١٩ - ١١) فافهم امره الذي هو الامر بالتسبيح القائم في نفسه بالاشارة دون نطق اللسان ، وكذلك الاخرس الذي لا ينطق باللسان ولا يسمع الصوت ، انما يفهمنا كلامه القائم بنفسه ونفهمه كلامنا القائم بانفسنا بالاشارة دون نطق اللسان ، فحصل من هذه الجملة ان حقيقة الكلام على الاطلاق في حق الخالق والمخلوق انما هو المعنى القائم بالنفس لكن جعل لنا دلالة عليه تارة بالصوت والحروف نطقا ، وتارة بجمع الحروف بعضها الى بعض كتابة دون الصوت ووجوده وتارة اشارة ورمزا دون الحرف والأصوات ووجودهما ، فحقيق الكلام القائم بالنفس موجود عند الحرف والصوت لكن الخلق كلامهم مخلوق كهم ، وكلام الله ليس بمخلوق كهم سبحانه وتعالى . ونريد بقولنا كهم ان صفات ذاته لا توصف بالخلق والحدث ولا بشيء من الخلق والحدث ، كما أنه تعالى لا يوصف بالخلق والحدث ولا بشيء من صفات الخلق والحدث . ولا نريد بقولنا كهم انها خالقة رازقة فافهم هذا التحقيق ، لان المعتزلة تشنع وتقول : اذا كان البارئ علما بعلم

ومتكلما بكلام والكل قديم^(١) يجب أن يكون معه قدماء كثيرة في الأزل وإذا كانت كهو فيجب أن تكون خالقة رازقة آلهة كهو ، وهذا تمويه منهم على عقول العوام حتى ينفروهم عن اهل التحقيق والسنة والجماعة ، ويميلوا الى باطلهم من نفى صفات الله التي وصف بها نفسه في كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم حتى يوافقوهم في القول بخلق القرآن معنى وان لم ينطقوا به ، وكذلك ان المعتزلة أكثر حجتهم على أن كلام الله تعالى مخلوق محدث كائن بعد ان لم يكن انه بزعمهم حروف واصوات ، فرضوا من هؤلاء العوام ان يصرحوا في كلام الله تعالى بما يوجب كونه مخلوقا ضرورة وان لم يقولوا انه مخلوق نطقا فانا لله وانا اليه راجعون .

وبما يدل على أن حقيقة الكلام هو المعنى القائم بالنفس من الكتاب والسنة والآثر وكلام العرب ما نذكر^(٢) فمن ذلك قوله تعالى : (اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون ٦٣-١) ونحن نعلم وكل عاقل انه تعالى ما كذب المنافقين في الفاظهم وانما كذبهم فيما تسكنه ضمائرهم وتسكنه سرائرهم . وايضا قوله تعالى : مخبراً عن الكفار : (ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم ٥٨ - ٨) فاخبر تعالى : ان القول بالنفس قائم وان لم ينطق به اللسانه ، والقول هو الكلام ، والكلام هو القول . وايضا قوله تعالى : (يعلم السر واخفى ٢٠ - ٧) قيل ما حدث به المرء نفسه فما يضمّر فيها من قول أو فعل . وايضا قوله تعالى : (يعلم ما في انفسكم فاحذروه ٢ - ٢٣٥)

(١) وقول القاضي عضد الدين في المواقف : (لا ثبت في غير الإضافة) حاسم للنزاع بين الفريقين عند من أحاط خبرا بما يقوله ، وراجع حاشية الخيالي وعبد الحكيم على النسفية (ز) .

(٢) لقد أحسن المصنف كل الاحسان في التدليل على الكلام النفسى بتوسع لا تجده في غير هذا الكتاب ، والنزاع بين الفريقين في إثبات ذلك ونفيه كما سبق (ز) .

وأيضاً قوله تعالى : (إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ١٦ - ١٠٦) فاسقط تعالى تلفظ المنافقين بالشهادة لرسوله ، وجعل حكم الكذب للقول الذى فى النفس والكلام الذى فى النفس دون نطق اللسان ، واسقط حكم الكفر عن المكره على كلمة الكفر وجعل الحكم لصدق الكلام القائم فى القلب ؛ فدل بهذه الآيات وما جرى مجراها أن حقيقة الكلام هو المعنى القائم بالنفس ، وله الحكم فى الصدق والكذب دون الحروف والأصوات التى هى إمارات ودلالات^(١) على الكلام الحقيقى .

وبدل على ذلك من جهة السنة قوله صلى الله عليه وسلم : « يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان فى قلبه » . وهذا فى حق المنافقين فاخبر صلى الله عليه وسلم أن الكلام الحقيقى هو الذى فى القلب دون نطق اللسان ، وإن الحكم للكلام الذى فى القلب على الحقيقة ، وإن قول اللسان مجاز قد يوافق قول القلب وقد يخالفه . وأيضاً قوله صلى الله عليه وسلم : « الندم توبة » فاخبر صلى الله عليه وسلم : أن العاصى إذا نوى بقلبه الندم على المعصية منها أن ذلك حقيقة التوبة ، وإن استغفار اللسان تبع لذلك فصح أن الكلام الأصلى الحقيقى المعنى القائم بالنفس . وأيضاً قوله صلى الله عليه وسلم « يقول الله تبارك وتعالى : إذا ذكرنى عبدى فى نفسه ، فاثبت الذكر لنفسى ، فالذكر والقول ، والكلام ، واحد فعلم أن حقيقة الكلام المعنى القائم فى النفس .

وبدل على ذلك أيضاً قول عمر رضى الله عنه : زورت فى نفسى كلاماً فأتى أبو بكر فزاد عليه . فاثبت الكلام فى النفس من غير نطق لسان ، وعمر كان من أجل أهل اللسان والفصاحة وهو أحد الفصحاء السبعة ، والعربى الفصيح يقول كان فى نفسى كلام ، وكان فى نفسى قول ، وكان فى نفسى حديث إلى غير ذلك وانشد الأخطل :

(١) وهذا يعود إلى ما حققه السعد كما سبق (ز) .

لا تعجبنيك من أثر خطبة حتى يكون مع الكلام أصيلاً
ان الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلاً

وأعلم أن مذهب أهل الحق والسنة والجماعة ان كلام الله القديم ليس بمخلوق ،
ولا محدث ، ولا حادث ، ولا خلق ، ولا مخلوق ، ولا جعل ، ولا مجعول ، ولا فاعل ،
ولا مفعول . بل هو كلام ازلى ابدى هو متكلم به في الازل كما هو متكلم به فيما
لا يزال . لا اول لوجوده ، ولا آخر له ، وانه لا يقال ان كلامه حكاية ولا عبارة
ولا انى احكى كلام الله ، ولا انى عبر كلام الله بل نقول : نتلو كلام الله ، ونقرأ
كلام الله ، ونكتب كلام الله ، ونحفظ كلام الله ، وانه يجب التفرقة بين القراءة
والمقروء ، والتلاوة والمتلو ، والكتابة والمكتوب ، والحفظ والمحفوظ ، ولا يجوز
ان يطلق على كلامه شيء من امارات الحدث من حرف ولا صوت ، ولا يقال ان
القديم يجوز حمله في المحدث كحلول الشيء في الشيء . وقد قدمنا الأدلة على جميع
ذلك وحققناه / ومذهب المشبهة بالحلولية المجسمة ان كلام الباري حروف وأصوات
وانه قديم ، وان الحروف والأصوات التى توجد في كلام الخالق كلها قديمة لا اخصص
بعضها على بعض وهذا قول يفضى الى قدم العالم عند كل محقق ، ومنهم من قال : بل
الأصوات والحروف اذا ذكرنا الله تعالى بها أو تلونا بها كلامه قديمة فاذا ذكرنا بها
غير الله وانشدنا بها شعراً كانت محدثة وهذا جهل عظيم وتخبط ظاهر ، لأن الشيء
عندهم على هذا القول تارة يكون محدثاً ثم يصير قديماً ، وتارة قديماً ثم يصير محدثاً ،
وليس فى الجهل اعظم من هذا وكفى به رداً لقولهم . ومنهم من يقول : اصواتنا
وحروفنا بالقرآن قديمة وبغير القرآن محدثة ، وهذا مثل القول الأول على الحقيقة
وان اختلفت العبارة وقد بينا فساد ، ومنهم من حدث فى هذا الوقت وبأن له فساد
الأقوال المقدم ذكرها فقال بجهله اقول : ان القرآن باصوات وحروف تكلم
بها الله ، وان كلامه حروف واصوات لكن حروف قديمة واصوات قديمة لا تشبه
هذه الحروف والاصوات المخلوقة التى تجزى فى كلام الخلق ، وهذا ايضاً جهل من

قائله ويؤدى ان لا يكون فى المصاحف القرآن . لان الحروف التى يكتب بها المصاحف هى هذه الحروف التى تجرى فى سائر ما يكتب يؤدى الى ان القرآن الذى نقرأه ليس بقرآن ، لأن القرآن بحروف واصوات قديمة ولا تشبه هذه الحروف والاصوات ونحن لا نسمع الا صوتا مثل هذه الاصوات ، ولا نرى حرفاً ولا نسمعه الا مثل هذه الحروف ، وهذا القول يوجب ان لا يكون عندنا قرآن بالجملة أو يؤدى الى ان يكون هذا القرآن بهذه الحروف والاصوات المعروفة غير ذلك القرآن الذى هو بحروف واصوات قديمة لا تشبه هذه الحروف والاصوات ، والجميع فاسد باطل وسيأتى بطلان مقالاتهم فى هذا وغيره فى جواب ما يزعمون انه حجة لهم فى هذا وغيره ان شاء الله تعالى .

وزعمت المشبهة ان القراءة هى المقروءة ، والتلاوة هى المتلو ، وزعموا ان القديم يحل فى المحدث^(١) ويختلط به ، وتمسكوا فى جميع ذلك بآيات وآثار زعموا انها حجة لهم فيما صاروا اليه من هذه البدعة العظيمة التى جميعها يدل على ان كلام الله مخلوق محدث ، فاحتجوا فى التلاوة هى المتلو ، وان الله يسمى تالياً ، ولا فرق عندهم فى ان يقال تال او متكلم قالوا : والدليل على ذلك من القرآن قوله تعالى : (تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق ٢ - ٢٥٢) وبقوله تعالى . (نتلوا عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق ٢٨ - ٣) . قالوا فسمى نفسه تالياً كما سمي نفسه متكلماً وقائلاً ، والجواب عن هذا وما جرى مجراه من وجهين :

أحدهما : انا نقول ما أنكرتم ان ما ذكرتم هو حجة عليكم وان هاتين الآيتين قد دلتا على الفرق بين التلاوة والمتلو ، وان التلاوة غير المتلو وذلك انه قال : (نتلوها عليك بالحق ٢ - ٢٥٢) والحق هاهنا هو كلامه القديم الموجود بوجوده القديم بقدمه ، والتلاوة لم تكن موجودة ثم أوجدها ؛ والدليل على أن الحق هو كلامه القديم

الموجود بوجوده قوله تعالى : (أم يقولون افتراه بل هو الحق من ربك لتندرقوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون ٣٢-٣) وأيضاً قوله تعالى . (حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق ٣٤-٢٣) فدل على أن الحق هو المتلو القديم ، وإن التلاوة صفة لأفعل ذات . والذي يحقق ذلك قوله تعالى قال : (وما كنت تتلو (٢٩-٤٨) فنفى قبل أن يكون نالياً ، ثم أحدث له تلاوة ولم تكن ثم كانت ، فالحق الذي هو المتلو موجود ثابت لا يتصف بأنه لم يكن ثم كان .

والجواب الثاني : أن قوله تتلو يريد به بأمر من يتلو عليك وهو جبريل عليه السلام . إلا أن التلاوة لما كانت بأمره أضافها إلى نفسه وهذا صحيح يدل عليه الكتاب والمعنى الصحيح . فاما الكتاب فالدليل عليه قوله تعالى : (وكيف تكفرون واتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ٣ - ١٠١) وقوله تعالى : (نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين ٥ بلسان عربي مبين ٢٦ - ١٩٣ - ١٩٥) وصار هذا كقوله في قوم نوح : (انا لما طغى الماء حملناكم في الجارية ٦٩ - ١١) يعني السفينة فاضاف الحمل في السفينة إلى نفسه ، والحامل فيها نوح عليه السلام ، الا انه لما كان بأمره اضاف الحمل إليه ، والدليل على الحامل انه كان نوحا عليه السلام فقوله تعالى : (قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين ١١ - ٤٠) وهذا ايضا كقوله تعالى في قصة مريم عليها السلام : (فنفخنا فيها من روحنا ٢١ - ٩١) والنافخ كان جبريل عليه السلام ، الا أنه لما كان نفخه بأمره اضاف ذلك إلى نفسه فلذلك اضاف التلاوة إلى نفسه لما فعلت بأمره . وكذلك قوله تعالى : (فأتى الله محمد بغيابهم من القواعد فخر عليهم السقف ١٦ - ٢٦) وجبريل عليه السلام الذي كان أتى البنيان ، لكن لما كان بأمره أضافه إلى نفسه وكذلك قوله تعالى : (ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم ٧ - ٥٢) والذي جئهم بالكتاب هو النبي صلى الله عليه وسلم ، لكن لما كان مجيئه بالكتاب إليهم بأمره تعالى أضاف ذلك إلى نفسه ، والقرآن من هذا مملوء إذا تتبع أنه يضيف الفعل إلى نفسه وإن كان الفاعل له غيره لما كان يأمره .

واما الدليل من كلام العرب فانه يقال : نادى الأمير في البلد فيضاف النداء إليه

لما كان بأمره وان كان المنادى غيره فصح ما قلناه . ثم نقول لهم أليس الله تعالى قال : (نحن نقص عليك أحسن القصص ١٢ - ٣) اتقولون : ان الله تعالى قاص ؟ هذا قول لا يجوزه أحد من المسلمين ؛ لسكن لما قص عليه جبريل عليه السلام بأمر الله تعالى اضاف القصص إلى نفسه لما كان بأمره وقد بين ذلك بقوله : (بما أوحينا إليك هذا القرآن ١٢ - ٣) فالقرآن كلامه وصفته ، وقص جبريل عليه السلام على الرسول صلى الله عليه وسلم بالقرآن الذي تضمن قصص الأولين وأخبارهم . فان احتجوا على أن القراءة هي المقروء بما روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال : « قرأ الله (طه ٢٠ - ١) و (يسن ٣٦ - ١) قبل ان يخلق الخلق بألفى عام ، فلما سمعت الملائكة قالوا : طوبى لامة ينزل هذا عليها ، قالوا : فاضاف القراءة إلى الله تعالى . فالجواب عن هذا من وجهين : -

اجدهما : انه ذكر ان القراءة وجدت قبل السموات والأرض بألفى عام ، ودل على انها لم تسكن موجودة ثم وجدت ، والمقروء القديم ليس لوجوده أولية بل هو موجود بوجوده تعالى ، فدل على الفرق بين القراءة والمقروء لأن المقروء موجود بوجوده تعالى والقراءة موجودة بإيجاده .

والجواب الثاني : انه أمر بعض الملائكة أن يقرأ (طه ٢٠ - ١) و (يسن ٣٦ - ١) قبل أن يخلق السموات والأرض بألفى عام ، فلما سمعت الملائكة ذلك قالوا ما قالوا ؛ واضاف القراءة إلى نفسه لما كانت بأمره فصار هذا كقوله تعالى : (الله يتوفى الأنفس حين موتها ٣٩ - ٤٢) والمتوفى هو ملك الموت بدليل قوله تعالى : (قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم ٣٢ - ١١) لسكن لما كان توفيه لهم بأمره اضاف ذلك إلى نفسه .

فصل : وبما يقوى جميع ذلك من السنة ان الفعل يضاف إلى الأمر به وان كان لم يفعله بنفسه وإنما أمر بفعله ماروى ان النبي صلى الله عليه وسلم رجم ماعزاً والنبي صلى الله

عليه وسلم لم يباشر الرجم بنفسه ، لكن لما أمر الصحابة جاز أن يضاف إليه . وايضا ما روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قطع يد سارق ثوب صفوان ، ومعلوم انه صلى الله عليه وسلم ما باشر القطع ، لكن أمر به فاضيف الفعل إليه لما صدر عن أمره . وكذلك روى عنه صلى الله عليه وسلم انه جلد شارب الخمر اربعين ولم يباشر الجلد بنفسه ، لكن لما كان عن أمره جاز اضافة الفعل إليه . والأخبار في هذا المعنى كثيرة جداً . وايضا يقال : جى عمر رضى الله عنه خراج العراق ، ولم يباشر الجباية بنفسه ، لكن لما جى بأمره جاز اضافة الفعل إليه . وكذلك يقال : افتتح عمر رضى الله عنه الشام والامصار ، وهو لم يباشر ذلك بنفسه لكن الصحابة والجنود بأمره فصح بهذه الجملة ان التلاوة فعل التالى لكن هى بأمر الله تعالى وإيجاده ، فصح أن يضاف إليه القراءة والتلاوة على هذا الوجه ، فاما المتلو والمقروء فليس بفعل لآحد بل هو كلامه القديم الذى هو صفة من صفات ذاته الذى ليس بمخلوق ولا يتصف بشيء من صفات الخلق .

فصل : ثم نقول لهؤلاء الجاهلة الضلال كيف يجوز لكم أن تقولوا ان القراءة هى المقروء ، والتلاوة هى المتلو ، والله تعالى قد فصل بينهما وجعل القراءة فعل القارىء ، والمقروء هو القرآن الذى هو كلام البارى فى غير موضع من كتابه .

احدهما : قوله تعالى : (فاذا قرأت القرآن) (فافرد القراءة عن القرآن ، وان القراءة فعل الرسول ، والمقروء ليس بفعل لآحد بل هو كلام الله القديم وهذا كقوله تعالى : (واذكر ربك ٣ - ٧٤١ و ٢٠٥) فافرد الذكر عن المذكور ، فالذكر فعل المذكور ، والمذكور هو الله تعالى القديم الذى (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ٤٢ - ١١) . وايضا قوله تعالى : (فاقرؤا ما تيسر من القرآن ٧٣ - ٢٠) وقوله تعالى : (اتل ما أوحى إليك من الكتاب ٢٩ - ٤٥) وقوله تعالى : (وان اتلو القرآن ٢٧ - ٩٢) وقوله تعالى : (ان الذين يتلون كتاب الله ٣٥ - ٢٩) وفى القرآن

أكثر من ألف موضع يدل على الفرق بين التلاوة والملتو ، والقراءة والمقروء لمن له حس سالم ، وعقل ثابت . ومن القدر الذى قدمناه دليلاً : -

احدهما : انه تعالى ذكر تلاوة ، وملتوا ، وقراءة ، ومقروءا فبطل بذلك زعمهم انه شئ واحد .

الثانى : انه أمر بالقراءة والتلاوة ، والأمر هو استدعاء الفعل بالقول ممن هو ذؤنه . والصفة القديمة التى هى المقروء والملتو لا يصح فيه الفعل ولا استدعاء الفعل ، فصح أن المأمور به المستدعا غير المقروء ، والملتو هى القراءة والتلاوة ، فافهم هذا التقرير فانه يوجب الفرق بين الأمرين ضرورة الاشكال فيه . ثم نقول لهم : القراءة قد اختلفت وتنوعت أنواعا أفترقون أن المقروء الذى هو القرآن مختلف متنوع ؟ فان قالوا : نعم كفروا ، وان قالوا : لا فقد ثبت ان الذى جاز عليه الاختلاف والتنوع غير الذى لم يحز عليه ذلك ، وايضا فان كل قراءة منسوبة إلى قارئها فيقال هذه قراءة أبي ، وهذه قراءة ابن مسعود ، وكذلك فى سائر القراءات ، ولا يجوز أن ينسب المقروء الذى هو القرآن إلى أحد من الخلق ، فيقال هذا قرآن أبي ولا قرآن ابن مسعود ، فصح ان القراءة فعل القارى . فصح أن تنسب قراءة كل واحد إليه ، لأنها فعله الذى يثاب ويمدح عليها تارة ويعاقب ويندم عليها اخرى ، والمقروء بسائر القراءات كلام الله تعالى الذى ليس بفعل لاحد فصح الفرق بين الأمرين .

فصل : ثم نقول لهم : ما تقولون فيمن قال : إن قرأت بقراءة ابى جعفر يزيد القعقاع - شيخ نافع - فعبدى حر ، فقرأ بقراءة الجحدري عاصم أيعتق عبده أم لا ؟ ليس فيه خلاف بين المسلمين . ولو قال ان قرأت مقروء ابن كثير فعبدى حر فقرأ بقراءة ابن عامر عتق عبده لأن المقروء شئ واحد وان اختلفت القراءات .

فصل : ثم نقول : لو اجتمع مائة قارى فقرأ القرآن أليس عدة القراء مائة كل واحد منهم يثاب على قراءته فالثواب مائة ثواب على مائة قراءة ، أفترقون : ان القرآن

الذى قرؤه بقرااتهم مائة قرآن أم قرآن واحد، فلا يقول عاقل إلا أنه قرآن واحد،
لسكن القراءات متعددة فصح الفروق بين القراءة والمقروء .

فصل: ثم نقول لهم إذا قرأ القارى القرآن وحصل له الثواب أحصل له الثواب على
فعل فعله أو على غير فعل ؟ فان قالوا : على غير فعل فعله وجب أن يكون هذا الثواب
يحصل للساكت كما حصل للقارى وهذا لا يقوله عاقل . وان قالوا : على فعل فعله
صح ان الذى فعل القراءة ، أو السماع إلى القراءة والمقروء المتلو الذى هو كلام الله
ليس بفعل لاحد ، وكذلك المسموع ليس بفعل لاحد فصح الفرق بين الأمرين فافهم .
وايضا فانه يجوز إذا عرّب القارى القراءة ، وممكن ما يجب تمسكينه ، ووقف فيما يجب
الوقوف عليه ، وبدأ بما يجوز البدأ به ، وقطع ما يجوز القطع عليه ، ووصل ما يجوز
وصله ، فجائز ان يقال فلان حسن القراءة جيد القراءة ، وإذا كان بالعكس من ذلك
جاز ان يقال : فلان ليس بحسن القراءة ولا جيد القراءة ولا يجوز ان يقال المقروء
غير حسن ولا جيد بل المقروء حسن سواء كانت القراءة حسنة أو غير حسنة فافهم
الفرق بين الأمرين .

ثم نقول لهم خبرونا : أليس الله تعالى فرض علينا القراءة فى الصلاة ؟ فاذا قالوا :
بلى . قلنا افرض علينا شيئا نفعله أو غير شيء نفعله ؟ فان قالوا : فرض علينا شيئا
نفعله . قلنا : وما هو هذا الشيء ؟ فلا بد أن يقولوا : القراءة . قلنا فقد صح أن
القرآن موجود قبل القارى له وقراءته فى الصلاة ثم أمره تعالى بأن يقرأ أى يفعل
فعلا يسمى قراءة ففعل العبد صفة العبد لا صفة الرب وصار هذا بمنزلة قوله تعالى :
(يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ٣٣ - ٤١) أليس المذكور غير الذكر الذى هو
فعل الذكر المأمور بفعله ، فكذلك القراءة فعل القارى والمقروء القرآن ، ثم نقول
لهم أليس كلام الله تعالى موجود بوجوده ، قديم بقدمه قبل أن يخلق خلقا فلا بد
من نعم . فنقول : فهل يصح وجود القراءة من القارى قبل وجوده ؟ فلا بد من لا .
فنقول ما كان موجودا قبل القارى فهو القرآن الذى هو كلام الله ، وما وجد من

القارى بعد أمره بالقراءة فهو فعله لا محالة وهذا قدر لا يخفى على بشر سليم العقل .

فان احتجوا على أن الكلام القديم يوصف بالصوت والحرف بقوله تعالى :
(حتى يسمع كلام الله ٩ - ٦) قالوا والذي يسمع انما هو صوت وحرف وقد نسبته
إليه فدل على انه متكلم بصوت وحرف . فالجواب من وجهين : -

احدهما : ان يقال لهم ما أنكرتم ان تكون هذه الآية حجة عليكم ، وذلك ان كل عاقل
يقول ان المشرک لا يسمع كلام الله بلا واسطة وهى قراءة القارى فلا بد من وجود
القراءة التى هى حروف وأصوات فيحصل لهذا المشرک السماع حينئذ لكلامه تعالى ،
فحصل معنا عند ذلك مسمع استمع كلام الله باسماع أوجده وهى قراءته التى هى
حروف وأصوات ، ومسموع وهو كلام الله تعالى الذى لا يجوز ان يكون حروفا
وأصواتا لأن الحروف والأصوات تتقدم بعضها على بعض وصار هذا بمنزلة من
أسمعنا الله بذكره بأن قال : يا الله . قلنا : حصل معنا مسمع وهو الذاكر ، واسماع
أسمعنا به المسموع وهو المذكور فالاسماع يقع بحروف وأصوات فيجوز لكل ان
يقول ان الله المذكور هو حروف وأصوات (١) .

الجواب الثانى : ان المراد بهذه الآية ما هو سماع الحروف والأصوات انما
المراد بهذه الآية حتى يتدبر كلام الله ويفهم ما فيه لعله يرجع عن شركه ويهتدى
فالحروف والأصوات لا تهتدى انما الذى يهتدى هو القرآن الذى هو كلام الله تعالى .
دليله : قوله تعالى : (ان هذا القرآن يهتدى لى هى أقوم ١٧ - ٩)

جواب ثالث : وهو ان يقال لهم : إذا كان الكلام القديم أصواتا وحروفا ،
والكلام المخلوق الذى من الشعر والخطب أصواتا وحروفا ، فقد صار الكلام
القديم كالسكلام المخلوق وهذا القول يوجب أن يكون كل كلام قديم أو محدث

[سواء] لأن الحرف والصوت في قول القائل إذ أخبر عن قول اللعين فرعون (انا ربكم الأعلى ٧٩ - ٢٤) فاعبدون فصورة الحروف في قول فرعون انا ربكم كصورتهما في قراءة القارى (وانا ربكم فاعبدون ٢١ - ٩٢) ، فصح أن الحروف والأصوات ليست [كلام] فرعون ولا الرب تعالى فالحرف والصوت يعبر به عن كلام فرعون ويقرأ به كلام الله تعالى فصح ، ان الحرف والصوت اداة يقرأ بها الكلام القديم لا أن الحرف والصوت نفس الكلام القديم .

جواب رابع : وهو ان يقال لهم خبرونا عن قولكم ان الله تعالى متكلم بأصوات وحروف أم هي هذه الحروف والأصوات الجارية الدائرة في سائر كلام الخلق أو غيرها ؟ فان قالوا : هي هذه فقد جعلوا جميع كلام الخلق قديما كله ؛ وان قالوا : بل هي غير هذه الحروف والأصوات الجارية في كلام الخلق . قلنا : فصح حينئذ أن قراءة القرآن بحروف وأصوات غير الحروف والأصوات التي تعنون ؛ فاذا ليس عندنا كلام الله تعالى بل هو غائب عنا لان أصوات القراء وحروفهم هذه هي المعهودة الجارية في كلام الخلق . وكذلك ايضا يجب ان لا يكون في المصحف قرآن لأن الحروف التي فيه هي الحروف المعهودة الجارية في خطوط الخلق وكل هذين القولين باطل ؛ فثبت أن الحروف والأصوات يقرأ بها الكلام القديم ويكتب بها الكلام القديم لا انها نفس الكلام . ثم يقال لهم : خبرونا أيصح خروج حرف من غير مخارج ؟ فان قالوا : لا . قلنا : فتقولون أن الباري - تعالى - عن قولكم - ذو مخارج من شفة للفاء ؛ وحلق للحاء ؛ ولسان للشاير ؛ وان قالوا : نعم جسموا باجماع المسلمين^(١) ؛ وان قالوا : لا تحتاج الحروف إلى مخارج ؛ فقد كبروا الحس والعيان مع قولهم بصحة الخبر المروى بزعمهم وذلك ان كلامه منه خرج ، وكلامه عندهم حروف فيجب على قولهم ان يكون خروجها من مخارج ؛ وكل هذا القول كفر وضلال وسفه وحمق وجهل عظيم .

فصل : فان احتجوا بقوله تعالى (حم ٤٠ - ٤١ - ٤٢ - ٤٣ - ٤٤ - ٤٥)

(١) فتعسا لمن عزا الى احمد كما سبق سماع موسى التوراة من الله من فيه كما في طبقات الحنابلة لأبي الحسين بن ابي يعلى في ترجمة الاصطخري ؛ وذكره ابن بدران ايضا في المدخل نعوذ بالله من الخذلان (ز) .

و(١-٤٦) و(الم ٢-٣ و١-٢٩ و١-٣٠ و١-٣١ و١-٣٢) ونحو ذلك من الحروف المقطعة في أوائل السور ، وقالوا بالاجماع ان هذا كلام الله فصيح ان كلامه حروف . قلنا الجواب عن هذا من وجوه : —

احدها : ان أردتم بقولكم انها كلام الله تعالى بما تزعمون من الاجماع ان نفس صورة الالف ، ولام ، وميم نفس الكلام القديم فلا قائل بهذا غير جهالكم الذين لا فهم لهم ولا عقل ، لأن هذا القول منهم يؤدي إلى ان الكافر المشرك يقدر ان يوجد القديم ويفعل القديم ، لأن كل كافر كاتب يقدر ان يكتب صورة ألف ويلفظ بألف ، ومن عظيم الجهل أن يكون عبد مخلوق مر بوب يقدر ان يوجد القديم ويفعل قديما هذا جهل ظاهر . وان قلتم المفهوم من (الم) و (حم ٤٠-٤١ و٤٢-٤٣ و٤٤-٤٥ و٤٦-٤٧) ونحو ذلك هو كلام الله تعالى عند نظر الناظر إليها وان المسموع عند قراءة القارى (الم) و (حم) ونحو ذلك هو كلامه تعالى ؛ هذا صحيح ، وصح بذلك ان الكلام القديم يفهم بالحروف المنظومة على اختلاف نظمها بين أرباب تلك الخطوط والاشكال كلام الله تعالى ، وكذلك صح ان القراءة هي حروف وأصوات بها يسمع كلام الله القديم على حسب اختلاف اللغات بين أربابها لا انها نفس كلامه القديم . وقد اختلف المفسرون في هذه الحروف المقطعة في أوائل السور على ثمانية أقوال : —

احدها : انها اسماء من أسماء القرآن كالذكر والفرقان وهذا قول قتادة وابن جريح .

الثانى : انها اسم لكل سورة ذكرت في أولها وهذا قول زيد بن أسلم .

الثالث : انها يعبر بها عن اسم الله الأعظم . وهذا قول السدى ، والشعبي

والرابع : انها اقسام قسم بها الله تعالى وبه قال ابن عباس ، وعكرمة .

والخامس : انها حروف مقطعة من أسماء وأفعال ، فالألف من انا ، واللام من

الله ، والميم من أعلم . فكان معنى ذلك انا الله أعلم . وهذا قول ابن مسعود ، وسعيد ابن جبير ونحوه عن ابن عباس ايضا ؛ والعرب قد تعبر عن الكلمة بحرف منها كقول القائل : قلت لها قفى . قالت : قاف . أى وقفت ومثله في كلام العرب كثير . وقد

قال ابن عباس في قوله تعالى : (كهيعص ١٩-١) الكاف من كاف والهاء من هاد ، والياء من حكيم ، والعين من عليم والصاد من صادق .

السادس : ان كل حرف منها يدل على معان مختلفة فالالف مفتاح اسمه الله ، واللام مفتاح اسمه لطيف ، والميم مفتاح اسمه مجيد ، والالف الآء الله يعنى نعمة واللام ملكه ، والميم مجده ، والالف سنة ، واللام ثلاثون سنة ، والميم أربعون سنة آجال ذكرها .

والسابع : انها حروف من حساب الجمل لما روى عن ابن عباس ، عن جابر ابن عبد الله قال : مر أبو ياسر [ابن اخطب] ورسول الله يتلو فاتحة الكتاب وسورة البقرة (الم ذلك الكتاب ٢ - ١) فاتاه اخوه حي بن اخطب فاخبره فقال حي ابن اخطب : واقبل على اليهود فقال لهم الالف واحد ، واللام ثلاثون ، والميم أربعون وهذه احد وسبعون سنة ثم [ذهب حي مع هؤلاء النفر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم و] قال للرسول الله فهل معك غير هذه ؟ قال نعم (المص ٧ - ١) قال اثقل واطول ، الالف واحد ، واللام ثلاثون ، والميم أربعون ، والصاد تسعون فهذه احد وستون ومائة سنة ثم قال هل معك غير هذه يا محمد ؟ قال نعم . قال : ماذا ؟ قال : (الم ١٠ - ١ و ١١ - ١ و ١٢ - ١ و ١٤ - ١ و ١٥ - ١) فقال : هذا اثقل واطول ، الالف واحد ، واللام ثلاثون ، والراء مائتان ، فهذه احدى وثلاثون ومائتة فهل مع هذا غيره ؟ قال نعم : (الم ١٣ - ١) قال هذا اثقل واطول ، الالف واحد ، واللام ثلاثون ، والميم أربعون ، والراء مائتان فهذه احدى وسبعون ومائتان سنة . قال : لقد التبس علينا امرك حتى ما ندري اقليل اعطيت ام كثير . ثم قاموا من عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابو ياسر لاخيه حي ولمن معه من اليهود : وما يدريكم لعله قد جمع هذا كله لمحمد احدى وسبعون ، وحدى وستون ومائة ، وحدى وثلاثون ومائتان ، وحدى وسبعون ومائتان ، فذلك سبع مائة سنة واربع وثلاثون سنة . قالوا : والله لقد تشابه علينا امره قيل فنزلت فيهم (١) :

(هو الذى انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن ام الكتاب و آخر متشابهات فاما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة و ابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله و الراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب ٣ - ٧) .

والثامن : انها حروف هجاء اعلم الله تعالى بها العرب حين تحدثهم ان تلاوة القرآن بحروف كلامهم هذه التى عليها بناء كلامهم ليكون عجزهم عنه ابلغ فى الحججة عليهم اذ لم يخرج تلاوته عن مباني كلامهم .

جواب ثانى : وهو انك تقول : إذا قلت ان الحرف المفرد اذا اتى به فى تلاوة كلام الله هو نفس كلام الله فما تقولون فيمن اسقط شيئا من كلام الله أيجوز ذلك ام لا ؟ : فلا بد من ان يقولوا لا يجوز . فيقال لهم : خبرونا عن جماعة من القراء من الصحابة والتابعين ومن اتبعهم باحسان الذين قرؤا (ملك يوم الدين ١ - ٣) وهم الاكثر قد اسقطوا الفاء فى قراءة غيرهم لأن غيرهم يقرؤن مالك بالالف . فان قالوا : اخطؤا فلا يجوز لهم ذلك كذبوا وخالفوا الاجماع . وان قالوا يجوز لهم ذلك وهو القول الصحيح الصواب ، قلنا : فصح ان الالف ليس نفس كلام الله القديم لانه لا يجوز لاحد ان يسقط منه شيئا^(١) ، وانما الالف صفة قراءة دون قراءة ، فالمقروء مع اثبات الالف هو المقروء مع اسقاط الالف شيء واحد لا يزيد بزيادة الحروف ولا ينقص باسقاط الحروف ، والقراءة تزيد بزيادة الحروف وتنقص باسقاط الحروف ، وقد قيل ان من قرأ القرآن بقراءة ابن كثير كتب له اجر ختمه وثلاث لانه يزيد فى الحروف اكثر من سائر القراء لانه يقرأ^{بشئ} لديه واليه وعليه والكسرة عندهم تقوم مقام حرف وقرأ فى التوبة (تجرى^{بشئ} تحتها الانهار ٢ - ٢٥ و ٢٦٦ و ٢ - ١٥ و ١٣٦ و ١٩٥ و ١٩٨) وهذا يوضح لك ان قوله صلى الله عليه وسلم

(١) واسقاط الالف واثباتها متواتران فيكونان كآيتين ولم يسقطها قارىء

بنفسه ولا اثبتها قارىء آخر بنفسه فلا تسكون فى هذا الجواب وجاهة كما سيأتى (ز)

« من قرأ القرآن فله بكل حرف عشر حسنات » ان الحروف عائدة الى القراءة وطول حروفها دون المقروء الذى هو كلام الله تعالى لا يزيد ولا ينقص وسند كذا في الجواب عن هذا الخبر اذا احتجوا ان شاء الله تعالى وبه الثقة .

جواب اخر : وهو انك تقول : خبرونا عن حروف كلام الله على زعمهم أهى ثمانية وعشرون حرفاً أو أكثر أو أقل ؟ فان قالوا هي ثمانية وعشرون حرفاً فقد جعلوا القديم مما يحله الحصر والعد والافتتاح والانتها [وهي] صفة المخلوقات لصفة القديم . وان قالوا : أكثر قلنا : أكثر الى ماله حد او الى مالا حده ؟ فاي القولين قالوا كان باطلاً ، لأن القرآن لا يخرج في الكتابة والتلاوة على أكثر من هذه الثمانية وعشرين حرفاً فعلى قولهم يجب ان يكون معنا بعض القرآن لا كله ، لان القرآن عندهم حروف يزيد على هذه الحروف ولعل الذى يكون معنا من القرآن اقله لاسيما ان قالوا ان الحروف القديمة لا يدخلها حصر ولا عد وهذا قول ساقط واه عند كل عاقل محصل فلم يبق الا ان الحروف والاصوات ادوات نكتب بها ونتلو بها الكلام القديم وغير الكلام القديم لا انها نفس الكلام فافهم ذلك .

وجواب اخر : وهو ان تقول لهم : خبرونا اليس قد قرأ سائر القراء غير نافع وابن عامر في سورة الحديد في قوله تعالى : (ومن يقول فان الله هو الغنى الحديد ٥٧-٢٤) باثبات الهاء والواو وقرأ نافع وابن عامر باسقاط الهاء والواو فالذى اسقط من الهاء والواو كلام الله تعالى او قراءة كلام الله تعالى فلا يجوز لعاقل ان يقول الهاء والواو كلام الله لان من اسقط شيئاً من كلام الله كفر (١) ولا خلاف بين المسلمين انهما على الحق وربما رجحوا قرائتهما على غيرهما فلم يبق الا ان الحروف آلة للقراءة تسقط

(١) والاسقاط والزيادة في مثل هذه المواضع متواتران فيكونان في حكم آيتين فلا وجاهة في هذا الجواب وكفى باقى الاجوبة (ز) .

تارة وتثبت اخرى والمقروء المتلو ثابت لا يحتمل النقصان ولا الزيادة لأنه قديم لكن المخلوق يجوز ثبوته تارة واسقاطه اخرى .

فصل : فان احتجوا على اثبات قدم الحروف وان كلام الله القديم يتصف بالحروف بما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : « انزل القرآن على سبعة احرف » .

فالجواب : انه لاحجة في هذا الحديث من وجوه عدة ، لانكم تخالفون هذا الحديث . لان الرسول قال على سبعة احرف وانتم تقولون على ثمانية وعشرين حرفاً فقد اسقطتم متن هذا الحديث ولم تقولوا به فلا حجة لكم فيه .

جواب آخر : وهو انه صلى الله عليه وسلم قال : « انزل على سبعة أحرف » ولم يقل تكلم الله بحرف ، وانتم انما تريدون اثبات الحرف لكلامه لانزول كلامه فلا حجة لكم فيه .

جواب آخر : وهو ان قوله عليه السلام على سبعة احرف لم يرد بها حروف التهجي ، وانما اراد بها غير ذلك باجماع اهل العلم من الصحابة والتابعين ، ولانه روى عنه صلى الله عليه وسلم انه فسر ذلك بغير حروف التهجي ، لانه قال : « على سبعة احرف » ثم فسرهما فقال : « أمر ، ونهى ، وترغيب ، وترهيب ، وخذل ، ومثل ، وقصص » وقال بعض الصحابة والتابعين يعنى على سبعة لغات مما لا يغير حكماً من تحليل ولا تحريم مثل قوله تعالى : (يا موسى اقبل ولا تخف ٢٨ - ٣١) فكانوا لا يفرقون بين قول التالى اقبل أو هلم ، أو يقال لان معانيها متفقة وان اختلفت اللغات فيها وما جرى هذا المجرى ، وكانوا فى صدر الاسلام مخيرين فيها فلما اجتمعت الصحابة رضى الله عنهم عند جمع القرآن على احدها وهو قوله (اقبل ولا تخف) منع هذا الاجماع من غير اقبل الى هلم وتعال ونحو ذلك ، وقيل عن بعض الصحابة والتابعين أن قوله على سبعة احرف اراد بذلك على سبع لغات للعرب فى صيغة الالفاظ فى التلاوة وكيفية مخارجها ونقص حروفها وزيادتها ووجوه اعرابها كالذى اختلف فيه

القراءات فقرأ بعضهم : (وسارعوا الى مغفرة من ربكم ٣ - ١٣٣) بغير الواو وقرأ آخرون بواو ، وقرأ بعضهم فيكون بالنصب في مواضع ، وقرأ آخرون فيكون بالرفع فيما نصبه الاولون وقرأ بعضهم : (فتلقى آدم من ربه كلمات ٢ - ٣٧) فنصب آدم ورفع كلمات وهو ابن كثير ، وقرأ آخرون برفع آدم ونصب كلمات الى نحو هذا مما لا يحصى عدداً فبطل احتجاجهم بالاجماع مما نقل عن الرسول والصحابة والتابعين ان احدا منهم قال انه اريد بالسبع حروف التهجى وانما المراد به اختلاف القراءات دون غيرها ما روى ان عمر رضى الله عنه مر ببعض الصحابة وهو يقرأ سورة الفرقان على خلاف القراءة التي اقرأ فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمر فكذبت ان اساوره يعنى اعجل عليه فابطش به ثم قال ثم لببته حتى اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله : انى سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على خلاف القراءة التي اقرأتنيها فقال : خل عنه . ثم قال اقرأ فقرأ عليه القراءة التي سمعتها فقال : هكذا انزل . ثم قال : اقرأ يا عمر : فقرأت عليه القراءة التي اقرأنيها فقال : هكذا انزل . ثم قال : وان هذا القرآن انزل على سبعة احرف الكل شاف كاف فاقروا ما تيسر منه ، فافاد هذا الحديث وجوها :

احدها : ان الحروف واختلافه صفة القراءة التي يجوز فيها الاختلاف لا كلام الله القديم الذي لا يجوز فيه الاختلاف (١) .

الثاني : ان عمر ما انكر عليه ان القرآن المقروء بقراءته كلام الله انما انكر عليه القراءة التي هي صفة القارى موطن ان هذه القراءة فاسدة وقراءته الصحيحة حتى اعلمه الرسول عليه السلام ان كل واحدة من القرائتين جائزة وان اختلفا لأن المقروء بها لا يختلف لاختلافها .

(١) كان أحمد يقول : القرآن من علم الله وعلم الله غير مخلوق . فما تواتر من زيادة ونقص كلاهما أبعاض القرآن باعتبار الوجود العلى فلا وجهة في هذا الجواب (ز) .

الثالث : ان الرسول أخبر ان القرآن يقرأ على سبع قراآت وان تعدد القراآت لا يدل على تعدد القرآن لأن السبع المقروء بها واحد وهو كلام الله القديم الذى لا يشبه كلام الخلق ولا يختلف فى حال من الأحوال وان اختلفت القراآت فافهم التحقيق ترشد ان شاء الله تعالى .

فصل : فان احتجوا على ان الله تعالى متكلم بحروف بما يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : « من قرأ القرآن فله بكل حرف عشر حسنات اما انى لأقول الم حرف الالف حرف واللام حرف والميم حرف ، قالوا : فدل على [انه] متكلم بحروف فالجواب من وجوه :-

احدها ان الحديث لا حجة فيه على ما تريدون لأنه لم يقل متكلم الله بحروف وانما قال من قرأ فله وهذا لا حجة فيه .

جواب آخر : وهو ان الأجر انما يقع على الطاعة التى هى القراءة لا على القديم الذى هو كلام الله ، ونحن نقول ان الحرف عائد إلى القراءة لا إلى المقروء ، والذى يحقق ذلك انه إذا جلس اثنان حافظان لكلام الله تعالى وهما ساكتان أليس كل واحد منهما معه كلام الله فى صدره كما أخبر تعالى : (بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم ٢٩ - ٤٩) ولا يحكم بأن لكل واحد منهما حسنة وان كان كلام الله موجوداً معهما ، فاذا قرأ احدهما وسكت الآخر أليس يحصل للقارى بكل حرف عشر حسنات لو جود القراءة منه وليس للساكت منهما هذه الحسنات ، وان كان معه كلام الله القديم على الوجه الذى ذكرنا وانما زاد عليه هذا بأن وجدت منه القراءة التى هى حروف وفعل منه يسمى طاعة لقوله صلى الله عليه وسلم : « افضل عبادات امتى قراءة القرآن ، فصيح ان الثواب على الفعل الذى هو طاعة لا على الكلام القديم فكان الحرف صفة التلاوة لا صفة المتلو .

جواب آخر : وهو انه قد روى عنه صلى الله عليه وسلم انه أضاف الحرف إلى التلاوة لا إلى كلام الله القديم وهو ما روى عبدالله بن مسعود ان الرسول قال :

« تعلموا القرآن فإنه ما ذبته الله فتعلموه واتلوه فانكم تؤجرون على تلاوته بكل حرف عشر حسنات » . فأضاف الحرف إلى التلاوة لا إلى المتلو فصح ما قلناه وبطل ما توهم الجاهل أنه حجة له .

فصل : فإن احتجوا في إثبات الصوت لكلام الله تعالى وأنه متكلم بأصوات بما روى في الحديث : « إذا كان يوم القيامة نادى الله تعالى بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب (١) » ، الخبر قالوا : فقد أضاف الرسول عليه السلام الصوت إلى الله تعالى فصح ما قلناه . الجواب من أوجه : -

أحدهما : أنك تقول أولاً حجة لكم فيه لأنه صلى الله عليه وسلم ما قال تكلم الله بصوت ، ولا قال بصوت ولا قال كلام الله أصوات كما تزعمون بجهلكم وإنما قال نادى الله بصوت وليس الخلاف إلا أن كلامه أصوات فلا حجة لكم فيه .

جواب آخر : وهو أن هذا الحديث قد روى فيه ما يدل على [أن] الصوت من غير الله بأمره لأنه روى إذا كان يوم القيامة جمع الله الخلائق في صعيد واحد ينفذهم البصر ويسمعهم الداعي يأمر منادياً فينادى فصيح أن النداء من غيره لكن لما كان بأمره أضيف النداء إليه كما يقال : نادى الخليفة في بغداد بكذا . وكذا . ويقال . أمر الخليفة منادياً فينادى بأمره في بغداد بكذا . وكذا ولا فرق بين الموضعين فإن كل عاقل يعلم أن الخليفة لم يباشر النداء بنفسه لكن لما كان بأمره جاز أن يضيفه

(١) يريد به حديث جابر ، وفي سننه عبد الله بن محمد بن عقال وهو ضعيف . وقد انفرد عنه القاسم بن عبد الواحد وهو ممن لا يحتج بهم عند بعضهم ، ولذا علقه البخاري بقوله ويذكر ، على أن كون الأسناد مجازياً متعين بحديث الدارقطني (يبعث الله يوم القيامة منادياً بصوت يسمعه أولهم وآخرهم الحديث) — راجع ما علقناه على السيف الصقيل (٦٣) (ز) .

إلى نفسه وان يضاف إليه وان لم يكن هو المنادى بنفسه ويصحح جميع ذلك القرآن قال الله : (واستمع يوم يناد المناد من مكان قريب * يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج ٥٠ - ٤١ و ٤٢) فاضاف النداء إلى المنادى فصيح ان الصوت صفة المنادى لا صفة الأمر بالنداء ؛ ومن عجيب الأمر ان الجهال لا يجوزون ان يكون النداء صفة المخلوق إذا كان رفيع القدر في الدنيا كالخليفة والامير وينفون عنه ذلك ثم يجوزونه في حق رب العالمين .

جواب ثالث : وذلك انا وكل محقق يقول ان هذا الصوت ليس بموجود اليوم وانما يكون يوم القيامة ، وكلام الله قديم بقدمه موجود بوجوده فصيح ان هذا شيء لم يكن بعد وانما يكون يوم القيامة ، و من زعم ان صفة الله تعالى ليست بموجودة اليوم وانما توجد يوم القيامة فقد جعل كلام الله تعالى مخلوقا لا محالة فصيح بهذه الجملة ان الصوت ليس بصفة لكلام الله تعالى وانما هو صفة للمنادى الذي يأمره الله تعالى بالنداء في ذلك اليوم .

جواب آخر : وهو ان كل ما أضيف إلى الله تعالى [لا] يجب أن يكون صفة له فمن زعم هذا فقد كفر واشرك لا محالة لأن الخبر قد جاء بقول الله تعالى : ويا ابن آدم مرضت فلم تعدني ، جعت فلم تطعمني ، عطشت فلم تسقني ، عريت فلم تسكنني فاضاف هذه الأشياء إليه في الخبر ومن زعم انه يجوع ويعطش ويمرض ويعري فقد كفر واشرك لا محالة . وكذلك قال تعالى : (يوم ينفخ في الصور ٦ - ٧٣) على قراءة من قرأ بالنون والنافخ اسرافيل . وقال تعالى : (ان الذين يؤذون الله ٣٣ - ٥٧) فاضاف الاذية إليه ومن زعم ان الاذية من صفته فقد كفر لا محالة فلم يبق الا أن النداء والصوت حصل من الصايت المأمور لا من الأمر لكن لما كان بأمره جاز ان يضاف إليه كما قال تعالى : (ولقد جئناكم بكتاب ٧ - ٥٢) وإنما جاء به محمد عليه السلام بأمره . وقال تعالى : (فطمسنا أعينهم ٥٤ - ٣٧) والطامس جبريل ، وميكائيل ، طمسا أعين قوم لوط لكن لما كان بأمره أضافه إلى نفسه . وكذلك يقال : رجم

وجلد رسول الله صلى عليه وسلم ، وانما الراجح والجلال غيره لكن لما كان بأمره حسن ان يضاف إليه فافهم الحق لتبطل به الباطل .

فان احتجوا بما روى ان الله تعالى اذا تكلم الله بالوحي وروى بالأمر من الوحي جاء له صوت كجر السلسلة على الصفا^(١) . فالجواب عن هذان وجوه عدة :-
 احدها : ان هذا هو الحجة عليكم لأن هذا الصوت خلاف ذلك الصوت الذي في الخبر الأول لأن ذلك قال فيه يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب وهذا الصوت انما يسمعه بعض الملائكة فصيح ان هذا الصوت خلاف ذلك الصوت ولو كان الصوت صفة قديمة لما اختلف ولا تغير لأن القديم لا يجوز عليه الاختلاف ولا التغير فلما اختلف وتغير دل أن ذلك صفة الخالق لا صفة الحق فافهم .

جواب آخر : وذلك انه قال : اذا تكلم الله بالوحي جاء له صوت ولم يقل اذا تكلم الله بصوت فالوحي غير الموحي لأن الموحي كلام الله تعالى ، والوحي انزال كلام الله واعلام كلام الله والذي يدل على صحة ذلك القرآن . وذلك ان الله تعالى فصل بينهما فقال : (وكذلك اوحينا اليك قرآنا ٤٢ - ٧) فالوحي انزال القرآن ، واعلام القرآن ، وافهام القرآن الذي هو كلام الله تعالى وقال تعالى : (انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده ٤ - ١٦٣) ان انزلنا اليك وافهمناك كلامنا القديم كما انزلنا وافهمنا من قبلك كلامنا القديم فالإفهام لم يكن ثم كان . واما المفهوم الذي هو كلام الله القديم فهو موجود ثابت قبل الإفهام وبعده على صفة واحدة لا يختلف ولا يتغير .

(١) والمحفوظ هو الموقوف كما ذكره الدارقطني في العلل ، ولا يحتاج بالموقوف في باب الصفات ، والسكرى في (خلق الافعال) مختلط لا يحتاج به عند ابن ابي حاتم وفي سند خبر الصوت عنعنة الأعمش وهو مدلس - راجع ما ذكرناه فيما علقناه على الأسماء والصفات (ص ٢٠٠) (ز) .

جواب آخر . وهو ان هذا الحديث قد روى من طرق عدة واضيف اليه الصوت المشبه بجر السلسلة الى الخلق لا الى كلام الحق فمن ذلك ما روى الثواس بن سميان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا تكلم الله بالوحي اخذت السماوات منه رجفة شديدة من خوف الله تعالى فاذا سمع بذلك اهل السموات صعقوا وخروا سجدا واول من يرفع رأسه جبريل عليه السلام فتكلم الله من وحيه بما اراد فينتهي به جبريل عليه السلام على الملائكة كلما مر بسماء سأل اهلها ماذا قال ربنا ؟ فيقول جبريل الحق وهو العلى الكبير ، فثبت ان الصوت المشبه بالسلسلة صوت رجفة السموات لأنهم سمعوا صوت رجفة السموات لا كلام الله تعالى ولهذا سألو جبريل عليه السلام ماذا قال ربنا فدل على انهم لم يسمعوا كلامه وانما سمعوا صوت رجفة السموات التي شبهت بجر السلسلة لأنهم لو سمعوا كما سمع جبريل لفهموا كما فهم جبريل . وروى ابو هريرة رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « اذا قضى الله الأمر فى السماء ضربت الملائكة باجنحتها خضعانا لقوله كأنه سلسلة على صفوان ، فاضاف الرسول عليه السلام هذا الصوت المشبه الى صوت اجنحة الملائكة لا الى كلام الله تعالى . وحديث ابن هريرة هذا صحيح اخرجه البخارى وحديث الثواس اخرجه مسلم فى كتابه وروى ابو الضحى عن مسروق عن عبد الله انه قال . « اذا تكلم الله بالوحي سمع اهل السموات صلصلة كصلصلة السلسلة على الصفوان ، وفى رواية : « سمع اهل السماء للسماء صلصلة ، وليس فى شيء من هذه الروايات اذا تكلم الله سمعوا من الله صلصلة وانما سمعوا من السماء اذا احدث الله فيها رجفة وجعل ذلك علامة لأهل السموات يعلمون بها ان الله تعالى تكلم بالأمر وان المخصوص بسماع كلامه جبريل عليه السلام ولهذا سأله ماذا قال ربنا يا جبريل ؟ فيقول : قال . الحق . فيقولون : قال الحق . فيصفون الله تعالى بقول الحق لا بالصلصلة والصوت فصار هذا الحديث حجة عليهم لا لهم .

جواب آخر : وهو انه قد روى من الاخبار والآثار ما لا يحصى عدداً ان الصوت مخلوق وانه صفة القارىء لا صفة البارى فمن ذلك ما روى ابن جريج عن الزهرى انه

قرأ بين يديه (يزيد في الخلق ما يشاء ٣٥ - ١) فقال هو الصوت الحسن . فقال
الاوزاعي رحمه الله انه قال : ليس احد من خاق الله احسن صوتاً من اسرافيل ،
قل فاذا اخذ في السماع قطع على اهل سبع سموات تسبيحهم وصلاتهم .

وقال ابو العالية : قال موسى صلى الله عليه وسلم لقومه : قدسوا باصوات حسنة
فانه اسمع له . فاضاف الصوت الى المقدسين لا الى المقدس . وقال مالك^(١) بن دينار
في قوله تعالى : (وان له عندنا لزلزنى وحسن مأب ٣٨ - ٢٥ و ٤٠) قال : يقيم الله
داود عليه السلام عند ساق العرش فيقول يا داود مجدنى بذلك الصوت الحسن
الرخيم فيقول كيف اجدك به وقد سلبتني في دار الدنيا ؟ قال : فيقول جل وعز اني
ارده عليك ، قال فيرده عليه فيزداد صوته حسناً فيأخذ في التمجيد فيستفرغ داود
نعم الجنان يعنى يشتغل اهل الجنة بحسن صوته عن نعيمهم .

فالصوت الحسن المردود المسلوب الرخيم صفة داود عليه السلام التي يمجدها بها
ويقدس بها ، والمجدد المقدس هو الله تعالى الخالق لداود ولصوته ولسائر الأصوات

وروى ان عمر رضى الله عنه كان يقدم الشاب الحسن الصوت لحسن صوته
بين يدي المهاجرين والأنصار . وقال ابو عثمان النهدي رضى الله عنه : صلى بنا أبو موسى
صلاة الصبح فما سمعت بصوت ولا بربط كان أحسن صوتاً منه ، وتبين من هذه
الآثار المروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه جعل الصوت صفة للقارى
لا الله تعالى فقد روى عنه في هذا المعنى ما لا يحصى عدداً فمن ذلك ما روت عائشة
رضي الله عنها قالت : قام رجل من الليل فرفع صوته بالقرآن فقال النبي صلى الله عليه وسلم :
لقد أذكركني كذا . وكذا آية ، قال ابو ذر كان لى جار وكان يرفع صوته بالقرآن
فشكوته الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يقال له ذو البجادين فقال : دعه

(١) لم يرفعه الى المعصوم (ز) .

فانه اوّاه ، وكان أسيد بن حضير من أحسن الناس صوتاً بالقرآن فقرأ ليلة وفرسه
مربوط عند رأسه وابنه نائم الى جنبه فدار الفرس في رباطه فقرأ فدار الفرس في
رباطه فانصرف وأخذ ابنه وخشى ان يطأه الفرس فاصبح فذكر ذلك لرسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اقرأ أسيد فان الملائكة
لم تزل تسمع صوتك » وروى ابن سابط قال : ابطأت عائشة رضي الله عنها على رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال : « ما حبسك يا عائشة ؟ » قالت يا رسول الله : سمعت
رجلاً يقرأ ما سمعت من رجل يقرأ قراءة احسن منها فذهب رسول الله صلى الله
عليه وسلم ليسمع صوته فاذا هو سالم مولى ابى حذيفة فقال النبي صلى الله عليه وسلم :
« الحمد لله الذي جعل في امتي مثلك » . وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه سمع
قراءة ابى موسى ذات ليلة فقال : « أبو موسى مزمار من مزامير داود » ومعلوم انه
شبهه حسن صوته بالقراءة بالمزمار لا كلام الله القديم الذي لا يشبهه شيء من اصوات
الخلق ولا نغماتهم . وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم مر في ليلة هو وعائشة رضي الله
عنها وابو موسى يقرأ فقاما فاستمعوا لقراءته ثم انهما مضيا فلما اصبح لقي رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال لابى موسى : « يا ابا موسى مررت بك البارحة ومعى عائشة
فاستمعنا لقراءتك » فقال أبو موسى يا نبي الله اما انى لو علمت بمكانك لحبرته لك
تحييرا . قال : « لقد أعطيت مزمارا من مزامير آل داود » . وقال النبي صلى الله
عليه وسلم : « انى لأعرف أصوات رفقة الأشعرين بالقرآن وان كنت لم أر منازلهم
حين يدخلون بالليل وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن بالليل وان كنت لم أر
منازلهم حين نزلوا بالنهار » . وهذا حديث صحيح أخرجه مسلم بن الحجاج في صحيحه
وهو أكبر حجة في نفي الصوت عن كلام الله القديم لأنه فصل الأصوات من القرآن
فاضاف الأصوات إلى الأشعرين ولم يضيفها إلى كلام الله الذي هو القرآن .

وقال شهر بن حوشب : قدم ابو عامر الاشعري على رسول الله صلى الله عليه
وسلم في رهط من قومه فقال صلى الله عليه وسلم : « انه ليدانى على حسن ايمان

الاشعريين حسن اصواتهم بالقرآن ، وفي هذه الأحاديث التي ذكرنا وامثالها مما لا يحصى عددا أن الأصوات صفة الصائتين لا صفة كلام رب العالمين وفي بعض ذلك مقنع وكفاية لمن اراد الله له الهداية .

فصل : فان قالوا اليس تقولون ان كلام الله مسموع بحاسة الأذان على الحقيقة ؟ قلنا : بلى . فان قالوا فليس يجوز ان يكون مسموعا على الحقيقة إلا ما كان صوتاً وحرفاً .

فالجواب : ان هذا جهل عظيم وذلك ان اهل السنة والجماعة قد اجمعوا على ان الله تعالى يرى بالابصار على الحقيقة ولا يجوز ان يرى على الحقيقة الا ما كان جسماً وجوهراً وعرضاً . أفترقولون : ان الله تعالى جسم ، وجوهر ، وعرض فان قالوا : نعم . فقد اقرؤا بصرح الكفر للتشبيه ، وان قالوا : يرى وليس بجسم ، ولا جوهر ولا عرض ولا يشبه شيئاً من المراتب . قلنا : فكذلك كلامه قديم ليس بمخلوق ومسموع على الحقيقة ، وليس بحروف ولا اصوات ، ولا يشبه بشيء من المسموعات فكما انه يرى على الحقيقة ولا تكيف لكتابه فاتقوا الله وقفوا عند حدوده ولا تكونوا ممن قال فيهم : (ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون ٢ - ٢٢٩) . وتمسكوا بقوله تعالى (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ٤٢ - ١١) .

ثم نقول لهم : اليس الله تعالى قد سمي نفسه بانياً وهو بان على الحقيقة لأنه قال : (ام السماء بناها رفع سمكها فسواها ٧٩-٢٧ و٢٨) ولم ير بانياً على الحقيقة الا بآلة من عدة وأجر وحجر وخشب وغير ذلك . أفترقولون : انه مفتقر في بناء السماء إلى ذلك حتى يكون قد بنى على الحقيقة . فان قالوا : نعم ، كفروا لا محالة ، وان قالوا : هو بناء منه على الحقيقة ولا يفتقر فيه إلى آلة وعدة . قلنا : وكذلك كلامه مسموع

منه على الحقيقة بواسطة وغير واسطة ولا يفتقر في إسماعه إيانا إلى آلة من حروف
واصوات وغير ذلك .

فصل : فان احتجوا بجهلهم ان الصفة القديمة تحل في الظروف والأوعية
كحلول الشيء المخلوق في الشيء المخلوق فتفسير هذا القول منهم لو عقلوا كان اقراراً
منهم بخلق الله تعالى لأن القديم لا يتصور عليه النقلة ، والتحويل ، وتفرغ مكان ،
واشغال مكان ، وامكنة ، وحصر ، وعد ، وافساح ، وفراغ فان اصرروا على الجهل
والضلال واستدلوا على حلول كلام الله القديم في المخلوقين بما يظنون حجة لهم
وهو جرأة وحجة عليهم واقروا بقول اخوانهم من النصارى بل زادوا عليهم في
سوء الاعتقاد وخبث المذاهب والمقال على ما سنبينه في ثانی الحال ان شاء الله .

فان احتجوا بما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : « لا تسافروا
بالقرآن إلى ارض العدو ، قالوا فصح ان الكلام القديم يصح عليه الحلول والنقلة
والتحول فالجواب من وجوه عدة : —

احدها : انه صلى الله عليه وسلم اراد بذلك المصحف لأنه قد بين ذلك فقال :
« مخافه ان تناله أيديهم » ولم يرد ان كلام الله القديم انتقل ولا تحول من بلاد
الاسلام إلى بلاد العدو والمصحف قد يسمى قرآناً لأن فيه كتابة القران وقد روى
ذلك صريحاً عنه صلى الله عليه وسلم فانه كتب إلى عمرو بن حزم : « ولا يمس
القرآن إلا على طهارة » فاراد بذلك المصحف الذي حل فيه كتابة كلام الله القديم
لا يجوز عليه المس بالأيدي .

جواب اخر : وهو انه اراد لا تسافروا بكتابة القرآن فحذف المضاف واقیم
المضاف اليه مقامه كما قال تعالى : (واسئل القرية التي كنا فيها ١٢ - ٨٢) يعنى أهل
القرية (والعرى ١٢ - ٨٢) يعنى أهل العير . وقوله تعالى : (لا تقربوا الصلاة
وانتم سكارى ٤ - ٤٣) قال أكثر أهل العلم موضع الصلاة . وقال تعالى : (والشجرة

الملعون في القرآن ١٧-٦٠) اراد الملعون اهلها في القرآن . وكذلك قال : (والطور ٥٢-١) (والضحي ٩٣-١) وجميع الأقسام انما معناها ورب الطور ورب الضحي وهذا كثير جدا في كلام العرب يحذفون لعلمهم بفهم اهل اللسان والبيان ذلك وانهم ليسوا كأهل الجهل والهذيان والعرب تقول بنو فلان تطأهم الطريق ، يريدون تطأهم اهل الطريق وأبين من هذا قوله تعالى : (ان الذين يؤذون الله ٣٣-٥٧) يريد أنبياء الله وأولياء الله .

وجواب اخر وهو : انا نعلم وكل عاقل يعلم ان الرسول عليه السلام انما اراد بالقرآن ها هنا شيئا محترما يتصور عليه من الأيدى ولم يرد نفس كلام الله القديم والذي يدل على صحة ذلك ان الحافظ للقرآن القرآن في صدره عندنا حفظا لا أن كلام الله القديم يحل في صدر الحافظ حلول الجسم في الجسم ، وعندهم على حسب عقدهم انه حال في صدور الحفاظ كحلول الشيء في الشيء ومع ذلك فان الرسول ما نهى احدا من الحفاظ أن يدخل بلاد العدو فلم يبق إلا أنه صلى الله عليه وسلم اراد مصاحف القرآن التي يتصور عليها نيل ايدى العدو ولم يرد ان القديم يحل في المخلوق حلول الجسم في الجسم حاشاه من ذلك صلى الله عليه وسلم .

فصل : فان احتجوا بما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : ولو جعل هذا القرآن في اهاب ثم القى في النار ما احترق ، قالوا وقد اطلق عليه صلى الله عليه وسلم ان القرآن يجعل في الاهاب فدل على انه حال . فالجواب ان اهل العلم رضى الله عنهم ذكروا في ذلك ثلاثة اقوال : —

احدها : ان هذا كان في زمانه صلى الله عليه وسلم دليلا على صدقه وكان معجزة له وكان إذا كتب في جلد ورق أو غير ذلك ثم القى في النار لم يحترق ذلك الجلد والرق فيكون معجزة له صلى الله عليه وسلم كانشقاق القمر وغير ذلك من المعجزات ، ثم انقضى ذلك بعد موته بدليل ان الرقيق والرق التي كتب فيها القرآن قد احترقت في زمن الصحابة وغيرهم .

الثاني : ان قوله صلى الله وسلم : « لو جعل القرآن في اهاب ثم القى في النار لم يحترق ، اراد بذلك فضل حفظه القرآن وانهم لأجل ما حفظوا من كلام الله تعالى وصار حفظه في صدورهم تصير عليهم النار بردا وسلاما فلا تحرقهم كما كانت على الخليل عليه السلام باذن الله تعالى . وقد قال صلى الله عليه وسلم : « نعم الشفيح لصاحبه يوم القيامة » فيكون ببركة شفاء القرآن لصاحبه وعمله به لا تتسلط النار على اهابه فتحرقه وهذا صحيح لأن الاهاب هو الجلد قبل الذبح او قبل الدباغة .

دليل الأول قول عائشة رضى الله تعالى عنها في مدح ابيها الصديق رضى الله عنه وحقق الدماء في اهابها . ودليل الثاني قوله عليه السلام : « ايما اهاب دبغ فقد طهر » فاما بعد الدباغ فلا يقال له اهاب وانما يقال له اديم اوراق أو نحو ذلك .

الثالث : وهو الاصح والاجود ان القرآن إذا كتب في اهاب أو غير ذلك والقى في النار فان القرآن لا يحرق ولا يتصور عليه الحرق ولا الغرق ولا العدم وان تصور ذلك على الرق والجلد والورق والخط والمداد . وهذا يوضح انه مكتوب على الحقيقة وليس بحال حلول الاجسام في الاجسام لأن المداد لما حل حلول الاجسام في الاجسام احترق مع الرق والورق والقرآن لما لم يكن حالا لم يتصور عليه العدم بحرق ولا غرق ولا غير ذلك وهذا واضح صحيح . يؤكد ذلك اننا إذا كتبنا اسما من اسماء الله تعالى في محل يتصور عليه الحرق والغرق والبلى والنزق فان عدم ببعض ما ذكر فانما يعدم ويذهب المحل المكتوب فيه واللون المكتوب به . واما المكتوب على الحقيقة وهو الرب تعالى فلا يتصور عليه شيء من العدم والذهاب كما اخبر تعالى : (كل شيء هالك الا وجهه ٢٨ - ٨٨) .

فصل : فان احتجوا بخبر روى وهو قوله صلى الله عليه وسلم : « من حفظ القرآن اختلط بلحمه ودمه » قالو : وهذا يدل على حلوله واختلاطه بلحوم الحفاظ ودمائهم في جال صغره . فالجواب عن هذا من أوجه .

أحدهما : ان هذا الحديث يرويه اسماعيل^(١) بن رافع ، وعمر (٢) بن طلحة وهما ضعيفان جدا لا يؤخذ بقولهما في هذا ولا غيره .

الثاني : ان الصديان الحفاظ للقرآن كثير وكلام الله تعالى قديم وشيء واحد فاذا اختلط بدم صبي ولحمه على زعمهم وامتزج واختلط فكيف يمتزج بلحم آخر ودمه اذ الشيء الواحد اذا اختلط وامتزج بشيء استحال امتزاجه بغيره نعوذ بالله من هذا المذهب الذي يؤدي القول به الى اختلاط الصفة القديمة وامتزاجها بدم المخلوقين ولحومهم ولعمري ان قول النصارى دون هذا ، لأن النصارى انما تقول كلمة واحدة قديمة اختلطت بجسم واحد وهو جسم المسيح عليه السلام حتى صار الجسم لا هوتياً من أجل الكلمة ناسوتياً من جهة مريم عليها السلام فاختلط عندهم القديم بالمحدث اختلاط الماء باللبن فوافقته هذه المقالة الخبيثة وزادوا عليهم لانهم قالوا : جسم واحد اختلط به القديم وهؤلاء يقولون اختلط القديم بالف الف جسم واكثر نعوذ بالله من هذا القول الذي لا يقوله من له مسكة من حس وعقل .

الجواب الثالث : ان هذا الحديث ان صح فمراد النبي صلى الله عليه وسلم ان الحفظ في الصغر اجود واثبت من الحفظ في حال الكبر ، ويعنى باختلاطه باللحم والدم جودة الحفظ لا اختلاط المحفوظ الذي هو كلام الله القديم . وصار هذا كقوله تعالى : (وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم ٢ - ٩٣) يعنى حب العجل لأن العجل لا يدخل ولا يحل في القلوب وانما يدخل ويحل حبه هذا ايضاً كما يقال : التعليم في الصغر كالنقش في الحجر والتعليم في الكبر كالنقش في المدر يريدون بذلك ان الحفظ في الصغر اثبت وابق منه في حال الكبر .

فصل : فان قيل إذا كان القديم لا يحل في المصحف فما معنى تعظيمه وتوقيره عن الادناس والالنجاس وإن لا يحمل الا على طهارة . فالجواب : ان هذا جهل وتخبیط

(١) قال النسائي متروك (ز) . (٢) قال الذهبي لا يكاد يعرف (ز)

لان توقير المحل والمكان لا يدل على حلول القديم الذي لا يتصور عليه الحلول فيه كما انا نحرم المسجد ولا ندخله الا على طهارة من غير جنابة ، ولا ندخل اليه شيئاً نجساً ولا قدرأ ، ونزّهه عن البصقة والنخامة وان كانت طاهرة توقيراً له وتعظيماً وان كانت أرضه وتربته واحجاره مخلوقة ، وخشبه وطينه مخلوقان لا انه قديم ، ولا انه حل فيه قديم ، وكذلك الطواف بالبيت لا يدخل بنجاسة اليه ولا يصح الطواف حتى يكون الطائف متطهراً من النجس والحدث ، ولا يدل هذا على ان البيت قديم ولا أنه حل القديم فيه ، كذلك الخطوط التي يكتب بها القرآن ، والصحف التي يكتب فيها نوقره ونعظمه ونزّهه ان يمس الاعلى طهارة ولا يقرب اليه شيء من الانجاس بل نعظمه ونشرفه ، ولا يوجب ذلك كون المداد الاسود والصفرة والحمرة قديمة او حل القديم فيها وهذا امر واضح لمن له عقل وتحصيل اذا تأمله ونظر فيه .

فصل : ثم يقال لهذه العصابة هدام الله من الضلال ماتقولون فيمن اخذ قلماً وورقة ومد حبراً وكتب ألف . لام . لام ها . اتقولون ان المكتوب على الحقيقة هو الله تعالى ام لا ؟ فان قالوا : ما هو المكتوب على الحقيقة فقد خالفوا اجماع اهل السنة والجماعة . وان قالوا : هو المكتوب على الحقيقة . قلنا : افتقولون ان الله تعالى انتقل من العرش^(١) وحل في هذه الورقة ؟ فان قالوا : نعم . كفروا باجماع الامة وجعلوا البارئ تعالى يحويه اصغر الاماكن ، وان قالوا : ليس بحال وهو الصحيح الذي لا يجوز غيره . قلنا : فكذلك كلامه تعالى مكتوب في مصاحفنا محفوظ في صدورنا مقروء بالسنتنا متلو في محاربينا غير حال في شيء من المخلوقات .

فصل : ثم يقال لهم : خبرونا اذا كتب كاتب في ورقة (فكذب وعصى ه ثم ادبر يسعي ه فحشر فنأدى ه فقال انار بكم الاعلى ٧٩-٢١-٢٤) افتقولون : ان الكاتب قديم ام كتابته قديمة ام الورق الذي كتب فيه قديم ، ام اللعين فرعون وقوله

(١) على قولهم بالاستقرار المسكاني على العرش (ز) .

قديم ، فلا يجوز لعقل ان يقول شيئاً من هذه الاشياء قديم ، بل الكاتب مخلوق
وكتابه مخلوقة ، والورقة مخلوقة ، والقلم مخلوق ، والحبر مخلوق ، وفرعون اللعين
مخلوق ، وما ادعاه من الربوبية كذب مخلوق ، وانما الذى هو ليس بمخلوق كلام
الله تعالى القديم الذى هو خبر يشمل جميع الخبرات التى اخبرنا عن فرعون اللعين
وقوله الكذب . فصح ان كلام الله القديم ليس بالخط ولا بالورق ولا بقول فرعون
اللعين ، لان قول فرعون اللعين كذب وكلام الله حق وصدق ، وكذلك اذا كتب
الكاتب فى ورقة (لا تقربوا مال اليتيم ٦ - ١٥٢) اتقولون : ان اليتيم وماله قديم
والخط الذى كتب ذلك قديم ، والكاتب له قديم . لا . بل الجميع مخلوق وانما القديم
كلام الله الذى هو نهيه الذى يشمل جميع المنهيات وهو غير اليتيم والمال والكاتب
والكتابة واذا كتب كاتب : (كلوا واشربوا ٥٢ - ١٩) (واقيموا الصلاة وآتوا
الزكاة ٤ - ٧٧) اترى [أن] الكاتب قديم أو الكتابة قديمة ، أو الأكل والآكل ،
والشارب والشرب ، والمصلى والصلاة ، والمزكى والزكاة قديمة . لا والله ليس شيء
من ذلك قديماً وانما القديم كلام الله تعالى الذى هو أمره الشامل لجميع المأمورات .
فصح بهذه الجملة الفرق بين كلام الحق وكلام الخلق ، وان كلامه تعالى قديم غير
مخلوق ولا يتصف بشيء من صفات الخلق ولا يفتقر تعالى فى كون كلامه صفة له
قديمة غير مخلوقة الى شيء من ادوات الخلق من لسان ، وشفة ، وحلق ، وحرف ،
وصوت ، بل هو متكلم وله كلام صفة له قديمة غير مخلوقة ولا يجوز عليها شيء
من صفات الخلق . فاعلم ذلك وتحققه ولا توفيق الا بهدى من الله وفضل ورحمة وهو
حسبنا ونعم الوكيل .

فصل : يتعلق بمسائل ثلاثة وفروعها وهى : مسألة الخلق والارادة وانه [لا] يكون
من العباد شيء الا وهو خلق الله تعالى ومراد له لا يجوز ان يخلق احد غيره ولا يكون
فى ملكه الا ما اراده .

الثانية : مسألة الشفاعة وانها حق وصدق واعلى الشفاعة عند الله شفاعة نبينا

محمد صلى الله عليه وسلم ويشفع ايضا من أذن له في الشفاعة في العصاة من ملك ،
ونبي ، ومؤمن .

الثالثة : مسألة الرؤية وانها جائزة وان المؤمنين يرون ربهم تعالى في الجنة بلا كيف
ولا تشبيه ولا تحديد كما جاء في الكتاب والسنة ودل عليه العقل أيضا وانما ختمنا
الكتاب بمسألة الرؤية لأنها أعلى العطايا وأسنى الكرامات من الله تعالى لعباده المؤمنين
وليس فوقها مزيد بل هي الزيادة المذكورة في قوله : (للذين أحسنوا الحسنى
وزيادة ١٠ - ٢٦)

مسألة : اعلم ان مذهب أهل السنة والجماعة ان الله تعالى هو الخالق وحده لا يجوز
ان يكون خالق سواه ، فان جميع الموجودات من أشخاص العباد وأفعالهم وحركات
الحيوانات قليلها وكثيرها حسنها وقبيحها خلق له تعالى لا خالق لها غير دفعي منه خالق
وللعباد كسب على ما قدمنا بيانه بقوله تعالى : (لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت
٢ - ٢٨٦) وأمثال هذه الآية من الأدلة على الفرق بين الخالق والاختراع والكسب .
فالواحد منا إذا سمي فاعلا فانما يسمى فاعلا بمعنى أنه مكتسب لا بمعنى انه خالق لشيء .
وقالت المعتزلة ، والنجارية (١) ، والجهمية ، والروافض : ان أفعال العباد مخلوقة
للعباد بقدرة العباد وان كل واحد منا ينشئ ما ينشئ ويخلق ما يفعل وليس لله تعالى
على أفعالنا قدرة جملة ونعوذ بالله من هذا الاعتقاد وسوء المقال . والدليل على صحة
مذهب أهل السنة والجماعة وبطلان قول من خالفهم من أهل الزيغ والبدع الكتاب
والسنة واجماع الامة وأدلة العقل والدليل من الكتاب أكثر مما يحصى لكن أذكر
منه ثلاثة تنبيه اللبيب على بقيتها ان شاء الله تعالى .

(١) فمن ذلك قوله تعالى (٢) : (والله خلقكم وما تعملون ٣٧ - ٩٦) فاخبر تعالى

(١) لعل النجارية والجهمية مقحمتان في هذا الموضع بقلم الناسخ بل لا يعرف
هذا في المعتزلة إلا من عهد الجبائي كما هو مشروح في موضعه (ز) .

(٢) والكلام في هذا طويل في إيثار الحق (ز) .

انه خالق لأعمالنا على العموم كما أخبر انه خالق لصورنا وذواتنا على العموم وهذا من أوضح الأدلة من الكتاب .

الثاني : قوله تعالى : (خالق كل شيء ٦ - ١٠٢) ومعلوم ان أفعالنا مخلوقة اجماعا وان اختلفنا في خالقها وهو تعالى قد ادخل في خلقه كل شيء مخلوق فدل على انه لا خالق لشيء مخلوق غيره سبحانه وتعالى . فان قيل فكلامه شيء فيجب ان يكون مخلوقا . قلنا : قد احرزنا بحمد الله تعالى عن هذا السؤال بقولنا انه أخبر انه خالق كل شيء مخلوق وكلامه وصفات ذاته تعالى قد أثبتنا أنها غير مخلوقة ولا خالقة بل هي صفة الخالق تعالى قديمة بقدمه موجودة بوجوده قبل جميع المخلوقات فبطل هذا السؤال .

وجواب آخر يبطل هذا السؤال وهو انك تقول : ان الله تعالى مخاطب والمخاطب لا يدخل تحت الخطاب الا ترى ان الواحد منا اذا قال دخلت الدار فضربت من فيها ، أو أخرجت من فيها ، أو أعطيت من فيها لا يدل ذلك على انه دخل تحت الخطاب بأن يكون ضرب نفسه ، ولا أخرج نفسه ولا اعطى نفسه ، لأنه مخاطب والمخاطب لا يدخل تحت الخطاب وكذلك قوله تعالى : (خالق كل شيء ٦ - ١٠٢) هو مخاطب فلا يدخل تحت الخطاب بذاته ولا بصفاته جل عن ذلك وتعالى كما قال : (الواحد القهار ١٣ - ١٦) قهر الكل ولم يدخل في القهر ذاته وصفاته . فافهم التحقيق لتدفع به كل بدعة وتمويه من أهل البدع ان شاء الله .

الثالث : قوله تعالى : (الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميئكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون ٣٠ - ٤٠) والدلالة من هذه الآية من أوجه : —

احدها : انه قال تعالى : (الله الذي خلقكم) وهذا عام في ذواتنا وصفاتنا ثم أكد ذلك بقوله تعالى : (ثم رزقكم ثم يميئكم ثم يحييكم) يعني ثم خلق أرزاقكم وعند المخالف ان العبد يخلق أفعاله ورزقه فهو خلاف ما أخبر الله تعالى به من كونه خالقنا ولأرزاقنا .

الوجه الثاني : من الدلالة انه قال : (ثم يميتكم ثم يحييكم) فكما لا يقدر احد ان يخلق موته ولا حياته فكذلك لا يقدر أن يخلق فعله ورزقه من حركة ولا سكون ولا غير ذلك .

الثالث : سبحانه وتعالى نزه نفسه عن عقدهم وخبيثهم إذ أضافوا فعل شيء وخلقهم الى غيره فقال سبحانه وتعالى : (عما يشركون ٧ - ١٩٠) ثم أكد ذلك بعبارة بمواضع فقال : (هل من خالق غير الله ٣٥ - ٣) سبحانه وتعالى . وقال : (افئن يخلق كمن لا يخلق ١٦ - ١٧) .

واما الدليل من السنة فكثير ايضاً غير اني اذكر منه خبرين ننبه العاقل الفطن على الاستدلال بأمثاله من السنة : —

الأول : ما روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال : « ان الله خلق كل صنعة وصانعها^(١) ، وصنعة الصانع انما هي بحركاته وافعاله سواء كان في صنعة مباحة وطاعة ككتابة القرآن ، والحديث ، والفقه . ومحظورة من تصوير صور الحيوان أو عمل السلاح ليقتل به المسلمين . فصيح بهذا الخبر ان الله جل وعلا خالق للفاعل مناول لفعله الخبر الثاني : قوله صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضى الله عنهما : « فرغ ربك من اربع : من الخلق ، والخلق ، والرزق ، والاجل فلو جهد الخلق على أن يؤتوك ما لم يقدره الله لم يقدروا على ذلك ، وروى : « لو جهد الخلق على ان ينفعوك او يضروك لم يقدروا على ذلك ، والمخلوقات منها الضار والنافع في العاجل والآجل وقد جعل صلى الله عليه وسلم كل ذلك إلى تقدير الله تعالى وخلق له ولم يجعل إلى العباد شيئاً من ذلك فاعلمه وتحققه .

فصل : ويدل على صحة ما قلناه اجماع المسلمين وانهم يقولون : لا خالق إلا الله كما يقولون : لا رازق ، ولا محي ، ولا يميت إلا الله تعالى . فنقول فلا يكون الخلق من غيره واثبتوه خالقاً .

(١) أخرجه البخارى في خلق الأفعال (ز) .

فصل : ويدل على صحة ما قلناه من جهة العقل وانه لا خالق إلا الله تعالى وهو كثير جداً لكن نختصر على قدر فيه الكفاية ان شاء الله تعالى .

فمن ذلك : ان نقول لهم : ان قلتم ان الواحد منا يخلق أفعاله ، من طاعة ، أو معصية ، أو إيمان ، أو كفر فقد شركتم بيننا وبين الله تعالى في الخلق وانه لا يتم خلقه إلا بخلقنا . وذلك ان الجسم لا يخلو من حركة ، أو سكون ، أو كفر ، أو إيمان ، أو طاعة أو معصية ، فصح ان جميع الذوات مشتركة الخالق بين العبد وبين الرب والله لا يتم خلق احدهما إلا بخلق الآخر وهذا شرك ظاهر نعوذ بالله منه .

دليل آخر من جهة العقل : وانه لا خالق إلا الله لأن الخالق الصانع أقل ما يوصف به عليه بخلقه كما قال : (الا يعلم من خلق ٦٧ — ١٤) ونحن نجد الواحد منا يفعل ما لا يعلم فعله فيه ولا يحصره ولا يعده بقدرة حتى ان الواحد منا يريد أن يتكلم صواباً فيرمى خطاء إلى غير ذلك فيفعل ما لا يعلمه ولا يريد ، وايضاً الواحد منا إذا خرج الى المسجد حتى وصل إليه فعند المخالف ان كل خطوة خطاها خلقها وأنشأها ولو سئل عن عدد كل خطوة خطاها لم يدر ما يقول ولا يعلمه ولا يعرفه فلم يبق إلا أن الخالق لأفعالنا واكسابنا هو الله تعالى الذي يعلمها كما قال : (الا يعلم من خلق ٤٧ — ١٤)

دليل آخر من جهة العقل : وهو من شرط الخالق للشيء ان يكون قادراً على خلق الشيء وضده فان من يقدر على خلق الحياة يقدر على خلق ضدها وهو الموت ، وكذلك من يقدر على خلق التفريق في الجسم يقدر خلق الاجتماع له حتى يعود كما كان جسماً مؤلفاً ، ولما وجدنا احداً لا يقدر على ذلك صح انه غير خالق ، ولما وجدنا الخالق تعالى يقدر على خلق الشيء وضده دل على أنه هو الخالق لا خالق سواه ، وقد قيل عن الشيخ الامام ابى بكر بن فورك^(١)

(١) زميل المؤلف في عهد طلبه العلم عند الباهلي وان كانا متباعدي الدار في عهد إمامتهما ونشرهما العلم ، ونوه بجواب ابن فورك هنا كما بلغه تقديره لصاحبه كما هو شأن الاخلاص في العلم (ز) ..

رضى الله عنه انه كان مع اسماعيل المعروف بالصاحب في بستان وكان يعتقد شيئاً من ذلك فاخذ سفر جلة وقطعها من الشجرة وقال له : الست انا قطعت هذه السفر جلة ؟ فقال له رضى الله عنه مجيباً : ان كنت تزعم انك خلقت هذه التفرقة فيها فاخلق وصلها بالشجرة حتى تعود كما كانت . فبهت وتحير ولم يقدر على جواب .

وبلغنى ايضاً ان بعض القدرية وقف على احدى رجليه وشال الأخرى وقال : الست انا رفعت هذه وحططت هذه ؟ فقال له بعض اهل السنة : ان كنت تزعم انك خلقت الشيل في هذه المشتالة فاخلق الشيل في الأخرى حتى تصير مشتالة معها فبان له الحق ورجع عن قوله الباطل .

دليل آخر من جهة العقل : وهو أنك تقول حقيقة الخلق والاحداث هو اخراج الشيء من العدم إلى الوجود وإذا كان الواحد منا على زعمكم يقدر ان يخلق حركة معدومة حتى يخرجها من العدم إلى الوجود ، وان يخلق شيئاً زائداً فيخرجه من العدم إلى الوجود ، وان يخلق له لونا غير لونه فيخرجه من العدم إلى الوجود وفي هذا القول الحديث التسوية بين قدرة الله تعالى وقدرة العباد وانهم يقدرون على ما يقدر عليه . تعالى ربنا عن ذلك علواً كبيراً .

فصل : نذكر فيه شها يزعمون ان لهم فيها حجة وليس لهم حجة بحمد الله تعالى كما قال : (حجتهم دا حضة عند رهم ٤٢ - ١٦) فان احتجوا بقوله تعالى : (جزاء بما كانوا يعملون ٥٦ - ٢٤) قالوا . فاثبت لنا العمل والعمل هو الفعل والفعل هو الخلق فالجواب : أنه تعالى ارادها هنا بالعمل الكسب والعبد مكتسب على ما بينا . يدل على ذلك أنه قال في موضع آخر : (جزاء بما كانوا يكسبون ٩ - ٨٢) نحن لانمنع أن يكون سمي كسب العبد عملاً له انما نمنع ان يكون العبد خالقاً مخترعاً لفعله مخرجاً له من العدم الى الوجود وقد بينا ان الخلق والاحتراع والخروج من العدم إلى الوجود لا يقدر عليه الا الله تعالى فلم يكن لهم في الآية حجة .

فان احتجوا بقوله تعالى : (فتبارك الله احسن الخالقين ٢٣ - ١٤) وبقوله تعالى : (الذى احسن كل شئ خلقه ٣٢ - ٧) وبقوله تعالى : (واذ تخلق من الطين ٥ - ١١٠) فالجواب من اوجه : —

احدها : انه يعنى بقوله (احسن الخالقين) يعنى احسن المقدرين فعيسى عليه السلام يقدر الطين صورة والخلق يقدرون الصورة صورة لا انهم يخرجون الصورة من العدم الى الوجود فقال تعالى (احسن الخالقين) اى المقدرين فاعلم ذلك .

جواب آخر : وذلك ان الله تعالى هو الخالق لا خالق سواه لكن لما ذكر معه غيره قال (احسن الخالقين ٢٣ - ١٤) وان كان هو الخالق على الحقيقة دون غيره كما يقال : عدل العمرين وانما هو ابوبكر وعمر لكن لما جمع بينهما سماهما باسم واحد وكذلك قول الفرزدق :

اخذنا باكتاف السماء عليكم
لنا قراها والنجوم الطوالع
والقمر واحد لكن لما جمعه مع الشمس سماها قرين ، وكأنه تعالى لما علم من الكفار ومنكم ان تجعلوا معه غيره خالفاً قال (فتبارك الله احسن الخالقين ٢٣ - ١٤) على زعمهم ان معه خالفاً غيره وهذا كقوله تعالى : (وهو اهن عليه ٣٠ - ٢٧) على زعمكم لان عندهم ان النشأة اهن من الاعداء فذكر ذلك على سبيل الرد عليهم والانكار لقولهم ان معه خالفاً غيره لانه اثبت معه خالفاً غيره .

جواب آخر : وذلك ان لفظة أفعل فى كلام العرب قد يراد بها اثبات الحكم لاحد المذكورين وسلبه عن الآخر من كل وجه وذلك فى قوله تعالى : (أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً واحسن مقيلاً ٢٥ - ٢٤) فاثبت حسن المقييل لأهل الجنة مع حسن المستقر وسلب ذلك عن أهل النار اصلاً ورأساً لان أهل النار ليس لهم حسن مستقر ولا حسن مقييل فكذلك قوله تعالى : (احسن الخالقين) اثبت الخلق له وانه هو المنفرد به دون غيره . وكذلك يقول القائل : العسل احلى من النحل :

لا يريد ان للخل حلاوة بوجه بل يريد اثبات الحلاوة للعسل وسلبها عن النخل أصلاً
ورأساً . فـكذلك قوله (احسن الخالقين) اثبت الخلق له دون غيره .

فان احتجوا بقوله تعالى : (ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت ٦٧ - ٢)
فـكيف يجوز أن يكون خالقاً لكفر الكافرين ، وعصيان العاصين وفيه من التفاوت
غير قليل

فالجواب : ان هذا سوفهم وذلك ان هذا اراد به سبحانه وتعالى خلق السموات
في الصورة وانه ليس فيها فطور ولا شقوق اجمع المفسرون على ذلك فلا حجة لكم
فيها ثم ان اول الآية حجة عليكم لانه قال : (خلق الموت والحياة ٦٧ - ٢) وبين
الموت والحياة تفاوت وهو خالق الجميع لا خالق لذلك غيره فـكذلك كفر الكافرين
وايمان المؤمنين وان كان بينهما تفاوت في الحكم فليس بينهما تفاوت في الابدان
والاختراع واحكام الخلق فصح ان الآية حجة عليهم لا لهم .

فان احتجوا بقوله تعالى : (فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان
٢٨-١٥) فلو كان الله الخالق لو كزه موسى لقال هذا من عمل الرحمن الجواب من وجهين :

أحدهما : ان قول موسى هذا القول على وجه الادب اى انى ارتكب ما نهيت
عنه من شره النفس ووسوسة الشيطان الا تراه قال في ضلال السبعين من قومه
لما لم يكن له في ذلك كسب : (ان هى الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء
٧ - ١٥٥) فيجب على العبد عند خطاه وذنبه ان يرد اللوم والتقصير إلى نفسه
والى وسوسة الشيطان ولا يرد ذلك إلى خلق الله تعالى وارادته لانه يصير كالحجاج
عليه تعالى وليس لأحد عايه حجة : (قل فله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين
٦ - ١٤٩) . ومثل هذا قول ابيه آدم عليه السلام وحواء : (ربنا ظلمنا ٧ - ٢٣)
فردا التقصير والنقص والى أنفسهما لان هذا موضع الادب والتدال لا موضع
الاحتجاج ومثل هذا كثير .

الجواب الثاني : ان الاجماع منا ومنكم ان الوكرة ليست خلق الشيطان ولا عمله بل هي عندنا من خلق الله تعالى واختراعه ولموسى عليه السلام كسب . وعلى عقدهم النحس انها خلق موسى وعمله وليس لله فيها خلق ولا اختراع ولا عمل فبطل احتجاجهم بالآية ولم يبق الا ما قلناه وهو انه اراد بقوله : (من عمل الشيطان) اى زين ذلك وحسنه لى والله المعين .

فان احتجاجوا بقوله تعالى : (ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك) ٤ - ٧٩) فواضح تعالى ان السيئة منا والحسنة منه فالجواب من ثلاثة اوجه : —

الاول : انه لا يصح لكم الاحتجاج معشر المعتزلة بهذه الآية بوجه من الوجوه ولا بسبب من الاسباب لان ظاهرها فيه تعلق لمن يقول ان الخير خلق الله تعالى وفعله والشر خلقنا وفعلنا وانتم تقولون بظاهر هذه الآية لانكم تقولون ان احسن الحسن وخير الخير الايمان والمعرفة . وتقولون ليس لله فى هذا قدرة ولا خلق وانما هو بقدرة العبد المؤمن وخلقها فلا حجة لكم فيها .

الجواب الثانى : ان صريح النص فى اول هذه الآية حجة عليكم لانه يقال رد عليهم وامر نبيه عليه السلام ان يرد عليهم بقوله تعالى : (قل كل من عند الله ٤ - ٧٨) ثم جهلهم واياكم واكد ذلك بقوله : (فما هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً ٤ - ٧٨) فصارت الآية حجة واضحة عليكم لا لكم .

الجواب الثالث : قوله تعالى : (ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك ٤ - ٧٩) وهذا صحيح من وجهين : —

احدهما : ان مثله فى القرآن كثير . من ذلك قوله تعالى : (ويتفكرون فى خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا ٣ - ١٩١) تقدير الكلام يقولون : ربنا ما خلقت هذا باطلا . ومثله قوله تعالى : (والملائكة باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم اليوم تجزون ٦ - ٩٣) ومثله أيضاً قوله تعالى : (الذين اسودت وجوههم

اكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب ٣- ١٠٦) تقديره الكلام (فاما الذين اسودت وجوههم ٣- ١٠٦) فيقال لهم (اكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب ٣- ١٠٦) فكذلك هذا فتقدير الكلام فيه (لا يكادون يفقهون) فيقولون (ما أصابك من حسنة ٤ - ٧٩)

الوجه الثاني : ان هذه الآية ان لم تحمل على ما قلناه صار بعضها ينقض بعضاً ويخالف بعضاً ، وليس في كتاب الله تعالى مناقضة ولا اختلاف فصح ما قلناه لانه قال في اول الآية : (كل من عند الله ٤ - ٧٨) ثم يرجع في سياقها فيقول : لا انما البعض منى والبعض من خلقى كلا والله بل ذكر ذلك في سياق الآية تجهيلاً لقائله ورداً عليه فافهم الحق وادفع به الباطل .

فان احتجوا فقالوا : وجدنا افعالنا واقعة على حسب قصدنا فوجب ان يكون خلقاً لنا وفعلاً لنا . قالوا : وبيان ذلك ان الواحد منا اذا اراد ان يقوم قام ، واذا اراد ان يقعد قعد ، واذا اراد ان يتحرك تحرك ، واذا اراد ان يسكن سكن وغير ذلك . فاذا حصلت افعاله على حسب قصده ومقتضى ارادته دل على ان افعاله خلق له ، وفعل له . فالجواب من وجهين :

احدهما : ان هذا غير صحيح اولاً فانا نرى من يريد شيئاً ويقصده ولا يحصل ما يريد ولا ما يقصد . فانه ربما اراد ان ينطق بصواب فيخطئ ، وربما اراد اكلأ لقوة وصحة فيضعف ويمرض ، وربما ابتاع سلعة ليربح فيخسر ، وربما اراد القيام فيعرض له ما يمنعه منه الى غير ذلك فبطل ما ذكرتموه وصح ان فعله خاق لغيره يجري على حسب مشيئة الخالق تعالى وانما يظهر كسبه لذلك الفعل بعد تقدم المشيئة والخالق من الخالق (١) .

(١) واما ارادة العبد للفعل فهي مدار تكليفه وهي بيده جعلها الله هكذا تحقيقاً لمسئولية العبد عن أفعاله ، وهي متقدمة تقدماً ذاتياً على الخلق كما جرت عادة الله على ذلك فيكون اختيار العبد بعيداً عن شمة الجبر (ز) .

الجواب الثاني : ان وقوع السكسب من الخلق على حسب القصد منهم لا يدل ذلك على انه خلق لهم واختراع . ألا ترى ان مشى الفرس والدابة يحصل على قصد الراكب وارادته من عدو ، وتقريب ، واستطراف ، ووقوف إلى غير ذلك . ولا يقول عاقل ان الراكب خلق جرى الفرس ولا سرعتها ولا غير ذلك من أفعالها فيبطل أن يكون حصول الفعل على قصد الفاعل يدل على انه خالقه ، وكذلك أيضا السفن يحصل سيرها وتوجهها في السير من يمين إلى شمال على حسب قصد الملاح ولا يدل ذلك على أن الملاح خلق سير السفن ولا توجهها فان كابروا الحقائق وقالوا نقول ان ذلك خلقه الملاح والفارس فقد خرجوا عن الدين وسووا بين الخالق والعباد وان قدرة كل واحد منهما تتعلق بمقدورات وهذا كفر صراح . وان قالوا : حركات السفن تقع على حسب قصد الملاح وليس بخلق له . قلنا : فكذلك أفعال احدنا قد تقع ولا نقول انها تقع في كل حال على حسب قصده ولا يدل ذلك على انه خلقها فاخترعها . يؤكّد ذلك ان البياض يحصل في الناطف عند قصد الناطفي له ، ولا يقول احد ان واحدا منا يقدر أن يخلق لونا لغيره ولا لنفسه فلا يتمتع أن يكون الفعل قد يحصل على حسب قصد احدنا وليس هو خالقا له ولا موجودا له من العدم إلى الوجود فاعلم ذلك . يؤكّد هذا أيضا ان نمو الزرع يحصل على حسب قصد الزارع وقيامه عليه بسقيه وغير ذلك ولا يقول احد ان نمو الزرع خلقه الزارع ولا انه خلق في الحبة أضعاف عددها [وكذلك] ما حصل فيه النمو من الفسيل والتين وغير ذلك .

وكذلك سمن الدابة يحصل على قصد العالف لها والساقى ولا يقول احد ان العالف والساقى هو الذى خلق الشحم والسمن في الدابة . وكذلك دود القز يحصل منه القز على حسب قصد القائم عليه والمربى له ولا يقال ان القز خلقه في الدود إلا الله تعالى وان كان حاصلا على حسب ارادة القائم عليه وقصده وكذلك فيما يحصل من الواحد منا إذا أراد الله تعالى حصوله على حسب قصده لا يدل على انه هو خلقه بل الخالق له هو الله تعالى .

فان قيل فاذا لم يكن احدا خالقاً لفعله فكيف يكون ملوما عليه ومعذبا به ويستحق عليه المدح والثواب أو الذم والعقاب ؟ فالجواب : —

اننا لانقول ان المدح والثواب ، ولا الذم والعقاب يحصل بفعل الفاعل منا حتى يوجب ذلك كونه خالقاً له واختراعاً بل نقول : ان ذلك يحصل بحكم الله تعالى ويجب ويستحق بحكمه لا [بأن] يوجب الواجب عليه خلق أو جبه عليه . ألا ترى بالاجماع منا ومنكم ومن جميع المسلمين أن الدية تجب على العاقلة بقتل غيرها خطأ . وان لم تفعل العاقلة شيئاً يستحق به ايجاب ذلك عليها وان ذلك الذي فعلته خلق لها بل هو خلق لغيرها وهو الله تعالى عند المسلمين وخلق للقاتل على زعمكم فصيح ان الوجوب حصل بايجاب الله وحكمه لا بخلق العاقلة وفعلها ، وكذلك جميع الأحكام في الدنيا والآخرة انما تجب وتستحق بايجاب الله تعالى وارادته لا بكونها خلقاً للفاعل فاعلم ذلك وتحققه .

وكذلك ايضا الأكل في الصيام ناسياً فعل العبد كما هو فعل له عند تعمدده لسكن الله تعالى حكم بأن احدهما مبطل ومفطر ويذم ويعاقب عليه ، والآخر بالضد من ذلك وان كان الجميع فعلاً للعبد فصيح ان ذلك انما يكون بحكم الله تعالى لا بكونه خلقاً للفاعل فصيح ما قلناه وبطل ما توهموه .

فان قيل : من فعل الطاعة كان طائعاً ، ومن فعل المعصية كان عاصياً فالجواب : ان هذا غير صحيح لأن كون الباري تعالى خالقاً وفاعلاً لا يوجب ان يتصف بالطاعة والمعصية لأن الطاعة صفة الطائع والمعصية صفة العاصي ، ولا يوجب ذلك وصف خالق الطاعة والمعصية بكونه طائعاً عاصياً . الا ترى ان الأسود صفة لمن قام به السواد ولا يكون صفة لله تعالى وان كان تعالى هو خالق السواد ، فكذلك التحرك صفة لمن له الحركة لا صفة من خلق الحركة ، والوالد لمن له الولد لا لمن خلق الولد . والحلاوة صفة العسل لا لمن خلق الحلاوة فيه ، وكذلك الحموضة في الخل صفة للخل

لا لمن خلق الجحوضة فيه ، وكذلك الموت اذا خلقه الله في احدنا صار ميتاً واتصف بذلك ولا يوجب ان يتصف الخالق للموت بأنه ميت لما خلق الموت وفعله بالحي .
فكذلك المعصية صفة من حلت به المعصية ، والطاعة صفة لمن حلت به الطاعة ولا يوجب ذلك وصف خالقها بأنه طائع ولا عاص .

فان قيل : لا يجوز ان يكون الله خالق الظلم ، والجور ، والكذب لأن من فعل الظلم كان ظالماً ، ومن فعل الجور كان جائراً ، ومن فعل الكذب كان كاذباً والله تعالى يتنزه عن جميع ذلك ، فصح ان هذه الأشياء ليست بفعل له ، ولا خلق له .

فالجواب : ان هذا السؤال هو الأول بعينه والجواب عنه قد تقدم لكن نزيد هاهنا جواباً آخر وذلك انا نقول : ليس الأمر على مايقع لكم بل نقول ان الله تعالى خلق الظلم ظلمات للظالم به ، وخلق الجور جوراً للجائر به ، وخلق الكذب كذباً للكاذب به كما انه خلق الظلمة ظلمة للمظلم بها ، وخلق الضوء ضوء للمستضيء به ، وخلق الحمرة حمرة للاحمر بها ، وخلق السواد سواداً للأسود به ، وخلق السم سماً للمسموم به .
فكما ان الله تعالى خلق الظلمة لليل ، والضياء للنهار ، والحمرة للاحمر ، والسواد للأسود ، والسم للحية ولا يوجب ذلك كونه ظلمة ولا ضياء ولا سواداً ولا حمرة ولا سماً فكذلك خلق الطاعة طاعة للطائع بها ، والكذب كذباً للكاذب به ، والجور جوراً للجائر به ولا يوجب ذلك كونه جائراً ولا ظالماً ولا كاذباً فصح ماقلناه وبطل ماقلوه .

جواب آخر : وذلك ان الظلم والكذب والجور ليس من حيث الصورة والفعل وانما يكون كذباً إذا خالف الأمر ، وكذلك الجور والظلم وهذا كله يصح الوصف به لمن فوقه أمر امره ، ونهاه نهاه وهم الخالق . وأما الخالق فليس فوقه أمر ولا نه فلا يصح وصفه بشيء من هذا فاعلم ذلك وتحققه فانه أصل قوى تدفع به جميع ظنونهم الفاسدة .

فان قيل : لا يجوز أن يقال للجور والكذب هذا خالق الله بل يعرض عن ذلك ولا يقال فصيح أنه خلق لغيره .

فالجواب : ان هذا السؤال غير صحيح لأنك [إن] اردت الاطلاق في العموم فحائز بان تقول : ياخالق المخلوقات ، وياخالق الموجودات ، وياخالق كل شيء ، وياخالق الضر والنفع . وان اردت ذلك على الخصوص بان تقول : ياخالق الكذب والجور فلا يجوز من طريق الأدب والاذن في ذلك كما انا نقول ياخالق المخلوقات فنعم بذلك السموات ، والأرض ، والشمس ، والقمر ، والقردة ، والخنزير ، والكلاب ، والجمالان وغير ذلك من سائر المخلوقات . فلا يجوز ان تقول على الانفراد ياخالق الاقدار والانجاس ونحو ذلك من طريق الأدب وانه لم يؤذن لنا في ذلك بل ندعوه باسمائه الحسنى كما امر فقل . (والله الأسماء الحسنى فادعوه بها (١٨٠ - ٧) .

مسألة : اعلم انه لا يجزى في العالم الا ما يريد الله تعالى ، وانه لا يؤمن مؤمن ولا يكفر كافر الا بإرادة الله تعالى ولا يخرج مراد عن مراده كما لا يخرج مقدور عن قدرته . وقالت المعتزلة ومن وافقهم من أهل البدع : ان الله تعالى لا يريد الا الطاعة والايان فاما من كفر وعصى فقد اتى بما ليس بمراد الله تعالى وقالوا : ان كل واحد يفعل من الأفعال ما لا يريد الله تعالى حتى انتهى بهم القول إلى ان البهائم تفعل أفعالا لم يردّها تعالى وانه لو اراد فعل غيرها منهم لم يحصل ذلك له وامتنع عليه ، سبحانه وتعالى عما يشركون . ونحن براء الى الله تعالى من جهلهم وبدعهم ونقول : ان مذهب اهل السنة والجماعة الذي ندين الله تعالى به انه لا يتحرك متحرك ، ولا يسكن ساكن ولا يطيع طائع ، ولا يعصى عاص ، من أعلى العلى إلى ماتحت الثرى الا بإرادة الله تعالى وقضائه ومشيتته . ويدل على صحة ما قلناه الكتاب والسنة واجماع الأمة وادلة العقل . فاما الكتاب فاكثر من ان يحصى لكن نذكر منها ما فيه الكفاية ويدل العاقل على نظائره من ادلة الكتاب فمن ذلك قوله تعالى : (ولو شأركم لعل الناس

أمة واحدة ولا يزالون مختلفين ١١ - ١١٨) (إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم
 ١١ - ١١٩) وهذه الآية أوضح دليل واقوم حجة من وجوه عدة : -
 أحدها : انه اخبر تعالى انه لو شاء واراد لجعل الناس كلهم أمة واحدة على الايمان
 أو على الفسك والضلال وهذا خلاف قول المعتزلة لأنهم يقولون : انه ما اراد الا
 كونهم أمة واحدة على الايمان فبطل قولهم ببعض هذه الآية .

الثاني : انه قال (ولا يزالون مختلفين) (إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم) فاخبر
 تعالى أنه خلقهم لما اراد من اختلافهم وانه لم يرد ان يكونوا أمة واحدة .

الثالث : قوله تعالى : (إلا من رحم ربك) فاخبر تعالى ان منهم من رحمه
 وأراد رحمته دون غيره فصح انه لا يكون من عباده ولا يجري في ملكه الا ما اراده
 وقضاه وقدره .

ويدل عليه ايضا قوله تعالى : (فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للإسلام ومن
 يرد ان يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً ٦ - ١٢٥) فنص تعالى على ان الهدى بارادته
 والضلال بارادته وهذا نص واضح لا اشكال فيه .

ويدل على صحة مذهب اهل السنة والجماعة قوله تعالى : (ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً
 من الجن والانس ٧ - ١٧٩) وجه الدليل : انه تعالى خلق من الجن والناس قوما
 ليدخلوا النار ويكونوا اهلاً لها ولا يكونون اهلاً لها الا بالكفر والطغيان والعصيان
 فعلم ان جميع ذلك بارادته وقضائه وقدره .

ويدل عليه ايضا قوله تعالى : (ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا
 عليهم كل شيء قبلاً ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله ٦ - ١١١) فاخبر تعالى ان الحجاج
 والآيات لا تنفع وانما تنفع المشيئة التي بها تتم الاشياء فمن شاء ايمانه آمن ومن شاء
 كفره لم يؤمن .

ويدل عليه قوله تعالى : (ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا ٥ - ٤) وهذا نص في انه اراد فتنه الكافر واضلاله . ويدل عليه ايضا قوله تعالى : (ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعاً ١٠ - ٩٩) وهذا نص واضح يغني عن الشرح الا انه اخبر انه ماشاء ان يؤمن اهل الارض كلهم . وعند المخالف انه قد شاء ذلك والله قد اكذبه في هذه الآية وامثالها .

ويدل عليه ايضا قوله تعالى : (اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم ٥ - ٤١) وهذا صريح في ارادته بقاءهم على كفرهم . ويدل عليه ايضا قوله تعالى : (واسكن كره الله ان يعاشهم فسطحهم ٩ - ٤٦) فاخبر تعالى انه اراد قعود المنافقين عن الخروج إلى الغزو في سبيل الله تعالى ولو ان احدا اراد ان يستقصي جميع ما في القرآن من الأدلة على صحة مذهب اهل السنة والجماعة وابطال بدعة القدرية مجوس هذه الامة كما جاء في الاثر وقول الصحابة اطال ذلك وما وسعه كتاب (١) .

ويدل على صحة قول أهل السنة والجماعة من الأخبار ما روى في الصحيح في محاجة موسى وآدم عليهما السلام حتى قال آدم يا موسى اترى هذا الأمر قد قدر على او لم يقدر؟ فقال موسى : بل قدر عليك . فقال له آدم فكيف يكون فرارى من أمر قدر على؟ قال نبينا صلى الله عليه وسلم فخرج آدم موسى أي ظهر عليه في الحججة (٢) وهذا صريح

(١) والأدلة المذكورة واضحة في عموم ارادة الله سبحانه وليس في شيء منها ابطال اختيار العبد ليكون مجبوراً في أفعاله واما حديث القدرية مجوس هذه الامة فقد ذكرنا كلام اهل الشأن فيه في مقدمة التبصير ، وفي سنده جعفر بن الحارث وهو منكر الحديث عند العقيلي وغلا ابن الجوزي والصنعاني فحكما بوضعه (ز) .

(٢) ويرى ابن حزم كون موسى محجوجا ناشئا من جعله لوم آدم على غير فعله لآمن القدر كما في الإحكام (١ - ٢٦) فلا يكون الحديث من أدلة القدر عنده وان كان في الكتاب والسنة كثير من الأدلة على القدر ، ولا يرى ابن حزم ايضا معنى الإيجاب والإكراه في القضاء والقدر على خلاف ظن بعض الناس كما في الفصل (٣ - ٥١) (ز)

من نبينا صلى الله عليه وسلم ومن جميع الرسل عليهم السلام ان جميع الامور خیرها وشرها بقضاء الله وقدره ومشیتته .

ويدل عليه ايضاً الخبر المروى فى الصحاح عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن ابيه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أتاه الرجل فسأله عن الايمان فقال : « ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والتدر خيره وشره من الله تعالى ، فقال صدقت يا محمد ثم اخبرهم انه جبريل عليه السلام فصيح باجماع الانبياء والرسل والملائكة والصحابة ان الامور كلها بقضاء الله وقدره .

ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم من جملة حديث : « فتقول الملائكة يا رب اشقى أم سعيد فيقضى الله عز وجل ويكتب الملك ثم تطوى الصحف فلا يزد فيها ولا ينقص . ثم اكد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم بقوله : « السعيد من سعد فى بطن امه والشقى من شقى فى بطن امه ، فعلم كل عاقل ان الله تعالى اسعد من شاء وكتبه سعيداً واشقى من شاء وكتبه شقيماً واخبار الرسول واقوال الصحابة فى هذا المعنى كثيرة جداً لا تحصى وفى بعض ما ذكرنا كفاية .

ويدل على صحة مذهب أهل السنة والجماعة اجماع المسلمين من الصحابة وهلم جرا الى وقتنا هذا ان الجميع منهم يطلق ويقول فى الخلاء والملاء من غير تكبر : ما شاء الله كان وما لم يشاء لم يكن . فوقع الاجماع من الخاص والعام ان الامور كلها بمشيئة وقدر^(١) من الله تعالى . وقيل اوحى الله الى بعض الانبياء : تريد واريد ولا يكون إلا ما اريد فان لم تسلم لما اريد اتعبتك فيما تريد ثم لا يكون الا ما اريد وهذا نص واضح فى أنه لا يكون فى الدارين الا ما اراد الله تعالى / وقد سئل بعض السلف فقيل له : بم عرفت ربك ؟ قال : بنقض العزائم ، وفسخ الهمم وذاك ان الواحد منا

(١) وقدر الله فى أفعال العباد الاختيارية على طبق علم الله بها وعلم الله بأفعال العبد باختياره لا ينافى اختياره فيها بل يحقق اختياره فيها فليس هناك شائبة جبر فى التحقيق (ز) .

يعزم على الامر ويهم به فيجری عليه غير ما عزم عليه وهم به فعلم كل عاقل ان ذلك الفسخ لان المقدر قدر له غير ما قدر لنفسه والمريد اراد له غير ما اراد لنفسه فكان ما اراده العبد لنفسه ، ولو شرعنا في ذكر ما روى عن السلف والخلف في هذا المعنى طال ولم يسعه كتاب (١) .

فصل : ويدل على صحة مذهب اهل السنة والجماعة من ادلة العقل ان الملك اذا جرى في ملكه ما لا يريد دل ذلك على نقصه او ضعفه او عجزه والله تعالى موصوف بصفات الكمال لا يجوز عليه في ملكه نقص ولا ضعف ولا عجز فكيف يكون في ملكه ما لا يريد ويريد اضعف خلقه فيكون . كلا سبحانه وتعالى ان يأمر بالفحشاء او يكون في ملكه الا ما يشاء ثبت بحمد الله ومنه مذهب اهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة واجماع الامة وادلة العقل .

فصل : في ذكر آيات وسنة يحتجون بها والجواب عنها .

فان قالوا : فما معنى قوله تعالى : (والله لا يحب الفساد ٢-٢٠٥) قلنا : المراد به انه لا يثيب على الفساد ولا يمدحه ولا يأمر به فان اسم المحبة انما يقع على ما يثاب عليه ويمدح فاعله عليه وليس كل ما يريد المرید يقال [فيه] انه احبه الا ترى ان المرید يريد بذل ماله للسلطان الجائر من هدية ورشوة ليتقى بذلك شره ثم لا يقال انه احب ذلك ، وكذلك الرجل اللبيب يريد ضرب ولده وقرة عينه ليؤدبه ثم لا يقال انه احب ذلك ، وكذلك يريد ربط جروحه وقطع ساعته وشرب المر من الدراء ولا يقال انه احب ذلك . وكذلك الحميم يريد ويبادر في الحفر لميته وتجهيزه وتغيبه تحت الزاب ولا يقال انه محب لذلك ولا يؤثره . فعلم انه ليس كل ما اراده المرید احبه وانما يقال احب الشيء اذا مدحه واثنى عليه واثاب عليه والله تعالى لم يمدح الفساد ولم يثن على المفسد ولم يثبه .

(١) أسباب الخذلان واسباب التوفيق عند الله سبحانه تؤدي الى تيسير الشر في أناس وتيسير الخير في أناس ، والأسباب التي يتلبس بها العبد تؤديه إلى مقتضاها وان كانت تفاصيل ذلك مجهولة عند العبد فيعود الامر الى حسن اختيار العبد أو سوء اختياره (ز) .

جواب آخر : وهو ما ذكره بعض أصحابنا وهو : ان قوله تعالى : (والله لا يحب الفساد ٢ - ٢٠٥) يعنى لا يحبه من أهل الصلاح والطاعة وهو كقوله (ولا يرضى لعباده الكفر ٣٩ - ٧) يعنى لعباده المؤمنين وسنذكر ذلك ان شاء الله تعالى .
 فان قيل أليس قد قال الله تعالى : (سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم ٦ - ١٤٨) فدل على ان الشرك ليس بمشيئة الله تعالى . فالجواب من وجهين : -
 احدهما : ان سياق الآية حجة عليهم لأنه قال فيها (قل فله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم اجمعين ٦ - ١٤٩)

الجواب الثانى : انهم انما قالوا ذلك على سبيل التكذيب والاستهزاء لا على سبيل الايمان وانما قصدوا تكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم فى قوله : (ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعاً ١٠ - ٩٩) وهذا كقوله تعالى : (وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطع من لو يشاء الله أطعمه ٣٦ - ٤٧) قالوا ذلك على سبيل التكذيب والاستهزاء لا على وجه الايمان والاعتراف بأن الله قادر ان يطعمهم . فلذلك قالوا فى تلك الآية وجعلوه لهم حجة فجعله كذبا وان حجبتهم باطالة فصيح ما قلناه .

فان قيل : فما معنى قوله تعالى : (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ٥١ - ٥٦) فالجواب من وجهين : -

احدهما : انه أراد بعض الجن والانس . الذى يدل على صحة ذلك أن كثيراً من الجن والانس يموت قبل أن يبلغ حد التكليف والعبادة وصار هذا كقوله تعالى لأصحاب نبيه صلى الله عليه وسلم : (لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله ٤٨ - ٢٧) وأراد البعض لا الكل لأن منهم من مات قبل الدخول وقتل قبل الدخول . الذى يقوى ذلك ويصححه انه قال فى آية أخرى : (فريقتا هدى ٧ - ٣٠) يعنى إلى الطاعة (وفريقتا حق عليهم الضلالة ٧ - ٣٠) يعنى عن العبادة والطاعة .

ويدل عليه أيضا قوله تعالى : (ولقد ذرأنا لجنهم كثير آمن الجن والانس ٧-١٧٩) وهم الذين لم يرد ان يطيعوه فاعلم ذلك .

والجواب الثانى : ان المراد بذلك أن لا يقرؤا بالعبادة طوعا أو كرها وهذا قول ابن عباس وهو حسن لان الكل لابد أن يقرؤا بذلك ، إما فى الدنيا وإما فى الآخرة .

جواب آخر : وهو أن المراد بذلك إلا لآمرهم وأنهم وهذا قول مجاهد .
فان قيل : فما معنى قوله تعالى : (وأما ثمود فهديناهم فاستجبوا لعمى على الهدى ٤١- ١٧) فالجواب من ثلاثة أوجه : -

أحدها : ان معنى هديناهم أى دعوناهم قاله [سفيان] وهذا صحيح لأن الهدى يكون بمعنى الدعاء ، قال الله تعالى : (انما أنت منذر ولكل قوم هاد ١٣- ٧) أى داع يدعوهم إلى الهدى ، وقال تعالى : (وانك لتهدى إلى صراط مستقيم ٤٢- ٥٢) أى تدعو .

الجواب الثانى : (وهديناهم ٦- ٨٧) أى بينا لهم سبيل الهدى قاله قتادة وهذا صحيح يدل عليه قوله تعالى : (وهديناه النجدين ٩٠- ١٠) يعنى بينا له طريق الخير وطريق الشر ، وقال الصديق رضى الله عنه لما كان هو والرسول عليه السلام قاصدين إلى الهجرة من مكة إلى المدينة فكان الناس يقولون أبا بكر وكان معروفا فيسلمون عليه ويسألونه من هذا الرجل الذى معك ؟ فيقول : رجل يهدينى السبيل ، يعنى يعرفنى الطريق وهو يريد رضى الله عنه سبيل الحق والدين .

الجواب الثالث : أعلمناهم الهدى من الضلالة .

جواب رابع : وهو أن المراد بذلك هدينا فريقا منهم وأضللنا فريقا . دليل ذلك قوله تعالى : (ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحا ان اعبدوا الله فاذا هم فريقان يختصمون ٢٧- ٤٥) . ويدل عليه أيضا قوله تعالى : (قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه قالوا انا بما أرسل به مؤمنون * قال الذين استكبروا انا بالذى آمتم به كافرون ٧٥- ٧٦) فصيح ما قلناه

وانه هدى بعضا وأضل بعضا بنص القرآن فاعلم ذلك .

جواب خامس : وهو ان فريقا من ثمود آمنوا ثم ارتدوا ففهم نزلت الآية يدل عليه قوله تعالى : (فاستجبوا للهمى على الهدى ٤١ - ١٧) يعنى رجعوا إلى الكفر بعد الايمان .

فان قيل : فما قولكم في قوله تعالى : (ان تكفروا فان الله غنى عنكم ولا يرضى لعباده الكفر ٣٩ - ٧) فصح [أنه] لا يريد الكفر فالجواب من وجهين : -
احدهما : انه لو كان كما قلتم لكان يقول : ولا يرضى لأحد الكفر أو يقول : ولا يرضى لكم الكفر فلما لم يقل ذلك لم يكن لكم حجة .

الثانى : انه قال تعالى : (ولا يرضى لعباده الكفر ٣٩ - ٧) وإذا أضافهم إليه بلفظ العبودية فانما أراد بذلك خواص عباده المؤمنين دون الكافرين . ونحن نقول انه مارضى للخواص الكفر ولا اراد لهم الكفر وانما رضى لهم الايمان . الذى يدل على صحة هذا ان العباد إذا أضافهم إليه كان المراد بهم المؤمنين دون غيرهم قوله تعالى : (ان عبادى ليس لك عليهم سلطان ١٥ - ٤٢) وأراد بذلك المؤمنين دون الكفار . وكذلك قوله تعالى : (يا عبادى لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون ٤٣ - ٦٨) أراد المؤمنين دون الكفار . وكذلك قوله تعالى : (عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجييرا ٧٦ - ٦) أراد المؤمنين دون الكفار ، وكذلك قوله تعالى : (ولا يرضى لعباده الكفر ٣٩ - ٧) أراد المؤمنين دون الكافرين فاعلم ذلك وتحققه .

الجواب الثانى : ان الرضا بالشئ هو المدح له والثناء عليه والاثابة عليه وكونه ديناً وشرعاً والله تعالى لا يرضى الكفر بمعنى انه لا يمدحه ولا يثيب عليه ولا يرضى كونه ديناً وشرعاً دون ارادة وجوده وخلقه فاعلم ذلك .

فان قيل : اتقولون ان الله تعالى قضى المعاصى وقدرها كما انه خلقها قلنا له : أجل نقول ذلك بمعنى انه خلقه وأوجده على حسب قصده واراادته ولا نقول انه

قضاء بمعنى أنه أمر به ولا رضىه ديناً وشرعاً وأنه يمدحه ويثيب عليه .

فان قيل : فعلى كم وجه ينقسم القضاء ؟ قيل له على وجوه كثيرة .

منها : قضاء يكون بمعنى الخلق وذلك قوله تعالى : (فقضاهن سبع سموات في يومين ٤١ - ١٢) يعنى خلقهن ، ويكون القضاء بمعنى التسليط والخلق وهو قوله تعالى (فلما قضينا عليه الموت ٣٤ - ١٤) يعنى خلقنا وسلطنا عليه الموت ، ويكون بمعنى الإخبار والاعلام وهو قوله تعالى : (وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ١٧ - ٤) يعنى أعلنناهم وأخبرناهم ، ويكون القضاء بمعنى الأمر قال الله تعالى : (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه ١٧ - ٢٣) ، ويكون القضاء بمعنى الحكم والإلزام يقال : قضى القاضى على فلان بكذا أى أوجبه عليه وألزمه أياه وحكم به عليه فان الله تعالى قضى بالمعاصى والكفر ، بمعنى أنه أرادته وخلقها ، وقدره ، ولا يجوز أن يكون بمعنى أمر به واختاره ديناً وشرعاً ، ولا مدحه ، ولا يثيب عليه ولا فرضه فرضاً على أحد بمعنى أنه أوجبه عليه ، فاعلم هذه الجملة وتحققها تسلم من شبه المبتدعة وتلبسهم على العوام ومن لا فهم له ان شاء الله .

فان قيل : أفترضون بقضاء الله وقدره ؟ قلنا : هذا يحتاج إلى تفصيل ، فنحن نطلق الرضا بقضاء الله وقدره على الإطلاق بمعنى أنه لا يعترض على حكمه السابق واراادته الأزلية ، ولا يتقدم بين يديه [بالاعتراض] بل نسلم لما أراد فينا وفي غيرنا ولا نعترض بما يفعل فنقول : نحن نرضى بقضاء الله الذى هو خلقه كما أخبرنا به ومدحنا على فعله ، ووعد عليه الثواب فنرضى بذلك ونريده لنا ولجميع اخواننا من المسلمين ، ولا نقول : ان قضاءه الذى هو بمعنى خلقه ، وإيجاده الذى هو خلقه مذموماً فيبىحاً ذنباً معصية كفراً انا نرضى بذلك ديناً وشرعاً ولا نحبه ولا نرضاه ولا نريده لنا ولا لأحد من أخواننا المسلمين ، فاعلم هذا التفصيل تسلم من شبه الأباطيل ومن خدع أهل التعطيل . يؤكد هذا أو يقرره انا نقول وكل مسلم عند الإطلاق ان جميع الأشياء لله تعالى أنه خلقها وهى ملك له ، لا خالق ولا مالك لها

غيره من والد ، وولد ، وزوجة ، وصاحبة ، فنطلق ذلك عند الاجمال . فاما عند التفصيل فنقول : ان لله الأسماء الحسنى . ونقول : ان له الجلال ، والجمال ، والقدرة والكمال ، ولا نقول ان له الولد ، والوالد ، والصاحبة ، والزوجة ، والشريك فاعلم ذلك . وكما نقول عند الاطلاق ان كل مخلوق يبيد ويفنى ويزول ويضمحل ، ولا نقول عند التفصيل ان حجة الله على خلقه والأعمال من الصلاة ، والصيام ، والحج ان ذلك يبيد ويفنى ويضمحل ونحو ذلك .

ثم نقول لهم يا جهلة : اليس الله تعالى قضى بموت نبيه صلى الله عليه وسلم ، وكذلك موت جميع الأنبياء عليهم السلام فلا بد أن يقولوا : بلى . فتقول لهم اقترضون بذلك واشباهه ؟ ان قالوا : نعم . وكلنا نقول انه قضى ذلك قلنا : وكذلك نقول نحن ايضا : قضى كل موجود وخلقه واراده عند الاطلاق ، وعند التفصيل لا نقول انا رضينا موت النبي صلى الله عليه وسلم بمعنى انا احببنا ذلك وانه سرنا فاعلم ذلك .

فان قيل : اليس الله تعالى قد نهى عن الكفر والمعصية ؟ قلنا : بلى قد نهى عن ذلك . فان قالوا : فلا يحسن ان يريد شيئا ويريد وجوده ثم ينهى عنه قلنا : الجواب من وجهين :—

احدهما : ان يقال لهم اليس الله تعالى قد علم ان الكافر يكفر وانه يوجد منه الكفر لا محالة ، فلا بد لهم من [ان يقولوا] نعم . فيقال لهم : فكيف نهاه عن امر قد علم انه يكون منه ولا بد من وجوده فلما جاز ان ينهى مع علمه انه لا بد منه جاز ان ينهى عنه وان اراده . فاعلم ذلك .

جواب آخر : وهو ان يقال لهم اليس الله تعالى نهى عن ايلام الرسل والمؤمنين فلا بد من [ان يقولوا] لا نعم ؛ فيقال لهم : فيوجد فيهم الالم من الأمراض والموت ام لا ؟ . فلا بد من [أن يقولوا] : نعم . فيقال لهم : فاذا جاز ان ينهى عن ايلامهم

ثم يريد ذلك ويحسن منه فكذلك في مسألتنا يريد وينهى حتى يثبت لنفسه كمال القدرة ونفاذ الأمر والمشئمة (لا يستل عما يفعل وهم يستلون ٢١ - ٢٣) . والجملة ان الأمر منا ، والنهى منا ، والفعل منا ، والارادة منا انما توصف تارة بكونها حسنة ، وتارة بكونها قبيحة انما ذلك لمعنى ، وهو ان كل ما كان منا مخالفاً لأمر الرب تعالى فهو قبيح وان كانت صورته حسنة من حيث الحس والنظر ، والسمع ونحو ذلك ؛ وان كل ما كان منا حسناً انما كان ذلك لأنه موافق لأمر الرب تعالى لا من حيث الصورة والحسن . فاذا صحح هذا جئنا إلى افعاله تعالى وارادته وامره ونهيه فوجدناه ليس فوقه تعالى أمر يأمره ولاناه ينهيه فصح ان جميع افعاله وامره ونهيه حسن على كل حال لا يتصف بغير ذلك فاعلم هذه الجملة توفق ان شاء الله تعالى . وفقنا الله واياكم وجميع المسلمين .

الشفاعة

اعلم ان أهل السنة والجماعة أجمعوا على صحة الشفاعة منه صلى الله عليه وسلم لأهل الكبار من هذه الأمة ، وقد قدمنا المسألة وذكرنا الأخبار الواردة في الشفاعة أصلاً ورأساً . واعلم ان المعتزلة افرقت فرقتين ؛ فقوم منهم أنكروا الشفاعة أصلاً ورأساً وردوا الأخبار الصحيحة الواردة فيها ومادل عليه القرآن من ذلك . وقالت الفرقة الثانية : ان للانبياء شفاعة وللملائكة لكن لثلاث فرق من المؤمنين . فرقة منهم : أصحاب صغائر وليست لهم كبيرة من الذنوب . والفرقة الثانية : قوم عملوا الكبائر وتابوا منها وندموا عليها . والفرقة الثالثة . قوم من المؤمنين لم يعملوا ذنباً أصلاً . فاما صاحب الكبيرة الذي مات من غير توبة فلا شفاعة له عندهم وكلا القولين باطل .

أما الفرقة الأولى : فوجدت صحة الأخبار الصحاح ؛ وأما الفرقة الثانية : فذهبت إلى محال من القول لأن الشفاعة عندهم فيمن لم يعمل كبيرة أو عمل وتاب لا معنى لها لأنها تكون بمعنى أن الشافع يقول : يا رب لا تظلم عبادك فانك قد وعدت انك

تخفف الصغائر مع اجتناب الكبائر ؛ وكذلك التائب من الكبيرة لا تظلمه فانك قد وعدت بقبول التوبة ، والله اجل وأعلى من ان يسأل ويشفع اليه الا بظلم فبطل قولهم . واما من لم يذنب اصلا فعلى خبث عقدهم انه قد وجب له على الله الثواب ، والجنة ، والنعيم المقيم ، فما معنى هذه الشفاعة له . فلم يبق الا أنهم عاندوا الحق وضلوا السبيل واستحوذ عليهم وسوسة المردة والشياطين حتى ردوا القرآن والسنة وإجماع الأمة فنعوذ بالله منهم ومن خبث عقدهم .

فان قالت هذه الفرقة الأخيرة منهم : تكون الشفاعة لمن ذكرنا من الثلاث فرق شفاعة في الثواب قلنا : وهذا ضلال أيضا لأن القرآن انما نطق بشفاعة الملائكة في وقاية المؤمنين شر ذنوبهم يوم القيامة ولم يذكر فيها زيادة الثواب وانما اخبر عنهم يقولون : (وقهم السيئات ٤٠ - ٩) فصيح ان الشفاعة في الذنوب والسيئات ان يغفر لها ويتجاوز عنها لا ما ذكرتم يا فرقة الضلال .

فاما الأدلة على صحة الشفاعة فقد ذكرناها من الكتاب والسنة لكن نجد هاهنا طرفا منها . امامن القرآن فقوله تعالى : (عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا ١٧ - ٧٩) روى [عن] انس بن مالك ، وابي سعيد الخدري وجماعة من الصحابة لا يحصون عددا ان ذلك في الشفاعة ، ثم ذكروا ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم في اخبار يطول ذكرها وشرحها . وقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم قوله : « شفاعةي لأهل الكبائر من امتي » وهذا فيه الحجة على الفريقين ممن انكر الشفاعة اصلا ومن قال انها لغير أهل الكبائر . وقال صلى الله عليه وسلم : « أشفع الى رب فيحدي حدا فأخرجهم من النار ، ثم أشفع فيحدي حدا فأخرجهم من النار » ثم ذكر الحديث إلى ان قال : حتى لا يبقى احد من اهل الايمان في النار ولو كان في قلبه مثقال ذرة من ايمان ، وهذا الحديث صريح في الحجة على كل من الفريقين من المعتزلة . واخبار الشفاعة كثيرة جداً وقد قدمنا منها ما فيه الكفاية وزيادة ، ولأن الشفاعة في أقل الدارين من أقل الشفعاء تكون في الذنوب وغيرها فما ظنك بالشفاعة في أعلى

الدارين من أعلى الشفعاء عند الله عز وجل حتى ذكر في بعض الأخبار انه صلى الله عليه وسلم يغبط بذلك المقام يغبطه به الاولون والآخرين ، ثم تكون الشفاعة فيمن لا كبيرة له وإنكار هذا جهل وعناد وطعن في القرآن وصحيح الأخبار .

فصل : نذكر فيه شياً لهم يرومون بذلك دفع الأخبار الصحاح المجمع على صحتها في صحة الشفاعة ونحن نجيب عنها بعون الله ومنه وحسن توفيقه . فان قالوا هذه الأخبار تعارض بمثلها فانه قد روى الحسن البصري وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : « لا تنال شفاعتي أهل الكبائر من أمتي ، فالجواب من وجهين : — احدهما : ان هذا عن الحسن لم يصح ولم يرد في [خبر] صحيح ولا في سقيم ، وانما هو اختلاق وكذب ، ولا يعارض الآثار الصحيحة المتفق على صحتها ، ثم لو جاز ان يكون قد روى فلم يسقط الصحيح المجمع على صحتها بالضعيف السقيم الذي لا أصل له مع امكان الجمع بين الكل واستعمال الجميع فتحمل صحاح الأخبار على ما قلنا ويحمل هذا الخبر على انه أراد به الكبائر التي تخرج من الإسلام ، نحو الكفر بعد الإيمان ، أو استحلال ما حرم الله ، أو تكذيب بعض الرسل أو بعض الكتب ، ويصير هذا كما قلنا انا نجمع بين كل ما ذكر في القرآن وان كان ظاهره يناقض بعضها بعضاً عند الجهال مثلكم فانه تعالى قال : (هذا يوم لا ينطقون ٧٧-٣٥) ثم قال في موضع آخر : (وأقبل بعضهم على بعض يتسائلون ٣٧-٢٧) فيحمل هذا على انهم لا ينطقون عند الصراط ، والميزان ، والكتب ، ويسأل بعضهم بعضاً بعد ذلك حتى لا نسقط شيئاً من كتاب الله ولا ينقض بعضه بعضاً ، فكذلك يحمل قوله : « شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي » في حق من يبقى على الإيمان حتى يخرج من دار الدنيا ، ويحمل ماذكروا لو كان صحيحاً على من خرج من الدنيا على غير إيمان ، ونكون أسعد وأولى لانا نثبت الصحيح بتأويل شئ باطل لا أصل له ان لو صح ، وهم يسقطون الصحيح المتفق على صحته بشئ باطل لم يصح .

فان قيل : هذا لا يصح مع قوله عليه السلام : « لا ينال شفاعتي أهل الكبائر من أمتي ، والكافر بما ذكر به ثم ليس من أمتهم قلنا : بل يصح ذلك من وجهين : —

احدهما : انه أراد بذلك من كان من أمتي ثم ارتد ، أو نحو ذلك فقد يجوز ان يسمى الشيء بما كان عليه أولا وان كان في الحال لا يسمى به ، ألا ترى إلى ما قال صلى الله عليه وسلم في النيد : « ثمرة طيبة وماء طهور » يعنى كان ثمرة طيبة وماء طهورا لا يريد انه في الحال ثمرة ، وكذلك أمر صلى الله عليه وسلم بلالا : « ارجع فناد الا ان العبد نام ، ولم يرد انه الآن عبد بل أراد انه كان عبداً ، لأن الصديق اعتق بلالا قبل ذلك . يقال لعتيق الرجل : عبد بنى فلان اى كان عبداً لهم ونحو ذلك كثير . ويحتمل أن يكون سماهم من أمتهم لأنهم كانوا في عصره ووقته وقرنه وكل قرن يسمى أمة ويكون ذلك فيمن كان آمن به في وقته ثم ارتد فمن ذكر من أهل الردة ، أو كان في وقته ولم يؤمن وسماه من أمتهم لأنه في قرنه وعصره فصح ما قلناه وبطل تعلقهم بما لا أصل له .

فان قيل : أليس قد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : « من تحسى سما وقتل نفسه فهو يتحساه في نار جهنم خالداً فيها أبداً » ، وروى مثله فيمن قتل نفسه بحديدة ، ومن تردى من جبل . وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال : « لا يدخل الجنة مد من خمر ، وعاق والديه » فهذه الأخبار معارضة لأخبار الشفاعة .

فالجواب عن هذه الأخبار ان [منها] ما صح [و] منها [ما لم يصح] ويجمع بين الكل ، فتحمل هذه الأخبار على من فعل ذلك مستحلاً لفعله أو فعله على وجه التكذيب للصادق فيما أخبر به أن هذا الفعل كبيرة حرام ونحو ذلك وهذا صحيح لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : « من قال لا إله إلا الله دخل الجنة » . فقال أبو ذر : وان زنا ، وان سرق ؟ فقال : وان زنا ، وسرق ، وقتل ، وشرب الخمر ، وان رغم أنف ابى ذر ، فصح ما قلناه وقبلنا جميع الأخبار الصحيح ولم نضرب بعضها ببعض ولا أسقطنا بعضها ببعض كما يفعل أهل البدع الذين ضاهوا اليهود في قولهم : (تؤمن ببعض ونكفر ببعض ٤-١٥٠)

فان قيل : أليس عندكم ان الرسول صلى الله عليه وسلم لا يشفع الا في مؤمن وقد وردت الروايات « لا يزني الزاني وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق وهو مؤمن » وكذلك روى انه قال : « ليس منا من يأتي بطينا ويأتي جاره خميصا ، و « من غشنا فليس منا » و « لا إيمان لمن لا أمانة له ، إلى غير ذلك فكيف يشفع الرسول عليه السلام فيمن ليس بمؤمن ؟

فالجواب : أن يقال لهم هذه الأخبار لا حجة فيها ولا تعارض أخبار الشفاعة فانها متحملة لوجوه اذا صرفت إليها صحت ولم تكن معارضة لأخبار الشفاعة .

أحدهما : أن يكون المراد لا يزني ولا يسرق حين يفعل ذلك وهو مؤمن أى مستحل لذلك حتى يصح الجمع بين هذه الأخبار وبين قوله صلى الله عليه وسلم : « من قال لا إله إلا الله دخل الجنة وان سرق وان زنا وشرب الخمر ، أو يكون اراد بذلك إذا فعله على وجه التكذيب لتحريم هذه الأشياء والله تعالى لم يحرمها ، أو يكون المراد ليس بمؤمن كإيمان المؤمن الذى لم يكن منه سرقة ، ولا زنا ، ولا شرب خمر أى فى البر ، والطهارة ، والعفة ونحو ذلك ويصير هذا كقوله : « لا صلاة لجار المسجد إلا فى المسجد » أراد الكمال . وهذا الفصل أفسد الحجج وأدحضها بحمد الله تعالى .

فان قيل : فما معنى قوله تعالى : (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى ٢١ - ٢٨) قيل معناه الرد على من أنكر أصل الشفاعة فأخبر تعالى ان ثم شفاعاة لكن لمن أراد تعالى ان يشفع له واذن فى ذلك ولم يرد إلا لمن رضى سائر عمله لأن من رضى سائر عمله لا يحتاج إلى شفاعاة ويحتمل أن يكون (لا يشفعون إلا لمن ارتضى ٢١ - ٢٨) يعنى لمن كان معه عمل^(١) مرتضى . والمؤمن معه أفضل الأعمال التى ترضى وان كان عاصياً فاسقاً وهو التوحيد والتصديق وقوله : لا إله إلا الله . والذى لا يرضى عمله أجمع هو الكافر فصح ماقلناه .

فان قيل : فما معنى قوله تعالى : (ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع ٤٠ - ١٨) قلنا : معناه فالظلم بالشرك والكفر الذى لا ينفع معه طاعة كما قال تعالى : (ان الشرك لظلم عظيم ٣١ - ١٣) ولهذا لما نزل قوله تعالى : (الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم ٦ - ٨٢) حزن الصحابة رضى الله عنهم كذلك حتى قال الصديق رضى الله عنه وارضاه يارسول الله : واينا لم يلبس ايمانه بظلم ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « ليس هذا يا ابا بكر انما الظلم الشرك ها هنا الاترى الى قول لقمان (يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم) ، فدل ان لشفاعة تنفع الكافر . ولا حميم يدفع عنه ، والمؤمن بخلاف ذلك بحمد الله وان كانت له سيئات فاعلم ذلك .

فان قيل : فما معنى قوله تعالى : (لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون ٤٣ - ٧٥) (ولا يخفف عنهم من عذابها ٣٥ - ٣٦) وقوله : (كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب ٤ - ٥٦) وقوله تعالى : (فما تنفعهم شفاعة الشافعين ٧٤ - ٤٨) .

فالجواب : ان نقول انتم واخوانكم من الخوارج دأبكم ابدأ ان تجعلوا آيات العذاب فى أهل الايمان والتوحيد وهى لأهل الكفر والضلال دون المؤمنين بحمد الله تعالى ، وهذه الآيات كلها فى أهل الكفر ، والذى يدل على صحة هذا ما قدمنا من الاخبار الصحاح : « من قال لا إله الا الله دخل الجنة » وغير ذلك من الاخبار الصحاح ؛ وايضا فان القرآن نطق بذلك فانه قال فى أول هذه الآية : (ما سألكم فى سقر ؕ قالوا لم نك من المصلين ؕ ولم نك نطعم المسكين ؕ وكنا نخوض مع الجائزين ؕ وكنا نكذب بيوم الدين ؕ حتى اتانا اليقين ؕ فما تنفعهم شفاعة الشافعين ٧٤ - ٤٢ - ٤٨) فصح ان لشفاعة لهم لاجل كفرهم وصارت فى النار وجدا لهم لاجل كفرهم وصارت الآية الى آخره حجة عليهم ، الا ان الله تعالى اخبر ان ثم شفاعة ، وانتم تقولون ان لشفاعة ؛ غير انه تعالى اخبر انها لا تنفع للكافرين فدل على انها تنفع المؤمنين .

فان قيل : ماتقولون فيمن حلف بالطلاق الثلاث انه يفعل فعلا ينال به شفاعه الرسول عليه السلام ، ويستحق به شفاعه الرسول ، اوقال : أفعل فعلا يجوز ان يشفع لى فيه الرسول مما أستحق من العقاب بماذا تأمرونه ؟ أمأمرونه بالمعصية ام بالطاعة ؟ . قلنا : الجواب من وجهين : —

احدهما : انا نقول تأمره بالتمسك بالتوحيد والإيمان دون فعل الذنوب ، لأن الشفاعه لا تنال بالذنوب وانما تنال بالإيمان دون الذنوب ، وهذا كما أن زيدا يشفع فى ذنب صديقه ، أو قريبه ، أو حبيبه فى دار الدنيا الى من ملك إسقاط ذلك لا يقال انه نال ذلك بالذنب الذى أذنب أو الخطأ الذى اخطأ ، وانما ناله بالصدقة المتقدمة أو القرابة المتقدمة أو السؤال المتقدم لانفس الذنب وتأمره ايضا بفعل الطاعات حتى ينال بذلك شفاعه الرسول عليه السلام فى الزيادة له من البر والنعم ونحو ذلك .

الجواب الثانى : انا نعارضكم بمثل هذا لا تجدون أنتم عنه محيصا فنقول لكم : ماتقولون فيمن سمع قوله تعالى : (يحب التوابين . ويحب المتطهرين ٢ - ٢٢٢) فحلف رجل بالطلاق الثلاث ليفعلن فعلا يجب عليه فيه التوبة أو الاستغفار حتى يتوب منه ويستغفر ماتأمرونه ؟ فان قالوا . تأمره بالطاعة ، وفعل الخير . قلنا لهم هذا لا يصح ؛ لأن الانسان لا يجب عليه التوبة أو الاستغفار من فعل الطاعة والخير باجماع المسلمين . وان قلتم : تأمره بفعل المعاصى والذنوب حتى تجب عليه التوبة والاستغفار فيتوب ويستغفر حتى يتخلص من يمينه فقد استحللتم ما حرم الله وامرتم بما لا يجوز لمسلم ان يأمر به . وان قلتم : لا تأمره بفعل المعصية ولكن ان ابتلى بشيء من ذلك قلنا له قد فعلت ماوجب به عليك التوبة والاستغفار وزوال حكم اليمين قلنا لكم : نحن ايضا نقول لمن حلف ليفعلن فعلا يجوز ان يشفع فيما يستحق عليه من العقاب شفاعه الرسول عليه السلام نقول له تمسك بالطاعة والإيمان فان ابتليت بشيء من المعاصى فقد خرجت من اليمين ويجوز ان يشفع لك الرسول ، لا انا تأمره بالمعصية بوجه من الوجوه .

رؤية الله تعالى

مسألة : اعلم ان رؤية الله تعالى جائزة من جهة العقل ، وهي واجبة للمؤمنين في الآخرة من طريق الشرع وبها نختم الكتاب ان شاء الله تعالى بعونه وتوفيقه ، وانما ختمناها لأنها أعلى الأشياء واجلها ، وبها يختم للمؤمنين المصدقين لها حتى يستحقروا كل نعيم في جنبها جعلنا الله من أهلها بمنه وفضله انه جواد كريم .

اعلم ان اهل السنة والجماعة قد جوزوا الرؤية على الله تعالى شرعاً وعقلاً بلا خلاف بينهم على الجملة ، وانما وقع الخلاف بينهم هل يكون ذلك ويجوز في الدنيا ام ذلك في الآخرة خاصة . فكل الصحابة اجمعوا ومن بعدهم من اهل السنة والجماعة ان الله تعالى يرى في الجنة براه المؤمنين بلا خلاف في ذلك . واختلف الصحابة في الرسول عليه السلام هل رآه ليلة المعراج بالقلب أو بعيني الرأس على قولين . فكانت الصديقة عائشة رضي الله عنها في جماعة من الصحابة يقولون : رآه بقلبه دون عيني رأسه ، وكان ابن عباس رضي الله عنهما في جماعة من الصحابة رضي الله عنهم يقولون انه صلى الله عليه وسلم رآه ليلة المعراج بعيني رأسه . ونحن نقول بقول ابن عباس رضي الله عنهما فاذا تقرر هذا فان المعتزلة ، والنجارية ، والجهمية ، والروافض . والخوارج الكل منهم ينكرون الرؤية ولا يجوزونها بوجه حتى قالوا : ولا يرى ولا يرى هو نفسه . وقد قدمنا الأدلة على صحة الرؤية وجوازها فيما تقدم ولا بد ان نذكر هاهنا طرفاً من الأدلة ايضاً يؤكد ما تقدم ويقويه ان شاء الله . ودليل ذلك من الكتاب والسنة والاجماع من يعد اجماعه اجماعاً ، ودليل العقل .

فمن أدلة الكتاب قوله تعالى في قصة موسى عليه السلام : (رب ارني انظر اليك ٧ - ١٤٣) وهذا السؤال انما كان من موسى بعد النبوة ، والبعثة ، والرسالة لأن الله تعالى قال : (ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب ارني انظر اليك ٧ - ١٤٣) ولا يخلو سؤال موسى عليه السلام هذا السؤال بعد النبوة والكمال من احد اربعة اوجه : اما ان يكون سأل الرؤية بعد علمه بجوازها على ربه ، او مع علمه باستحالتها على ربه ، او سألها وهو شاك في ذلك ، أو سألها وهو ذاهل العقل لا يفهم شيئاً . فلا يجوز

ان يكون سأل ذلك مع علمه بانه يستحيل على ربه لأن من المحال ان يسأل النبي الكريم ربه ما يستحيل في حقه ، ولا يجوز عليه كما يستحيل في حقه سبحانه وتعالى ولا يجوز ان يكون سأل ذلك وهو شاك جاهل حكم هذه المسألة او ذاهل لا يدري لأن هذه المسألة من مسائل اصول الدين ، وكيف يجوز على النبي الكريم عليه السلام الشك فيها أو الذهول ، او غفلة القلب عنها . وإذا بطل جميع ذلك لم يبق الا انه عليه السلام سأل وهو معتقد جواز الرؤية عليه سبحانه وتعالى . فاذا اعتقد النبي الكريم جواز الرؤية لم يخل من ان يكون مصيبا او مخطئا ، ولا يجوز ان يخطيء النبي الكريم في اعتقاده فلم يبق إلا أنه اصاب ، وهذا التقرير لا يخرج للمخالف عنه بوجه ولا سبب [فافهمه .

فان قيل : ما انكرتم ان يكون موسى لم يسأل الرؤية وانما سألها قومه وسأله ان يسألها لهم اما ان يكون هو سألها لنفسه فلا .

فالجواب : ان هذا تعال لا ينفعكم ولا ينجيكم مما قررنا وحققنا في اعتقاد موسى عليه السلام جواز الرؤية وذلك : ان موسى عليه السلام لو كان يعتقد استحالة جواز الرؤية لكان قد انكر عليهم ذلك اشد الانكار وجهلهم بذلك غاية الجهل ولم يساعدهم على ذلك ، ولا سأل ما جهلهم عليه ولما ساعدهم كما فعل لما قالوا : (يا موسى اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون ٧ - ١٣٨) ولم يسأل ربه ان يجعل لهم إلهًا لأنه علم عليه السلام استحالة ذلك . فكيف يسأل له أولهم الرؤية مع اعتقاده استحالة ذلك عليه سبحانه وتعالى ، فلم يبق الا ما قلناه .

جواب آخر : وذلك ان هذا عدول عن الظاهر الى غيره بغير دليل لانه قال (ارني أنظر اليك ٧ - ١٤٣) فلا يحمل ارني أنظر على قومي ينظرون اليك فبطل ما قالوه وصار هذا بمنزلة قول من قال : قوله اى (انا الله لا إله الا انا فاعبدنى ٢٠ - ١٤) اى اعبد غيرى وهذا لا يجوز فبطل قولهم .

. فان قيل : أليس قد قال الله تعالى : (لن تراني ٧-١٤٣) فنص على أنه لا سبيل إلى ما سأله فالجواب من وجهين : —

أحدهما : ان هذا لا يمنع من جواز الرؤية لأن قوله لن تراني انما تضمن عدم وجود الرؤية عند السؤال لا استحالة الرؤية على ما قررنا ، ولو أراد استحالة الرؤية لقال : لن يجوز ان تراني . وقد لا يوجد الشيء ولا يدل على استحالته ، ألا ترى ان أحداً لو سئل نبي زمانه أن يسأل ربه أن يرزقه ولداً ، فسأل نبي ذلك الزمان فأوحى الله تعالى لن يرزق هذا السائل ولداً هل يدل ذلك على انه لا يجوز وجود الولد في حق هذا السائل ويستحيل بل هو جائز وان منع من وجوده عقب السؤال على ان حرف ان لا يقتضي عدم جواز الرؤية في الدنيا والآخرة . ولو قرن بابد . ألا ترى أنه تعالى قال في حق اليهود : (ولن يتمنوه أبداً بما قدمت أيديهم ٢-٩٥) يعني الموت ولم يقتضي ذلك [ان لا يتمنوه] في الدنيا والآخرة ، لأنه أخبر تعالى انهم يتمنون الموت في النار بقوله : (ونادوا يا مالِك ليقض علينا ربك ٤٣-٧٧) يعنون الموت فإذا كان حرف لن مع اقتران أبيده لا يقتضي نفي ذلك في الدنيا والآخرة فكيف به إذا لم يقرن به أبداً وأيضا الجواب يجوز فيه الاستثناء بأن كان يقول : لن تراني في الدنيا ولن تراني إلى وقت كذا . وكذا كما قال أخو يوسف عليه السلام : (فلن أبرح الأرض ١٢-٨٠) ثم استثنى (حتى يأذن لي أبي او يحكم الله لي ١٢-٨٠) فصح أن حرف لن لا يحيل عليه جواز الرؤية وانما توجب أن لا توجد الرؤية في هذا الوقت دون جوازها فصح ما قلناه .

والجواب الثاني : ان الله تعالى علق جواز الرؤية على أمر جائز ولو كانت مستحيلة لما علقها على أمر يجوز أن يوجد وهو استقرار الجبل فلما كان استقرار الجبل من الجائز دل على أن الرؤية جائزة .

فان قيل : أليس قد قال موسى عليه السلام : (تبت إليك ٧-١٤٣) قالوا : والتوبة انما تكون من الخطأ فلما علم عليه السلام انه أخطأ تاب فالجواب من أوجه : —

أحدها : ان موسى عليه السلام لما رأى عظيم الآفة من جعل الجبل دكا وصعوقه قال على جارى العادة من القول عند الفزع (تبت إليك ٧-١٤٣) وان لم يكن سؤاله مستحيلا ، وهذا كما ان الواحد منا إذا سمع صوت الرعد العظيم ، أو رأى الظلمة العظيمة ، أو أمراً هائلا فزع عند ذلك إلى التوبة والاستغفار ، وان لم يكن منه قبل ذلك معصية . أو سؤال مستحيل .

وجواب آخر : وهو انه يحتمل ان موسى عليه السلام ذكر عند هول ما رأى فيه النفس فجدد التوبة منها وأكدها وان لم يكن منه في هذه الحالة ذنب يتاب منه .
جواب آخر : يحتمل ان يكون قال : تبت إليك للشدة التي اصابته عند سؤال الرؤية وان كانت الرؤية جائزة . كما ان الواحد منا إذا ركب البحر وناله شدة وخوف من هوله وأمواجه ، أو سافر فلقى في سفره ما اتبعه وشق عليه يقول : أنا تائب من ركوب البحر ومن السفر ، وان كان ركوب البحر والسفر جائزاً غير محرم ولا مستحيل ، وكذلك مسألتنا مثله .

جواب آخر : يحتمل ان يكون قال (كُذِّبَ اليك ٧ - ١٤٣) من ان أسأل مثل هذا الامر العظيم الجليل قبل الاستئذان فيه حتى يؤذن لي في السؤال ولهذا قيل عن موسى عليه السلام انه تأدب بعد ذلك فقال : يارب أسألك في جميع اموري ؟ قال : نعم يا موسى أسألتني في جميع امورك حتى ملح عجيب اهلك .

جواب آخر : وهو ان موسى عليه السلام كانت ارادته وهمته تعجيل الرؤية له في الدنيا قبل الآخرة وكان مراد الله تعالى تأخير الرؤية له الى الآخرة وان لا يتقدم على نبينا صلى الله عليه وسلم في الرؤية فكأنه قال : تبت عن مرادى وهمتى إلى مرادك . وهذا صحيح لأن التوبة هي الرجوع فمكانه رجوع عن مراده إلى مراد ربه فاعلم ذلك .

ويدل على صحة ما قدمناه من قوله تعالى . (وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربها

ناظرة ٧٥ - ٢٢ و ٢٣) وقوله تعالى : (للذين احسنوا الحسنى وزيادة ١٠ - ٢٦)
وقوله : (كلا انهم عن ربهم يومئذ محجوبون ٨٣ - ١٥) والحجب للكفار عن
رؤيته عذاب . فدل على ان المؤمنين غير محجوبين ولا يعذبون بعذاب الحجاب
فاعلم ذلك .

ويدل على ذلك ايضا من الاخبار التي قدمنا ذكرها عند سؤال الصحابة مع قوله
عليه السلام في دعائه انه قال : اللهم انى اسألك لذة النظر الى وجهك ، والشوق
إلى لقائك من غير ضر أو مضر ولا فتنة مضلة ، وهذا ايضا تصريح من الرسول
عليه السلام في جواز الرؤية وانها غير مستحيلة لأنه لا يسأل صلى الله عليه وسلم في
امر مستحيل لاسيما بعد تقدم موسى عليه السلام في سؤال الرؤية وما كان منه ،
فلو كانت غير جائزة أو مستحيلة لما سأله صلى الله عليه وسلم فلما سأله دل على الجواز
وبطل ما قال اهل العناد وبالله التوفيق .

ويدل على صحة جواز الرؤية اجماع الصحابة على جوازها في الجملة ، وانما اختلفوا
هل عجلها لنبيه صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج ام لا ؟ على قولين ، ولم يقع الاتفاق
منهم على جوازها لما صح هذا الاختلاف ، فلما وقع هذا الاختلاف فقال بعضهم :
عجل ذلك له في الدنيا قبل الآخرة . وقال البعض : لم يرد دليل على الجواز في الجملة
وانه متفق عليه والا كان يقول لمن قال بانها لم تعجل : فكيف تجوز الرؤية وهي
مستحيلة عليه فلما لم يقل ذلك أحد منهم دل على اجماعهم على جوازها فاعلم ذلك .

ويدل على ذلك من جهة العقل انه تعالى موجود ، والموجود لا يستحيل رؤيته
وانما يستحيل رؤية المعدوم . وايضا فإنه تعالى يرى جميع المراتب وقد قال تعالى :
(ألم يعلم بأن الله يرى ٩٦ - ١٤) وقال : (الذى يراك ٢٦ - ٢١٨) وكل راء يجوز
ان يرى ولا يجوز أن تحمل الرؤية منه تعالى على العلم لأنه تعالى فصل بين الأمرين
فلا حاجة بنا ان نحمل احدهما على الآخر ألا ترى انه سمي نفسه عالماً ، وسمى نفسه
مريداً ، ولا أن نحمل الارادة على العلم كذلك لا نحمل الرؤية على العلم فاعلمه .

جواب آخر : وهو ان الصحابة سألوا الرسول عليه السلام : هل نرى ربنا ؟ فقال : « نعم ، ولا يجوز ان يكون سؤالهم هل نعلم ربنا أو يعلمنا ربنا فبطل قول من يحمل الرؤية على العلم ولهذا أجاب صلى الله عليه وسلم : « سترونه كما يرى القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب وكما ترى الشمس ليس دونها سحاب ، يعنى لا تشكون فى رؤيته كما لا يشك [من] رأى القمر والشمس فيها فشبه الرؤية بالرؤية فى نفى الشك عن الرأى ولم يشبه المرئى بالمرئى فاعلم ذلك .

فصل : فى ذكر الأجوبة عن آيات يحتجون بها وأخبار وشبه فى نفى الرؤية
 فان احتجوا بقوله تعالى : (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ٦-١٠٣) قالوا فخرج ذلك مخرج التمدح كما تمدح بقوله تعالى : (بديع السموات والأرض انى يكون له ولد ٦-١٠١) فكيف يجوز ان يزول عن مدحته ، فالجواب عن هذه الآية من وجوه عدة : —

احدها : ان يقال لهم ما أنكرتم على قائل يقول لكم لا حجة لكم فى ذلك لأن التمدح انما وقع فى قوله تعالى : (وهو يدرك الأبصار) لأن كون الشيء لا يدرك بالأبصار لا يدل على مدحه ألا ترى المعلوم لا تدركه الأبصار ولا يوجب كون ذلك مدحة له ، وكذلك عندكم العطور والروائح وأكثر الأعراض لا تدرك بالأبصار وليست بمدوحة لأنها لا تدركها الأبصار .

فان قيل : ما أنكرتم أن يكون متمدحا بأنه يدرك الأبصار وانها لا تدركه ؟ قيل لهم : لأن للوصفين اللذين يتمدح بهما لا بد أن يكون فى كل واحد منهما مدح بمجرد قوله تعالى : (عزيز حكيم ٢-٢٠٩ و ٢٢٠ و ٢٢٨ و ٢٤٠ و ٢٦٠ و ٨-١٠ و ٩٩ و ٧١-٩ و ٣١-٢٧) و (عليم قدير ١٦-٧٠) فكل واحد من الوصفين مدح فى نفسه تجدد أو انضم إلى غيره ، ولما لم يكن كون المعلوم غير مدرك بالبصر مدحا له عندنا وعندكم بطل ما قلتم .

جواب آخر : وهو ان نقول الآية حجة عليكم وذلك قوله : (وهو يدرك الأبصار ٦-١٠٣) فحسب وانما أراد أنه يدرك جميع المرئيات فأثبت تعالى انه يرى

الأشياء لأنه موجود ، قادر على الرؤية وسائر الأشياء الموجودة التي يجوز أن ترى
 لكن تمدح تعالى بأن كل راء يجوز أن يرى لكن هو تعالى مع جواز رؤيته منعنا
 من الادراك له بأن يحدث في أبصارنا مانعا يمنعنا من رؤيته فالمدح وقع بكونه قادراً
 على ذلك دون غيره من الخلق فصار هذا بمنزلة تمدحه تعالى بكونه محيياً مميتاً أى لا يقدر
 على ذلك غيره وان جاز أن يميت الحي ويحيي الميت ، فكذلك لا يمدح تعالى بأن
 يحدث مانعا في البصر من الادراك وان جاز ان يزيل ذلك المانع حتى نراه تعالى
 بلا كيف ، ولا شبه ، ولا تحديد فاعلم ذلك .

جواب آخر : وهو ان المعتزلة لا يصح لهم الاحتجاج بهذه الآية لأن عند
 البصريين منهم انه لم يعن بالادراك الرؤية لأن البصر عندهم عرض فلا يدرك عند
 البغداديين منهم انه تعالى لا يرى شيئاً وإنما المراد بالادراك العلم فهو يعلم الأبصار
 عندهم والأبصار لا تعلمه فبطل احتجاج الجميع منهم بهذه الآية ، لأن عندهم لا يراد
 بالادراك الرؤية فلا يصح لهم الاحتجاج بها في نفى الرؤية .

جواب آخر : وهو ان الآية لا حجة فيها لأنه قال : (لا تدركه الأبصار ٦ - ١٠٣)
 ولم يقل لا تراه الأبصار ، والادراك بمعنى يزيد على الرؤية لأن الادراك الاحاطة
 بالشيء من جميع الجهات والله تعالى لا يوصف بالجهات ولا انه في جهة فجاز ان يرى
 وان لم يدرك وهذا كما قال تعالى في قصة اللعين فرعون : (حتى إذا أدركه الغرق
 ١٠ - ٩٠) يعنى احاط به من جميع جوانبه ، فالغرق لا يوصف بأنه يرى وإنما يوصف
 بأنه احاط بالشيء . كذلك المؤمن يوصف بأنه يرى ربه ولا يدركه بالاحاطة وهذا
 كما نقول : انا نعلم ربنا ولا نقول انا نحيط بربنا . فكما كانت الاحاطة معنى يزيد على
 العلم كذلك الادراك معنى يزيد على الرؤية وهذا صحيح ، لانا نجتمع بين قوله تعالى :
 (فاعلم انه لا إله إلا الله ٤٧ - ١٩) وبين قوله : (ولا يحيطون به علماً ٢٠ - ١١٠)
 ونجمع بين قوله تعالى : (وجوه يومئذ ناضرة • إلى ربها ناظرة ٧٥ - ٢٢ و ٢٣)
 وبين قوله تعالى : (لا تدركه الأبصار ٦ - ١٠٣) فنقول : معلوم ولا يحاط به ،
 ومرئى ولا يدرك ، فصح ما قلناه وبطل قول الغير .

جواب آخر : ان معنى الآية لا تدركه الأبصار في الدنيا وان جاز ان تدركه في الآخرة ليجمع بين قوله تعالى : (لا تدركه الأبصار) وبين قوله تعالى : (إلى ربها ناظرة)

جواب آخر : (لا تدركه الأبصار) يعنى ابصار الكفار دون المؤمنين ليجمع بين قوله تعالى : (وجوه يومئذ ناضرة ه إلى ربها ناظرة) وبين قوله تعالى : (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ٨٣ - ١٥) وهذا صحيح لأن الحجاب لما كان للكفار دون المؤمنين كذلك الرؤية للمؤمنين دون الكفار .

جواب آخر : وهو ان أبصار الخلق لا تدركه في الدنيا والآخرة لأن هذذ الأبصار جعلت للفناء وانما يحدث لهم بصر آخر هذا البصر ويكون باقياً غير فان يرى الباقي بالباقي وقد قيل انه تعالى يحدث لأولياته حاسة سادسة غير هذه الحواس الخمس يرونها . وقال هذا القائل : الله أخبر في كتابه العزيز انه يراه أهل الجنة ، وخبره حق لا يدفع بالشبهة ولا يمكن الجمع إلا بما قلناه من احداث حاسة يرى بها الله تعالى دون هذه الحواس والله اعلم بالصواب .

جواب آخر : وهو ان يحمل (لا تدركه الأبصار) [على انها لا تدركه] في جهة ولا تدركه جسماً ولا صورة ولا متحيزاً ولا حالاً في شئ* (وهو يدرك الأبصار) على جميع هذه الصفات وتكون الحكمة فيه الرد على النصارى واهل التشبيه ومن يقول بالجهة والحيز والصورة وغير ذلك مما لا يليق به سبحانه وتعالى .

فان احتجوا بقوله تعالى : (يستلک اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتاباً من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة ٤ - ١٥٣) فأكبر الله هذا السؤال فأنكره .

قيل لهم : لا حجة لكم في ذلك لأن الله تعالى ما أكبر ذلك لكونه مستحيلاً وانما أنكره لأنهم سألوه ذلك على وجه التعنت ، الا ترى انه انكر عليهم سؤالهم تنزيل الكتاب من السماء وليس ذلك بمستحيل وانما أنكروا استكباراً وتعنتاً منهم

لمحمد صلى الله عليه وسلم وتشكيكاً للناس في نبوته لأن عندهم التوراة ، والانجيل ، والفرقان وكل ذلك منزل من عند الله ، وإنما أرادوا بذلك التلبيس على العوام حتى لا يصدقوا بنبوته صلى الله عليه وسلم وتركوا ما أوجب الله عليهم من الإيمان به في التوراة والانجيل كما قال تعالى : (الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل) (٧ - ١٥٧) فأكبر تعالى سؤالهم ذلك لأجل هذه المعاني لا يكون ذلك مستحيلاً . وهذا كما أنكر تعالى سؤال قريش لما قالوا : (ان تؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً) أو تكون لك جنة من نخيل وعنب . أو ترقى في السماء ١٧ - ٩٠ - ٩٣) وكل ذلك جائز غير مستحيل لكن أنكره عليهم وأكبره لما كان [ذلك] على وجه التعنت والتكذيب لما قد وضح من آياته وحججه ، وكذلك أنكر سؤالهم الرؤية لموسى عليه السلام على وجه التعنت لا لسكونها مستحيلة .

فان احتجوا بالخبر المروى عن عائشة رضي الله عنها لما قال لها ابن الزبير وهو ابن اختها يا امه : هل رأى محمد ربه ؟ فقالت : يا ابن اختي لقد وقف شعر بدني والله تعالى يقول : (وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء ٤٢ - ٥١) قالوا فوضع الدليل من الخبر انها أكبرت ذلك ونفت الرؤية عن الله تعالى فدل ، ان ذلك مستحيل في حقه سبحانه وتعالى .
الجواب من أوجه : —

أحدها : ان ابن عباس رضي الله عنه وغيره من الصحابة قد صرحوا بأن محمدأ رأى ربه ليلة أسرى به بعيني رأسه ولو كان ذلك مستحيلاً لم يقع الخلاف فيه بين الصحابة كما لم يقع بينهم الخلاف في ما هو مستحيل على الله تعالى من الولد والزوجة ، والشريك ونحو ذلك . فلما وقع بينهم الخلاف في ذلك وانقرض عصرهم على ذلك دل على ان الرؤية جائزة غير مستحيلة فبطل ما ذكر .

وجواب آخر : وهو ان عائشة رضي الله عنها إنما خالفت فيما رأى به محمد ربه

فعندها رآه بالقلب دون العين وعند غيرهما من الصحابة رآه بالقلب والعين معاً فقد وقع
الاجماع منهم على جواز الرؤية عليه تعالى ، وانما اختلفوا فيما به رآه لا أصل لجواز الرؤية
عليه لأن رؤية النبي صلى الله عليه وسلم رؤية حقيقية لا رؤية مجاز بخلاف الواحد منا
لأن رؤيته بالقلب قد تكون حقيقة وقد تكون تخيلاً ومجازاً ، ولهذا قال صلى الله
عليه وسلم : « تنام عيناى ولا ينام قلبي » وقال عليه السلام : « انى أراكم من وراء
ظهورى » ورؤية الأنبياء عليهم السلام حقيقة بالقلب والعين .

دليله : قصة ابراهيم عليه السلام : (انى أرى فى المنام انى أذبحك قال يا أبت
افعل ما تؤمر ٣٧ - ١٠٢) فصح ان الاجماع قد وقع من الصحابة رضى الله عنهم فى
جواز الرؤية على الله تعالى وان وقع الخلاف بما رآه الرسول عليه السلام ليلة الاسراء
فصار ذلك حجة على المخالف لاله .

جواب آخر : وهو ان عائشة رضى الله عنها انما أنكرت رؤية البارئ بابصار
العيون فى دار الدنيا لا على الاطلاق ولهذا روى عن أبيها وعنهما رضى الله عنهما
وعن جميع الصحابة انهم فسروا قوله تعالى : (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ١٠ - ٢٦)
قالوا : الزيادة النظر إلى الله تعالى فى الجنة وقد روى هذا مرفوعاً عن الرسول
صلى الله عليه وسلم فصح مذهب أهل السنة والجماعة بحمد الله تعالى وبطل شبه المخالف
واندحض مكرهه والله المنه والحجة البالغة (١) .

(١) رؤية أهل الجنة لله سبحانه مجردة عند أهل الحق من المقابلة والمسافة ونحوهما
من لوازم الجسمية على خلاف الرؤية فى الشاهد بأدلة تنزه الله سبحانه من أن يكون
جسماً أو جسمانياً ، وهذا موضع اتفاق بين الفريقين سوى الحشوية ، فيجب أن
يكونا متفقين ايضاً على حصول معرفة ضرورية بالله سبحانه لهم فى الجنة فوق معرفتهم
الاستدلالية الغيبية به تعالى فى دار الدنيا كما هو الفرق بين الإيمان بالغيب والإيمان
بالشهود ، وما عدا ذلك شغب يأباه المحصلون نسأل الله الصون من معاندة الحق
ونسأله التوفيق وجمع الكلمة حول الصدق (ز) .

فان احتجوا فقالوا : لوجاز عليه سبحانه وتعالى الرؤية بالأبصار لوجب ان يكون جسماً او جوهرآ او عرضاً او محدوداً او حالاً في مكان او مقابلاً ، او خلفاً او عن يمين ، او عن شمال ، او يكون من جنس المراتبات لأننا لم نعقل مرئياً بالبصر الا كذلك فلما استحال عليه جميع هذه الوجوه بطل ان يكون مرئياً او يجوز عليه الرؤية وهذا في تصورهم الفاسد من اعظم الحجج عندهم في نفي الرؤية عنه سبحانه وتعالى وهي عند اهل السنة والجماعة من [أسقط الحجج] فليس هو اليوم مرئياً لخلقه ومدركا لهم ولا تجوز الاشارة في وصفه تعالى .

فالجواب ان نقول لهم هذه الحجة الباطلة تؤدي الى ابطال الربوبية اصلاً ورأساً او تؤدي الى ايجاب كون ربنا تعالى يشبه المخلوقات ، لأن من انكر الصانع القديم يقول لنا : لو كان لنا صانعاً لوجب ان يكون جسماً او جوهرآ ، او عرضاً او ذاعلة وطبع وآلة وغير ذلك ؛ لأننا لم نعقل صانعاً الا على هذه الاوصاف واتم تنفون عنه جميع هذه الاوصاف فبطل ان يكون ثم صانع بل يصنع نفسها او يصنعها من هو على هذه الاوصاف ؛ وكذلك نقول : في العلم ، والحياة ، لأن العالم ، والحى ، لا يعقل الا جسماً ، وجوهرآ ، وعرضاً ، وذاعلة ، وفكر ، وروية وغير ذلك وقد وقع الاجماع منا ومنكم انه عالم ، وانه حى ، وانه معلوم بالقلب ، وانه موجود ؛ ثم كونه عالماً ومعلوم ، وموجوداً يصح وصفه بجميع ذلك ؛ وان لم يكن جسماً ، ولا جوهرآ ، ولا عرضاً ، ولا ذاعلة ، ولا محدوداً ولا حالاً في مكان ، بخلاف العالم منا ، والمعلوم منا ، والموجود منا . فكذلك لا يستحيل ان يكون مرئياً وليس ذا جسم ولا جوهر ولا عرض فبطل زعمكم وصح الحق وظهر امر الله وانتم كارهون .

فان احتجوا فقالوا : لو كان تعالى مرئياً ، أو تجوز عليه الرؤية لرأيناه الساعة لأن الموانع من الرؤية يستحيل وصفه بها ؛ لأنه لا يوصف بالدقة ، والرقعة ، والحجاب

والبعد ، وكل مانع من الرؤية . فلو جاز ان يكون مرثيا لرأيناه الساعة لانعدام هذه الموانع في حقه .

فالجواب : ان جميع ما ذكرتم لا يمنع من الرؤية ، لأن الملائكة فيهم من الدقة ، واللطافة ، ما ليس في غيرهم ، وبعضهم يرى بعضاً ، والميت يراهم عند النزع ، والرسول كان يرى جبريل عليه السلام فبطل ان تكون الدقة ، والرقّة ، واللطافة ، مانعة من الرؤية . وكذلك البعد لا يمنع الرؤية لأن السماء أبعد الأشياء منا والكواكب فيها ، لأن بيننا وبينها خمس مائة عام ونحن نراها ولم يمنعنا بعدها من رؤيتها ، وكذلك الحجاب لا يمنع من الرؤية لأن الله تعالى يرى ماتحت التحت ودونه الف الف حجاب [عند الخلق] . وكذلك الهدى يرى الماء من تحت الأرض ودونه حجاب وحجاب ، فبطل ان يكون جميع ما ذكرتم هو المانع من الرؤية حتى يجب ان نراه الساعة .

فان قيل : فما المانع من الرؤية الساعة له تعالى ؟ قلنا : ان المانع هو ما خلقه في أبصارنا من قلة الادراك لبعض المراتب دون بعض فاذا خلق فينا إدراكاً رأينا مرثياً لم نكن نراه من قبل ؛ ألا ترى ان الواحد منا لا يرى اليوم ملك الموت اذا نزل بأخيه ، وأبيه ويراه إذا نزل به ، وليس ذلك إلا لأنه لم يخلق الله في بصره ادراكاً له عند موت غيره ، وخلق في بصره ادراكاً له عند موته . وكذلك الفرس ، والهر وكثير من الحيوان يرون الصورة والشخص في ظلام الليل وسواده ، ونحن لا نرى ذلك ؛ وما ذلك إلا لأن الله تعالى خلق في بصرها ادراكاً حتى رأت ، ولم يخلق في أبصارنا ادراكاً حتى نرى كما ترى ؛ فكذلك لم يخلق في أبصارنا ادراكاً له في الدنيا حتى نراه ، ويخلق لنا ان شاء الله في جنته ادراكاً حتى نراه كما وعدنا ووعد الحق الصديق الذي لا يخلف .

فان قالوا : واذا كان الأمر كذلك فجوزوا ان يخلق الله لكم ادراكاً ترون به ذرة ، ويخلق فيكم عدم إدراك فيل الى جنبها . قلنا : هذا جائز في قدرته سبحانه

وتعالى ، ولهذا كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه في الصلاة لما عرضت عليه الجنة والنار ونظر الى كل واحدة منهما في عرض الحائط ، وهما من أعظم المخلوقات ، واصحابه كانوا يدركون الذرة على ثوبه صلى الله عليه وسلم ولون ثوبه مع صفر ذلك ولم يدركوا ما أدرك . ولم يروا ما رأى ، ولا يقدح في هذا انكار من انكر من المعتزلة ان الجنة والنار لم تخلقا بعد ، لأن السكل منهم سلم الى الرسول عليه السلام انه قد رأى في هذه الحالة شيئاً من الجنة والنار ، أو ماهو على صورهما مخلق منهما اذا خلقتا ، واختص هو صلى الله عليه وسلم بروية ما لم يره اصحابه وان كانوا يرون الذرة لودبت على قميصه صلى الله عليه وسلم وان لم يروا ماهو أكبر منها وأعظم . وأبين من هذا ان بعض الخلق يدرك صوتاً خفياً جداً ولا يدرك صوتاً عالياً جداً وان وجد الصوتان في وقت واحد ومسافة واحدة وقد رأينا ذلك عياناً فان بعض الطرش اذا تكلم عنده رجل فأخفى صوته غاية الاخفاء وتكلم آخر عنده بصوت من اعلى الاصوات أدرك الصوت الخفى ولم يدرك الصوت العالى وليس ذلك الا لما ذكرناه وهو : ان الله تعالى خلق في سمعه ادراك الصوت الخفى ولم يخلق في سمعه إدراك الصوت العالى فكذلك يجوز ان يخلق في بصرنا إدراك الذرة الصغيرة ويخلق فيه مانعاً من ادراك الفيل الكبير (والله على كل شيء قدير ٣ - ٢٩) .

فان قيل : فاذا كان كذلك فيجب أن يجوز أن يكون بحضرتنا ذرة ننظر اليها وندركها ويجوز ان يكون الى جنبها فيلة وأجمال وأنهار جارية لأن ذلك جائز في المقدور او نشك في ذلك ولعله يكون بحضرتنا ونحن لانراه .

الجواب : ان هذا تخطيط وجهل وقلة فهم لأنه لا يلزمنا ان يجوز ان يكون بحضرتنا كل ماهو جائز في مقدور الله تعالى ولانشك فيه لأن ذلك لو لزم اللزمنا ان يجوز ان يكون بحضرتنا وعندنا في الدنيا جنة ونار ونشك في ذلك لأن الله تعالى قادر على ذلك ولما لم يلزم ذلك ما يلزم ما ذكرتم وكذلك ايضا من الجائز في قدرته تعالى ان

يخلق اليوم رجلاً لامن ذكر ولا من أنثى ثم لا يجب علينا أن نجوز أنه الآن عندنا موجود أو نشك فيه فكذلك ما قلتم وكذلك أيضاً يجوز في مقدوره تعالى أن يميت أهل بلدة نحن فيها كلهم ثم لا يلزم أن يجوز ذلك الآن أو نشك فيه فكذلك ما قلتم فليس كل جائز يجب أن يكون بحضرتنا أو نشك فيه فبطل ما قلتم وصح الحق .
فان احتجوا فقالوا : لو جاز أن يكون مرثياً لجاز أن يقال : يرى كله أو بعضه .

فالجواب : ان هذا محال من القول لأن إطلاق الكل والبعض إنما يجوز على من كان ذا كل أو بعض والله تعالى منزّه عن الوصف بالكل والبعض وهذا بمنزلة قائل يقول لنا : لو كان معلوماً لجاز أن نقول نعلم كاه أو بعضه فنقول له : لا نقول نعلم كلا ولا بعضاً بل نقول نعلم واحداً واحداً فرداً صمداً : (ليس كمثله شيء) فكذلك نقول : نرى واحداً واحداً فرداً صمداً (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ٤٢ - ١١) .
فان قيل : لو كان أهل الجنة يرون ربهم تعالى ثم لا يرونه لكانت أحوالهم قد تناقضت وعادت من منزلة اعظم الى منزلة أدون ولا يجوز أن تتناقض أحوال أهل الجنة .

فالجواب : ان الأمر ليس على ما يقع لكم لأن تناقض الأحوال ان يريد المرء حالة عالية فيبقى في حالة ناقصة أو يريد ملاذاً فلا يصل اليها عالية كانت أو دون ذلك فأهل الجنة بحمد الله تعالى قد تكاملت حالتهم اذ كانوا بحيث اذا شاؤوا رأوا ربهم واذا شاؤوا اشتغلوا بملاذمهم ولا يكون ذلك نقصاً في أحوالهم ولا يلزم على هذا التقرير أن يقال فهذا نقص في حق أهل الجنة اذا شاؤوا الخلوة بالتلذذ عن رؤية ربهم تعالى . قيل هذا يلزمكم انتم دوننا لاننا نحن نقول : هم (لا يشاؤون الا ما شاء الله لهم) فهم به وله في كل أحوالهم فاذا شاء لهم الرؤية شاؤوها وتلذذوا بها واذا شاء لهم الخلوة شاؤوها وتلذذوا بها ولا نقص عليهم في ذلك ولا يلزم ما قلتم .

جواب آخر : وهو ان أهل الجنة يجتمعون بالنبي صلى الله عليه وسلم وينظرون اليه والاجتماع به والنظر اليه اعلى من الاجتماع بالحور والقصور والنظر الى الحور

والقصور ثم يشتغلون بالبحور والقصور بعد نظره صلى الله عليه وسلم وان عادوا إلى قصورهم ونعيمهم وان كان نظره اعظم واعلى من ذلك فبجاز مثل ذلك ايضا في جواز رؤية الباري وان كانت اعلى الاشياء وأجلها فثبت ما قلناه وبطل التويه بحمد الله .

فان قيل : إذا كان مرثيا نخبرونا ماهو ؟ . قيل لهم ان أردتم بقولكم ماهوای ماصورته . وجنسه ، وطوله ، وعرضه الى غير ذلك بما لايجوز عليه فليس بذى صورة ولاجنس ولاطول ولا عرض وقد قدمنا الادلة على انه لا يشبه خلقه ولا يشبهونه . وان أردتم بقولكم ماهو ما اسمه ؟ فاسمه : الله ، الرحمن ، الرحيم ، الحى ، القيوم ، وان أردتم بقولكم ماهو صنعه ؟ فصنعه : العدل ، والاحسان ، والانعام ، والسموات والأرض وجميع ما بينهما ، وان أردتم بقولكم ماهو . ما الدلالة على وجوده ؟ . فالدلالة على وجوده جميع ما نراه ونشاهده من محكم فعله وعجيب تدبيره ، وان أردتم بقولكم ماهو ؟ اى اشيروا لنا اليه حتى نراه ، ولم انها لا تصح الا فى المسجد ؟ .

جواب آخر . وهو ان هذه الأخبار تحمل على وجه التغليظ والمبالغة فى الزجر حتى يقف الناس عن هذه الأمور ولا يقدموا عليها وهذا كقول امير المؤمنين على رضى الله عنه : من اراد ان يقتحم جرائم جهنم فليقتض بين الجدد والاخوة . ولم يرد عليه السلام الاعراض عن الحكم اصلا بين الجدد والاخوة فانه قد حكم عدة نوب بقضايا مختلفة بين الجدد والاخوة .

فان قيل فإذا كان مرثيا فكيف هو : قيل لهم ان أردتم بقولكم كيف هو : على أى تركيب ، أو على أى صورة هو ، أو على أى جنس هو ؟ فلا تركيب له ، ولا صورة ولا جنس فنخبركم عن ذلك ، وان أردتم بقولكم كيف هو وعلى أى صفة هو ؟ فهو قديم ، حى ، عالم ، قادر ، متكلم ، سميع ، بصير ، مرید . وان أردتم بقولكم كيف هو ، كيف صنعه إلى خلقه . فصنعه إليهم الإحسان ، والعدل ، والتفضل ،

والامتنان ، فإن قيل إذا كان مرثياً فإين هو؟ قيل لهم ان أردتم أين هو في وصف المنزلة والرفعة والجلال فهو كما وصف نفسه بقوله تعالى : (وهو القاهر فوق عباده ٦-١٨ و ٦١) وبقوله : (الرحمن على العرش استوى ٢٠-٥) وبقوله تعالى : (وهو الذى فى السماء إله وفى الأرض إله ٤٣-٨٤) ، وبقوله تعالى : (ان ربك لبالمرصاد ٨٩-١٤) قيل لهم الاين سوآل عن مكان وليس هو بما يحويه مكان لما قدمنا من الحجج والبراهين بحمد الملك المنان .

وحسبى الله ونعم الوكيل .

وهنا انتهى الكتاب ، وقد انتهت من النظر فيه بتوفيق الله سبحانه يوم

السبت الثامن والعشرين من شوال المكرم سنة ١٣٦٩ هـ - وهو اليوم

الذى أتممت به ثلاثاً وسبعين سنة من عمرى ختم الله

لى بخاتمة خير بمنه وفضله - وانا الفقير اليه سبحانه

محمد زاهد الكوثرى عفى عنه

وصلى الله على سيدنا محمد وآله

وصحبه أجمعين

والحمد لله رب

العالمين

الفهارس

١ - : الموضوعات الهامة

٢ - : الآيات القرآنية

٣ - : الأحاديث النبوية

٤ - : الأعلام

فهرس

الموضوعات والمباحث الهامة

صفحة

مشمات كلمة مولانا العلامة الشيخ محمد زاهد الكوثرى
وكيل المشيخة الإسلامية فى الخلافة العثمانية سابقا :-

سبب تأليف المؤلف لهذا الكتاب - ذكر المبادئ التى يجب
على المكلفين معرفتها - تقسيم العلم الى قسمين - علم الله وعلم الخلق
حصر العلوم فى الوجود والمعدوم -

٣

تقسيم الوجود الى قديم ومحدث - صفات صانع العالم الادلة
التي يدرك بها الحق سبحانه وتعالى . أقسام الفرائض - بسط القول
فى صفات الله وأفعاله - بقاء نبوات الأنبياء بعد وفاتهم - وجوب
الكف عما شجر بين الخلفاء الراشدين - نقض ادلة المعتزلة فى
دعواهم خلق القرآن والافاضة فى ذلك افاضة لا توجد فى غير هذا
الكتاب .

٤

كيف يجب أن يكون اخلاص العلماء بعضهم لبعض - اهمية
هذا الكتاب وانه من ابداع ما ابرز للوجود من آثار المتقدمين من
المتكلمين - قوة ذاكرة المؤلف وسرعة خاطره

٥

مقدرة المؤلف على تصيد الحجج ضد مخاصميه - عادة المؤلف
الرواية بالمعنى - ازدياد مذهب الأشعرى وضوحاً ببيانات المؤلف
النيرة - تعود المؤلف القسوة فى المزاح - بين المؤلف وكبير
الامامية ابن العلم - قوله فى أبى جعفر محمد بن أحمد السمنانى القاضى
انه مؤمن آل فرعون -

٦

صفحة

كتاب التمهيد للمؤلف — ترجمة المؤلف — أقوال المؤرخين فيه —
 قول القاضي عياض — قول الخطيب البغدادي عن مناقشة المؤلف لملك
 الروم — قول الخطيب أن كل مصنف ببغداد إنما ينقل من كتب
 الناس إلى تصانيفه سوى القاضي أبي بكر فإن صدره يحوى علمه
 ٨ — ٧

تاريخ وفاة المؤلف ومكان دفنه — ابتكاره لبعض الآراء —
 مشاركته لعبد القاهر البغدادي في الأخذ عن ابن مجاهد —
 اعلام مذهب الأشعرى وحملته من التقدمين — صراحتهم في التنزيه
 البات — من طرائف الأنباء المروية عن المؤلف .
 ١١ — ٩

تقدمة المؤلف للكتاب — سبب تأليف هذا الكتاب — وجوب
 معرفة المكلف المقدمات التي لا يتم النظر في معرفة الله عز وجل إلا
 بها — العلم واحكامه ومراتبه .
 ١٢

تقسيم العلم إلى قسمين — علم الله سبحانه وتعالى وعلم الخلق —
 تقسيم علم الخلق إلى قسمين : علم اضطرار وعلم نظر واستدلال —
 كيفية وقوع العلوم الضرورية للخلق — الحواس الخمس — بيان
 العلم المبتدأ في النفس لا عن درك ببعض الحواس الخمس — العلم
 بالضرورات الواقعة باوائل العقول
 ١٣

انواع الاستدلال من عقلي ، وسمعي ، ولغوي . تقسيم العلوم الى
 ضربين موجود ومعدوم — اقامة الدليل على ذلك — تقسيم الموجودات
 الى قسمين : قديم ومحدث .
 ١٤

تقسيم المحدث الى ثلاثة أقسام . جسم ، وجوهر ، وعرض —
 بيان الأقسام الثلاثة — وجوب العلم بأن العالم محدث — وجوب
 العلم بأن للعالم محدثا أحدثه واقامة الدليل على ذلك
 ١٦ — ١٥

وجوب العلم بأن أول نعم الله على خلقه خلقه فيهم ادراك اللذات -
وان افضل واعظم نعم الله على خلقه وعباده المؤمنين خلقه الايمان
في قلوبهم .

١٧

الطرق التي يدرك بها الحق والباطل - قوله صلى الله عليه وسلم
لمعاذ بن جبل حين انفذه الى اليمن .

١٨

تقسيم فرائض الدين الى ثلاثة أقسام - لزوم القسم الأول لجميع الأعيان -
وجوب القسم الثاني على العلماء - وجوب القسم الثالث على السلطان

١٩

وجوب العلم بأن أول ما فرض الله عز وجل على جميع العباد النظر
في آياته والاستدلال عليه بآثار قدرته - الثاني من فرائض الله
على عباده الايمان والاقرار بكتبه ورسله - وان الايمان بالله يتضمن
التوحيد ، والتوحيد هو الاقرار بأنه تعالى ثابت موجود

٢٠ - ٢١

صفات الله سبحانه وتعالى - رؤية الحق سبحانه وتعالى -
وجوب العلم بأنه سبحانه وتعالى مدرك لجميع المدركات .

٢٢

وجوب العلم بصفات ذاته وصفات افعاله جل جلاله وبأن كلامه
سبحانه وتعالى صفة لذاته

٢٣

وجوب العلم بأن كلامه سبحانه وتعالى مسموع بالآذان وان كان
مخالفا لسائر اللغات وجميع الأصوات - قراءة القرآن كسب ثواب
الانسان على تلاوته ويلازم على تركه - تقديره سبحانه وتعالى لارزاق
الخلق ، عدالة الله سبحانه وتعالى في خلقه - واجب المكلفين النظر
والتفكير في مخلوقات الله سبحانه وتعالى لا في ذات الله

٢٤ - ٢٥

جواب موسى عليه السلام لفرعون حين سأله عن ذات الله سبحانه
وتعالى - جواب بعض أهل التحقيق لمن سأله عن الله عز وجل
- وجوب العلم بأن العالم محدث واقامة الدليل على حدوثه - اقامة

- الادلة على انه لا بد من محدث احدث العالم
 ٢٦-٢٨ وجوب العلم بانه لا يجوز ان يكون محدث العالم مشابهاً للعالم المصنوع
 ٢٨ جواب بعض أهل التحقيق لمن سأله عن التوحيد — قول الجنيد
 رضى الله عنه فى التوحيد — قول أبى محمد الحريرى فى التوحيد —
 قول الجنيد عن اول شىء يحتاج إليه المكلف — جواب ابو بكر
 الزاهد لمن سأله عن المعرفة — وجوب العلم بان محدث العالم قديم —
 ٢٩ اقامة الأدلة على ذلك
 وجوب العلم بان صانع العالم جل جلاله واحد — اقامة الأدلة
 ٣٠ على ذلك
 وجوب العلم بان الله سبحانه وتعالى حى — وجوب العلم بان الله
 قادر على جميع المقدورات — وجوب العلم بان الله سبحانه وتعالى عالم
 ٣١ بجميع المعلومات — اقامة الأدلة على ذلك
 وجوب العلم بان الله سبحانه وتعالى يريد على الحقيقة لجميع الحوادث
 ٣٢ وانه سميع لجميع المسموعات — اقامة الأدلة على ذلك
 وجوب العلم بان الله سبحانه وتعالى متكلم وان كلامه غير مخلوق
 ولا محدث — وانه باق اى دائم الوجود — وانه عالم بعلم قديم متعلق
 ٣٣ بجميع المعلومات — اقامة الأدلة على ذلك
 الكلام على غضب الله سبحانه وتعالى — ورضائه — وحيه —
 ٣٤-٣٥ وموالاته — ومعاداته . اقامة الأدلة على ذلك
 القول بان غضب الله سبحانه وتعالى — ورضائه — ورحمته —
 وسخطه — وحيه — وعدواته — وولايته — وبغضه انما هو ارادته
 ٣٥-٣٦ لاثابة من رضى عنه وعقاب من غضب عليه . اقامة الادلة على ذلك
 الجواب لمن سأل هل يجوز ان يوصف سبحانه وتعالى بالشهوة —

نزوم العلم بانه لا يفرق بين الارادة والمشئة والاختيار ،
والرضى — وان الاعتبار في ذلك كله بالمآل لا بالحال — والعلم بان
العبد له كسب وليس مجبوراً — الأدلة على ذلك .

X

٤٠

X

وجوب العلم بان الاستطاعة للعبد تكون مع الفعل ، والعلم بان
رؤية الله تعالى جائزة من حيث العقل مقطوع بها للمؤمنين .

٤٢-٤١

X

وجوب العلم بان الطاعة ليست بعلة للثواب كما وأن المعصية
ليست بعلة للعقاب — وان يعلم بان ارزاق العباد وجميع الحيوان من
الله تعالى . اقامة الادلة على ذلك .

٤٤-٤٣

X

وجوب العلم بان عذاب القبر ، ومنكر ونكير ، ورجوع الروح
إلى الميت ، ونصب الصراط ، والميزان ، والحوض ، والشفاعة حق
وان الجنة والنار مخلوقتان حق وصدق — اقامة الادلة على ذلك .

٤٧-٤٥

تقسيم الايمان الى قديم ومحدث — وجوب العلم بان حقيقة الايمان
هو التصديق — وان محل التصديق القلب — القول بان الايمان
عقد بالقلب واقرار باللسان — القول بان الايمان يزيد وينقص —
اقامة الأدلة على ذلك .

٥٠-٤٨

وجوب العلم بان كل ايمان اسلام وليس كل اسلام ايمان —
وانه يجوز للمؤمن ان يقول انا مؤمن حقاً ، وانا مؤمن ان شاء الله —

٥٢-٥١

X

وجوب العلم بان الاسم هو المسمى بعينه وذاته — وانه يجوز
لله تعالى ارسال الرسل والانبياء — اقامة الادلة على ذلك .

٥٣

X

وجوب العلم بان صدق مدعى النبوة يجب اثباته بالمعجزات —
معجزة موسى عليه السلام — معجزة عيسى عليه السلام — وجوب
العلم بان نبينا صلى الله عليه وسلم مبعوث لجميع الخلق وان شرعه
لا ينسخ بل هو ناسخ لجميع من خالفه — اقامة الادلة على ذلك .

٥٤

(م - ١٢)

اقامة الدليل على ثبوت نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم — وجود
الاعجاز في القرآن العربي — اختصاص القرآن الكريم بالجزالة —
والنظم ، والفصاحة الخارجة عن اساليب الكلام المعتاد — اشتماله على
قصص الاولين وما كان من اخبار الماضين مع القطع بانه كان صلى الله
عليه وسلم اميا — معجزاته صلى الله عليه وسلم من غير القرآن اقامة
الادلة على ذلك .

٥٤ — ٥٥

وجوب العلم بان نبوة الانبياء لا تبطل ولا تنخرم بخروجهم
عن الدنيا . اقامة الدليل على ان امام المسلمين وامير المؤمنين بعد النبي
ابوبكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم علي .

٥٥ — ٥٧

اقامة الدليل على اثبات الامامة للخلفاء الاربعة على الترتيب

٥٨

وجوب العلم بلزوم الكف عن الخوض فيما جرى من المشاجرة بين
اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم — وان خير الامة اصحاب النبي — وان
افضل الصحابة العشرة الخلفاء الراشدون الاربعة — وجوب الاقرار
بفضل اهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم اقامة الادلة على ذلك .

٥٨ — ٥٩

وجوب الكف عن ذكر ما جرى بين الصحابة . جواب ابن
عباس لمن سأل عن رأيه فيما شجر بين الصحابة — جواب جعفر بن
محمد الصادق لمن سأل عن ذلك — جواب عمر بن عبد العزيز —
وجوب العلم بان الامامة لا تصح إلا لمن اجتمعت فيه شروط خاصة

٦٠

فصل في الكلام على خلق القرآن والرد على من قال بذلك .

٦١

اعتقاد اهل السنة والجماعة بقدم كلام الله سبحانه وتعالى —
الادلة من القرآن الكريم ومن السنة — ومن اجماع الصحابة على ذلك .

٦٢

الرد على من استدل على خلق القرآن بقوله تعالى : « الله خالق

٦٣ — ٦٥

كل شيء — وما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث .

- قول عتبة عند سماعه للقرآن — الرد على من استدل على خلق القرآن بقوله تعالى : «وكان امر الله مفعولا — انا جعلناه قرآنا عربيا
- الرد على من استدل على خلق القرآن بقوله تعالى — واذا بدلنا آية مكان آية — «ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك — معنى قوله صلى الله عليه وسلم لا تسافروا بالقرآن . . .
- الرد على من استدل على خلق القرآن بالقول بان القرآن سور والسور آيات والآيات كلمات والكلمات حروف واصوات —
- وجوب العلم بان قراءة القرآن هي غير المقروء والتلاوة غير المتلو ، والكتابة غير المكتوب
- فصل في الاخبار الواردة عن الفرق بين التلاوة والمتلو والقراءة والمقروء
- قول ابن مسعود عجبت للناس وتركهم لقراءتي — جوابه لمن قال له اني قرأت المفصل في ركعة
- قراءة النبي صلى الله عليه وسلم للقرآن — القول بان كل عضو من اعضاء ابن آدم له عبادة خاصة
- الادلة على الفرق بين القراءة والمقروء من كلام الله
- فصل في بيان الادلة الدالة على ان الحروف والاصوات هي من صفات قراءة القارىء لا انها من كلام البارى
- القول بان قراءة القارىء للقرآن الكريم تارة تكون طاعة وتارة تكون معصية وذنباً
- وجوب العلم بان كلام الله تعالى مكتوب في المصاحف على الحقيقة وانه مسموع على الحقيقة . الادلة على ذلك
- اسماع الحق سبحانه وتعالى كلامه لخلقه على ثلاث مراتب

- وجوب العلم بان كلام الله تعالى منزل على قلب النبي صل الله عليه وسلم نزول اعلام وافهام لا نزول حركة وانتقال — دليل ذلك ٨٥ — ٨٦
- وجوب العلم بان كلام الله القديم لا يتصف بالحروف والاصوات — دليل ذلك ٨٧ — ٨٩
- قول كعب الأحبار عن اول ما خلق الله تعالى من الحروف ٩٠ — ٩١
- وجوب العلم بان القراءة غير المقروء وانها صفة للقارى ٩٢
- فصل بان قراءة القرآن تارة توصف بالصحة والحسن . وتارة توصف بالفساد والقبیح — قراءة القرآن فعل من افعال العباد ٩٢ — ٩٣
- وجوب العلم بانه لا يجوز لاحد ان يقول انى اتكلم بكلام الله ٩٣ — ٩٤
- وجوب العلم بأن الكلام الحقيقى هو المعنى الموجود فى النفس ٩٤ — ٩٥
- الادلة على ان حقيقة الكلام هو المعنى القائم بالنفس ٩٦ — ٩٧
- بيان مذهب اهل السنة والجماعة بان كلام الله القديم ليس بمخلوق ٩٨ — ١٠١
- فصل فى بيان ان الفعل يضاف الى الامر به وان لم يفعله ١٠١ — ١٠٢
- فصل فى بيان ان الله تعالى قد فصل بين القراءة والمقروء — الادلة على ذلك . ١٠٢ — ١٠٣
- فصل فى بيان انه اذا قرأ القارى القرآن وحصل له الثواب أحصل له الثواب على فعله أو على غير فعله . ١٠٤ — ١٠٦
- اختلاف المفسرين فى تفسير الحروف المقطعة فى اوائل السور على ثمانية اقوال وبيان تلك الاقوال . ١٠٧ — ١١١
- فصل فى ابطال حجج من قال فى اثبات قدم الحروف ١١١ — ١١٣
- فصل فى الرد على من قال ان الله تعالى متكلم بحروف ١١٣
- فصل فى الرد على من احتج فى اثبات الصوت لكلام الله تعالى ١١٤ — ١٢٠

معنى قوله صلى الله عليه وسلم: «لا تسافروا بالقرآن ..» وقوله: «ولو

١٢١-١٢٣

جعل هذا القرآن في اهاب

تفسير قوله صلى الله عليه وسلم : من حفظ القرآن اختلط

١٢٣-١٢٤

بدمه ولحمه .

فصل في الرد على من قال اذا كان القديم لا يحل في المصحف

١٢٤-١٢٦

فما معنى تعظيمه وتوقيره .

فصل يتعلق بمسائل ثلاثة وفروعها : الخلق والارادة ، والشفاعة ،

١٢٦-١٢٧

والرؤية .

قول أهل السنة والجماعة ان الله سبحانه وتعالى هو الخالق وحده

١٢٧-١٣٠

الادلة على ذلك .

قصة ابن فورك مع الصاحب ابن عباد — قصة بعض أهل القدر

١٣١

مع بعض أهل السنة .

الرد على من احتج على خلق الافعال بالآيات القرآنية التالية .

فتبارك الله احسن الخالقين — الذى احسن كل شئ خلقه —

١٣٢

واذ تخلق من الطين . قول الفرزدق .

الرد على من احتج بقوله تعالى : ما ترى في خلق الرحمن من

تفاوت — فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان —

١٣٣-١٣٥

ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك .

١٣٥-١٣٨

الرد على من قالوا وجدنا افعالنا واقعة على حسب قصدنا .

وجوب العلم بانه لا يجرى في العالم إلا ما يريد الله تعالى —

١٣٩-١٤٠

إقامة الادلة على ذلك .

١٤١

محاجة موسى وآدم عليهما السلام

- ١٤٢ جواب بعض السلف لمن سأله بم عرفت ربك .
- ١٤٤ الرد على من يقول بان شرك المشرك ليس بمشيدة الله .
- تفسير معنى قوله تعالى : واما ثمود فهديناهم — قول ابى بكر الصديق رضى الله عنه لمن سأله عن شخصية رسول الله صلى الله عليه وسلم اثناء رحلتهم من مكة الى المدينة : بقوله رجل يهدينى السبيل ١٤٥
- الرد على من انكر ان المعاصى غير مخلوقة لله ولا مقدرة على الانسان . ١٤٦
- تقسيم القضاء على عدة وجوه . قوله ان معنى قضاء الله بالمعاصى والكفر اراده وخلقه لا بمعنى امر به واختاره ديناً وشرعاً . ١٤٧
- بحث مفصل فى معنى قضاء الله سبحانه وتعالى وقدره . ١٤٧ — ١٤٩
- بحث مفصل فى الشفاعة — افتراق المعتزلة فى الشفاعة الى فرقتين ١٤٩
- ذكر طرف من الادلة الدالة على صحة الشفاعة . ١٥٠
- فصل فى شبه يراد بها دفع الاخبار الصحيح المجمع على صحتها — دفع المؤلف لتلك الشبه . ١٥٠ — ١٥١
- رؤية الله سبحانه وتعالى . ١٥٦
- قول أهل السنة والجماعة بجواز الرؤية لله تعالى — اختلاف الصحابة فى رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم لربه ليلة المعراج ١٥٦ — ١٥٨
- الجواب على من اعترض على رؤية الحق سبحانه وتعالى بقوله تعالى لموسى : ان ترانى — رد قول من اعترض بقول موسى عليه السلام : تبث اليك . ١٥٩ — ١٦٠
- فصل فى ذكر الاجوبة عن آيات يحتجون بها وأخبار وشبه فى نفي رؤية الله تعالى — الرد على من استدل على عدم جواز الرؤية

بقوله تعالى (لا تدركه الابصار ...) — الخلاف بين معتزلة البصرة
ومعتزلة بغداد على معنى الادراك .

١٦١ — ١٦٣

الرد على من نفى رؤية الله تعالى بقول عائشة رضى الله عنها لابن
الزبير حين سألها بقوله : هل رأى محمد ربه .

١٦٤ — ١٦٥

الرد على من قال : بانه لو جاز عليه سبحانه الرؤية بالابصار
لوجب ان يكون جسمًا ، أو جوهرًا ، أو عرضًا ، أو محدودًا .

١٦٧ — ١٦٨

الرد على من قال : لو جاز ان يكون مرئيًا لجاز ان يقال يرى
كله أو بعضه — الرد على من قال : لو كان أهل الجنة يرون ربهم
ثم لا يرونه لتناقضت احوالهم وعادت من منزلة اعظم الى منزلة
ادون النخ ...

١٦٩

الجواب لمن سأل اذا كان الله سبحانه وتعالى مرئيًا فما هو ؟
وكيف هو ؟ . الانتهاء من النظر في هذا الكتاب .

١٧٠ — ١٧١

فهرس الآيات القرآنية

الله خالق كل شيء ٦٤	(١)
الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ٢٥، ٤٤	آيتك الاتكلم الناس ٩٥
الله ييسط الرزق لمن يشاء ٤٤	اتل ما أوحى اليك من الكتاب ١٠٢
الله يتوفى الأنفس حين موتها ١٠١	إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد ٤٩ ، ٩٦
الم ١٠٧	أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً وأحسن
الم ١٠٨	مقيلاً ١٣٢
الم ذلك الكتاب ١٠٨	أفرايتم ما تمنون أأنتم تخلقونه ١٨
المص ١٠٨	أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب ١٨
الم يعلم بأن الله يرى ٣٢ ، ١٦٠	أفلا ينظرون إلى الأبل كيف خلقت ٤٢
إلى ربها ناظرة ٢٢ ، ٤٢ ، ١٥٩ ، ١٦٢	أفمن يخلق كمن لا يخلق ٢٩ ، ١٢٩
أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه ٣٨	إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته ٧١
أم السماء بناها ١٢٠	إلا أن يشاء الله ٥٣
أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ٣٢	إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ٩٧
أم يقولون افتراء بل هو الحق من ربك ١٠٠	إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم ١٤٠
أنا ربكم الأعلى ١٠٦	ألا اله الخلق والأمر ٦٢
أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني ١٥٧	ألا يعلم من خلق ١٣٠
إنا اعتدنا جهنم للكافرين نزلاً ٤٧	الذي أحسن كل شيء خلقه ١٣٢
إنا أعطيناك الكوثر ٤٦	الذي يجدونه مكتوباً عندهم ١٦٤
إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح ١١٦	الذي يراك ١٦٠
إنا جعلناه قرآناً عربياً ٦٦ ، ٦٧	الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم ١٥٤
إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية ١٠٠	الذين أسودت وجوههم أكفرتهم ١٣٤ و ١٣٥
إنا نحن نزلنا الذكر ٨٥	الذين جعلوا القرآن عضين ٦٦
إن تكفروا فإن الله غنى عنكم ١٤٦	الر ١٠٨

« تنبيه » : الرقم الذي بجوار الآيات بالفهرس هو رقم صفحات الكتاب والأرقام الموجودة بجوار الآيات من داخل الصفحات فالرقم الأول رقم السورة والرقم الثاني رقم الآية

أو تكون لك جنة من نخيل ١٦٤
 أولئك كتب في قلوبهم الإيمان ٤٨
 أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر ١٤١
 أولم يروا أن الله الذي خلقهم ٢١
 انى أرى فى المنام أنى أذبحك ١٦٥
 إياك نعبد وإياك نستعين ٤١

(ب)

بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد ١٦١
 بلسان عربى مبين ٨٥ ، ١٠٠
 بل الله عمن عليكم ١٧
 بل هو آيات بينات فى صدور ٨٢
 بل هو قرآن مجيد ٨٢
 بل يدها مبسوطتان ٢١
 بلى ولكن حقت كلمة العذاب ٣٩
 بما أوحينا اليك هذا القرآن ١٠١
 بما كسبت أيدي الناس ٤٠

(ت)

تبارك اسم ربك ٥٣
 تبارك الله رب العالمين ٩٠
 تبت اليك ١٥٨
 نبينا لى لكل شىء ١٨
 تجرى باعيننا ٢١
 تجرى من تحتها الأنهار ١٠٩
 تحييتهم يوم يلقونه سلام ٤٣
 تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة ١٥
 تلك آيات الله نتلوها عليك ٩٩

ان ربك لبالمرصاد ١٧١
 انزله بعلمه ١٣ ، ٢١ ، ٣١
 ان الشرك لظلم عظيم ١٥٤
 ان عبادى ليس لك عليهم سلطان ١٤٦
 ان عذاب ربك لواقع ٧٩
 ان علينا جمعه وقرآنه ٨٦
 ان فى خلق السموات والأرض ١٩
 إنك لن تستطيع معى صبرا ٤١
 ان الذين سبقتم لهم منا الحسنى ٤٠
 ان الذين يتلون كتاب الله ١٠٢
 ان الذين يؤذون الله ١١٥ ، ١٢٢
 ان الله لا يغفر أن يشرك به ٤٧
 إنما الله إله واحد ٣٠
 إنما امرت أن أعبد رب هذه البلدة ٧١
 إنما أنت منذر ولكل قوم هاد ١٤٥
 إنما انزل بعلم الله ٨٢
 إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له ١٦٦ ، ٢٢
 إنما وليكم الله ورسوله ٣٥
 إنما يعلمه بشر لسان الذى يلحدون ٨٦
 إننى أنا الله لا إله الا أنا فاعبدنى ٢٤
 ان هذا القرآن يهدى للقى هى أقوم ١٨ ، ١٠٥
 ان هو الا ذكر للعالمين ٨٦
 ان هو إلا وحى يوحى ١٨
 ان هي الا فتنتك ٣٩ ، ١٣٣
 انه لقول رسول كريم ٨٦
 أو ترقى فى السماء ١٦٤

تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ٦٠

تنزيل من رب العالمين ٨٦

(ث)

باني اثنين إذ هما في الغار ٥٦

(ج)

جزاء بما كانوا يعملون ١٣١

جزاء بما كانوا يكسبون ١٣١

الجوار الكنس ٨٦

(ح)

حق أئانا اليقين ١٥٤

حق إذا أدركه العرق ١٦٢

حق إذا جاء أمرنا ٦٥

حق إذا فزع عن قلوبهم قالوا ١٠٠

حق يقين لهم أنه الحق ٦٦

حق يسمع كلام الله ١٠٥

حجتهم داحضة عند ربهم ١٣١

الرحمن على العرش استوى ٣٧ ، ١٧١

حم ١٠٦

الحمد لله الذي هدانا لهذا ٣٩

الحى القيوم ٣١

(خ)

خالدين فيها ابدآ رضى الله عنهم ٤٧

خالق كل شيء ٢١ ، ١٢٨

خلق الموت والحياة ١٣٣

(ذ)

ذلكم بانه إذا دعى الله وحده ٢٠

ذو القوة المتين ٢١

ذى قوة عند ذى العرش مكين ٨٦

(ر)

رب اجعلنى مقيم الصلاة ٤١

رب أرنى انظر اليك ٢٢ ، ٤٢ ، ٩٥٦

رب بما اغويتنى ٣٩

رب السموات والأرض وما بينهما ٢٦

ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين ٦٠

ربنا ظلمنا ١٣٣

ربنا غلبت علينا شقوتنا ٣٩

الرحمن ٨٦

الرحمن على العرش استوى ٢٢

رسولا يتلو عليكم آيات الله ٦٥

رضى الله عنهم ورضوا عنه ٢٢ ، ٥٩

رفع سمكها فسواها ١٢٠

(س)

سبح اسم ربك ٥٣

السلام المؤمن المهيمن ٤٨

منقرئك فلا تنسى ٨٦

سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ١٤٤

(ش)

شهد الله انه لا إله الا هو ٤٨

(ط)

طه ١٠١

(ع)

عزيز حكيم ١٦١

عسى أن يبعثك ربك مقاما محموداً ٤٧

عسى ربه أن تطلقكن ٥٧

علم القرآن ٨٦

علمها عند ربي في كتاب لا يضل ٦٠

علمه شديد القوى ٨٦

عليم قدير ١٦١

على قلبك لتكون من المنذرين ٨٥ ، ١٠٠

عما يشركون ١٢٩

عينا يشرب بها عباد الله ١٤٦

(ف)

فآتى الله بنيانهم من القواعد ١٠٠

فاذا جاء أجلهم ٢٥

فاذا قرأت القرآن ٧٢ ، ١٠٢

فاستجبوا لعمى على الهدى ١٤٦

فاعتبروا يا أولى الأبصار ١٨

فاعلم انه لا إله الا الله ١٦٢

فاعلموا انما أزل بعلم الله ١٣ ، ٣١

فاقرؤا ما تيسر منه ٩٣

فاقرؤا ما تيسر من القرآن ١٠٢

فان الله عدو للكافرين ٣٥

فانظر إلى طعامك وشرابك ٤٢

فأوحى إلى عبده ما أوحى ٨٥

فاين تذهبون ٨٦

فتبارك الله أحسن الخالقين ١٣٢

فتلقى آدم من ربه كلمات ١١٢

فخسر فنادى ١٢٥

فخرج على قومه من المحراب ٩٥

فذكر إنما أنت مذكر ٦٥

فريقا هدى وفريقا حق عليهم ١٤٤

فطمسنا أعينهم ١١٥

فقال لما يريد ١٦ ، ٣٢

فقال انا ربكم الأعلى ١٢٥

فقضاهن سبع سموات ١٤٧

فكذب وعصى ١٢٥

فلا أقسم بالحنس ٨٦

فلا أقسم بما تبصرون ٨٥

فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا ٤٦

فلما قضينا عليه الموت ١٤٧

فلن ابرح الأرض ١٥٨

فلولا فضل الله عليكم ورحمته ١٧

فليحذر الذين يخالفون عن امره ١٨

فما تنفعهم شفاعة الشافعين ١٥٤

فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا ١٣٤

فمن يرد الله أن يهديه يشرح ٣٨ ، ١٤٠

فنفخنا فيها من روحنا ١٠٠

فوكزه موسى فقضى عليه ١٣٣

في كتاب مكنون ٨٢

في لوح محفوظ ٨٢

(ق)

قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ٥١

قال الملأ الذين استكبروا من قومه ١٤٥

قالوا لم نك من المصلين ١٥٤

قد سمع الله قول التي تجادلك ٣٢

قل أى شيء أكبر شهادة قل الله ١٤

قل فله الحجة البالغة ٢٥ ، ١٤٤

قل كل من عند الله ١٣٤

قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا ٣٩

قلنا احمِل فيها من كل زوجين ١٠٠

قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي ٩١
 قل لو كان معه آلهة كما يقولون ٣٠
 قل يا عبادي الذين اسرفوا ٤٧
 قل يتوفاكم ملك الموت الذي ١٠١
 قل يحيا الذي انشأها ١٩
 (ك)

كتب علي نفسه الرحمة ٦٣
 كتب الله لاغلبين انا ورسلي ٥٥
 كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ١٦١، ٢٢
 كل شيء هالك إلا وجهه ٢١، ٣٣، ١٢٣
 كلما مضجت جلودهم ١٥٤
 كل من عند الله ١٣٥
 كل نفس ذائقة الموت ٦٣
 كلوا واشربوا ١٢٦
 كنتم خير أمة أخرجت للناس ١٨
 كهيص ١٠٧

(ل)

لا تتخذوا عدوى وعدوكم ٣٥
 لا تحرك به لسانك ٧١، ٨٦
 لا تدركه الأبصار ١٦١، ١٦٢
 لا تقربوا الصلاة ١٢١
 لا تقربوا مال اليتيم ١٢٦
 لا تبدل لكلماته ٦٧
 لا يستل عما يفعل ٢٥، ١٤٩
 لا يستوى منكم من انفق ٥١، ٥٦
 لا يشاؤون الا ما شاء الله ١٦٩
 لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون ١٥٤
 لتدخلن المسجد الحرام ١٤٤، ٥٥
 لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك ٥٩
 للذين احسنوا الحسنى وزيادة ٤٢، ١٢٧، ١٦٠

لمن شاء منكم أن يستقيم ٨٦
 لم يلد ولم يولد ٣٤

لن تؤمن لك حتى تفجر لنا ١٦٤
 لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ٤٠، ١٢٧
 لو كان فيهما آلهة الا الله ٣٠
 لولا كتاب من الله سبق لمسكم ٥٧
 ليس كمثل شيء ١٧، ٢٠، ٢٦، ٣٤
 ٣٦، ٣٨، ٤٣، ٨٣، ١٠٢

(م)

ما اصابك من حسنة ١٣٤، ١٣٥
 ما ترى في خلق الرحمن ١٣٣
 ما تعبدون دونه الا اسماء ٥٣
 ما جعل الله من بحيرة ٦٦
 ما سللكم في سقر ١٥٤
 ما فرطنا في الكتاب من شيء ١٨
 ما كان لنبي أن يكون له أسرى ٥٧
 ما للظالمين من حميم ١٥٤
 مالك يوم الدين ١٠٩
 ما له من دافع ٧٩
 ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي ٢١
 ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث ٦٤
 مطاع ثم أمين ٨٦
 من كفر بالله من بعد إيمانه إلا ٤٩
 منهم من كلم الله ٢٤، ٣٣
 من يضل الله فلا هادي له ٢٥
 من يهد الله فهو المهتد ٢٥

(ن)

النار يعرضون عليها غدواً ٤٥
 تتلوا عليك من نبأ موسى وفرعون ٩٩

وتلوها عليك بالحق ٩٩
 نحن نقص عليك أحسن القصص ١٠١
 نزل به الروح الأمين ٨٥ ، ١٠٠
 تؤمن ببعض ونكفر ببعض ١٥٢
 (ه)
 هذا عارض ممطرنا ١٥
 هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق ٩٤
 هذا يوم لا ينطقون ١٥١
 هل أتى على الإنسان حين من الدهر ١٤
 هل من خالق غير الله ٢٥ ، ٣٨ ، ١٢٩
 هو الأول والآخر ٢٠
 هو الذي أنزل عليك الكتاب منه ١٠٩
 هو الذي يسيركم في البر والبحر ٣٨
 (و)
 واتل ما أوحى إليك ٧٢
 وإذا أراد الله بقوم ٣٩
 وإذا بدلنا آية مكان آية ٦٧
 وإذا قيل لهم أنفقوا ١٤٤
 وإذا تخلق من الطين ١٣٢
 وذكر ربك ١٠٢
 واسأل القرية التي ١٢١
 واستمع يوم يناد المناد ١١٥
 وأشربوا في قلوبهم ١٢٤
 وأفوض أمري إلى الله ٦٦
 وأقبل بعضهم على بعض ١٥١
 وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ١٢٦
 والذي جاء بالصدق ٥٦
 والذين يدعون من دون الله ٢٥
 والله خلقكم وما تعملون ١٢٧ ، ٣٨

والله على كل شيء قدير ١٦٨
 والله لا يحب الفساد ١٤٤
 والله ولي المؤمنين ٣٥
 والله يريد الآخرة ٣٢
 والله يقول الحق ٦٢
 ولم يجعل له عوجا ٧٢
 وإلهكم إله واحد ٢٠
 وأما عمود فهديناهم فاستجبوا ١٤٥
 وأنا ربكم فاعبدون ١٠٦
 وإن أحد من المشركين استجارك ٨٣
 وأن اتلو القرآن ٧١ ، ٩٣ ، ١٠٢
 وأنزلنا إليك الذكر ٨٥
 وانك لتهدى إلى ١٤٥
 وإن له عندنا لزلفى ١١٨
 وإن منكم إلا واردةا ٤٦
 وإنه لتنزيل رب العالمين ٨٥
 وأوتيت من كل شيء ٦٤
 وعت كلمة ربك ٣٣
 وتوكل على الحي الذي لا يموت ٣١
 وجعلنا من الماء كل شيء حي ٦٦
 وجعلوا لله أندادا ٦٦
 وجعلوا للملائكة الذين هم عباد الرحمن ٦٦
 وجنة عرضها السموات والأرض ٤٧
 وجهت وجهي للذي فطر ٢٧
 وجوه يومئذ ناضرة ٢٢ ، ٤٢ ، ١٥٩ ، ١٦٢
 والخامسة ان غضب الله عليها ٣٥
 وسارعوا إلى مغفرة من ربكم ١١٢
 والشجرة المسنونة في القرآن ١٢١ ، ١٢٢
 والصبح إذا تنفس ٨٦

ولا يشفعون إلا لمن ارتضى ٤٧ ، ١٥٣
 ولتصنع على عيني ٢١
 ولقد أرسلنا إلى نوح أخاهم ١٤٥
 ولقد جئناهم بكتاب ١٠٠ ، ١١٥
 ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا ١٤٠ ، ١٤٥
 ولقد رآه بالأفق المبين ٨٦
 ولكن جعلناه نورا نهدي ٨٠
 ولكن كره انبيائهم فثبطهم ١٤١
 ولكن الله حبيب إليكم الإيمان ٤٨
 والله الأسماء الحسنى ٢١ ، ٥٣ ، ١٣٩
 والليل إذا عسعس ٨٦
 ولما جاء موسى لميقاتنا ١٥٦
 ولم نك نطعم المسكين ١٥٤
 ولم يكن له كفووا أحد ٣٤ ، ٣٦
 ولن يتمنوه أبدا ١٥٨
 ولو أن ما في الأرض من شجرة ٧٠ ، ٩١
 ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة ٣٩ ، ١٤٠
 ولو ردوه إلى الرسول ١٨
 ولو شاء ربك لآمن من في الأرض ٣٩ ، ١٤١
 ولو شاء ربك لجعل الناس أمة ١٣٩ ، ١٤٠
 ولو شئنا لآتينا كل نفس ٣٩
 ولو شاء الله لجمعهم على الهدى ٣٨
 ولو كان من عند غير الله ١٨
 ولولا فضل الله عليكم ورحمته ١٧ ، ٤٣
 ولو يوأخذ الله الناس بما كسبوا ٤٠
 وما أتاكم الرسول فخذوه ١٨
 وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ٩٤
 وما أصابكم من مصيبة فبما ٤٠
 وما أمر فرعون برشيد ٦٥
 وما أنت بمؤمن لنا ٢٠ ، ٤٨

والضحى ١٢٢
 وضرب لنا مثلا ونسي خلقه ١٩
 والطور ١٢٢
 والعاقبة للمتقين ٥٥
 وعليها ما اكتسبت ٤٠
 والعر ١٢١
 وفي أنفسكم أفلا تبصرون ١٨
 وقد خلقتك من قبل ١٤
 وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس ٧١
 وقضى ربك ألا تعبدوا ١٤٧
 وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب ١٤٧
 وقهم السيئات ١٥٠
 وكان أمر الله قدرا مقدورا ٦٥
 وكان أمر الله مفعولا ٦٥
 وكانوا لا يستطيعون سمعا ٤١
 وكذلك أوحينا إليك ١١٦
 وكذلك جعلناكم أمة وسطا ١٨
 وكلم الله موسى تكليما ٢٤ ، ٣٣
 وكنا نخوض مع الخافضين ١٥٤
 وكنا نكذب بيوم الدين ١٥٤
 وكنتم على شفا حفرة من النار ١٧
 وكيف تكفرون وأنتم تتلى ١٠٠
 ولئن شئنا لنذهب بالذي ٦٧
 ولا يقول كاهن قليلا ٨٥
 ولا تعجل بالقرآن من قبل أن ٨٦
 ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك ٥٣
 ولا مبدل لكلمات الله ٦٧
 ولا يخفف عنهم من عذابها ١٥٤
 ولا يحيطون به علما ١٦٢
 ولا يرضى لعباده الكفر ١٤٦

وهو القاهر فوق عباده ١٧١
ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ٢١
ويتفكرون في خلق السموات والأرض ٢٥
ويعلم ما في السموات وما في الأرض ٣١
ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا ٩٦
(ي)

يا أيها الرسول ٧١
يا أيها الذين آمنوا اذكروا ١٠٤
يا أيها الذين آمنوا من يرد منكم ٥٦
يا أيها الناس علمنا منطق الطير ٦٤
يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ١٤٦
يا موسى اجعل لنا إلها كما ١٥٧
يا موسى أقبل ولا تخف ١١١
يا موسى إنه أنا الله العزيز الحكيم ٦٣
يتلونه حق تلاوته ٧١
يثبت الله الذين آمنوا ٤٥
يحب التوابين ويحب المتطهرين ١٥٥
يحبهم ويحبونه ٣٥
يريد الله أن يخفف عنكم ٣٢
يريد الله بكم اليسر ٢٢ ، ٣٢
يزيد في الخلق ما يشاء ١١٨
يسئلك أهل الكتاب أن تنزل ١٦٣
يس ١٠٠
يضل من يشاء ويهدي ٣٩
يعلم خائنة الأعين ٣١ يعلم السر وأخفى ٩٦
يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ٣١
يعلم ما في أنفسكم ٩٦
يمنون عليك إن أسلموا قل لا تمنوا على ٥٢
يوم يسمعون الصيحة بالحق ١١٥
يوم ينفخ في الصور ١١٥

وما تحمل من أثني ولا تضع ١٣ ، ٢١
وما تشاؤون إلا أن يشاء الله ٣٩ ، ٢٢ ، ٨٦
وما خلقت الجن والإنس ١٤٤
وما رب العالمين ٢٦
وما صاحبكم بمجنون ٨٦
وما كان لبشر أن يكلمه الله ٨٥ ، ١٦٤
وما كنت تتلو من قبله من كتاب ٥٥
وما لا تبصرون ٨٥
وما من دابة في الأرض إلا على الله ٤٤
وما هو بقول شاعر ٨٥
وما هو بقول شيطان ٨٦
وما هو علي الغيب بضنين ٨٦
وما يكون لنا أن نعود فيها ٣٩
وما ينطق عن الهوى ١٨
والملائكة باسطوا أيديهم ١٣٤
ومن أعرض عن ذكرى فإن له ٤٥
ومن يتعد حدود الله فأولئك ١٢٠
ومن يتول فإن الله هو ١١٠
ومن يرد الله فتنه فلن ١٤١
ومن يشاقق الرسول من بعد ١٨
ومن يقتل مؤمناً متعمداً ٣٥
ونادوا يا مالك ليقض ١٥٨
ونزعنا ما في صدورهم ٥٩
ونضع الموازين القسط ٤٦
وهديناه النجدين ١٤٥
وجذبناهم ١٤٥
وهو أهون عليه ١٣٢
وهو الذي في السماء إله وفي ١٧١
وهو الذي يبدأ الخلق ثم ١٩
وهو السميع البصير ٣٢
وهو على كل شيء قدير ٢١ ، ٣١

فهرس

الأحاديث النبوية

ص	ص
١١٩	(١)
٧٥	الائمة من قريش
٣٨	ابن قل ان
٥٨	اتمشى امام من هو خير منك
١٦٠	اذا اجتهد الحاكم
٨٠	اذا تكلم الله بالوحي
٥٨	اذا ذكرني عبدي في نفسه
٤٨	اذا قضى الله الامر في السماء
٥٣	اذا كان يوم القيامة
٥٩	ارجع فناد الا ان العبد نام
١٢٩	استقرئ القرآن من اربعة
٤٣	اشفع الى ربي
٥٦	اعطوا اعينكم حظما من العبادة
١٤٢، ٥٢	اعملوا فكل ميسر لما خلق له
٥٧	اعوذ بالله من عذاب القبر
٥٣	أعيد كما بكلمات الله التامة العامة
٧٣	افضل عبادات امتي قراءة
	القرآن
	١١٣ و ٧٦

ص

٤٦ حوضى كما بين ايلة الى مكة

(خ)

٧٧ خذوا القرآن من اربعة

٦٠ الخلافة بعدى ثلاثون

٥٨ خير القرون قرنى

٤٧ خيرت بين ان يدخل

(د)

٥٧ دعوت الله تعالى ان يرفع

(س)

١٤٢ السعيد من سعد فى بطن امه

٧٤ سل تعطه من سره

(ش)

شفاعى لاهل السكبان

١٥٠ ، ٤٧ من امتى

(ف)

١٤٢ فتقول الملائكة يا رب اشق

١٢٩ فرغ ربك من اربع

٦٢ ، ٣٣ فضل كلام الله على سائر

(ق)

٤٥ القبر اما روضة من رياض الجنة

٥٦ قال الناس لى كذبت وقال ابو بكر

(م - ١٣)

ص

ان هذا القرآن نزل على سبعة

احرف

١١٢ ، ١١١

١١٩ انه ليدانى على حسن ايمان

١٦٥ انى اراكم من وراء ظهري

انى لا عرف اصوات رفقة

١١٩ الاشعريين

٦٠ اياكم وما شجر بين اصحابى

١٢٣ ايما اهاب دبغ فقد طهر

(ب)

٨٠ بينا انا فى الجنة

(ت)

تروى ربكم عيانا كما تروى

١٦١ ، ٤٢ القمر

تفكروا فى آلاء الله ولا تفكروا

٢٦ فى الله

١٦٥ تنام عيني ولا ينام قلبى

(ث)

٣٥ ثلاثة يبغضهم الله تعالى

١٥٢ ثمرة طيبة وماء طهور

(ح)

الحمد لله الذى وفق رسول

١٨ رسوله لما يرضى

(ك)

- ٢٧ كان الله تعالى ولم يكن شيء
٦٢ كلام الله غير مخلوق
٥٦ كنت نبياً وآدم بين
٤٥ كيف بك يا عمر اذا جامك فتانا القبر

(ل)

- ٥٨ لا عطين الراية غداً
١٢١ ، ٦٨ لا تسافروا بالقرآن
٦٨ لا تمس القرآن إلا
١٥٣ لا صلاة لجار المسجد إلا في
٤٧ لا يبقى في النار من في قلبه
١٥٢ لا يدخل الجنة مدمن خمر
١٥٣ لا يزني الزاني
٥٠ لا يكمل ايمان العبد حتى يحب
١٢١ لا يمس القرآن إلا على طهارة
١٥١ لا ينال شفاعتي اهل الكبائر
١١٩ لقد اعطيت مزاراً من مزامير
١٢٢ ، ٨٨ لوجعل هذا القرآن في اهاب
١٢٩ لو جهد الخلق على أن ينفعوك
٥٧ لو كان بعدى نبيا لكان
٥٧ لو كان لنا ثلاثة
٥٧ لو نزل من السماء عذاب
٥٧ لو وزنت ايمان ابى بكر
١٥٣ ليس منا من باتى بطينا
١٥٤ ليس هذا يا ابا بكر انما الظلم

(م)

- ١١٩ ما حبسك يا عائشة
٧٩ مالك اذا قرأت
٢٦ مثل الناظر في قدر الله
٧٢ من أراد أن يقرأ القرآن
١٥٢ من تحسى سماً وقتل نفسه
١٢٣ ، ٩٤ من حفظ القرآن
١١٩ ، أبو موسى ، مزار من مزامير
٧٧ من سره أن يقرأ القرآن
٧٣ من قرأ حرفاً من كتاب الله
٧٦ من قرأ القرآن باعراب
١١٣ من قرأ القرآن فله
٥٧ من يحجز جيش العسرة
٥٧ من يزيد في المسجد أضمن له الجنة

(ن)

- ٩٧ الندم توبة
١٢٣ نعم الشفييع لصاحبه

(هـ)

- ٧٣ هكذا أنزل

(ي)

- ٣٢ يا ابن آدم تريد واريد
١١٥ يا ابن آدم مرضت
٩٧ ، ٥٠ يا معشر من آمن بلسانه
٤٧ يقال للعابد يوم القيامة
٣٥ يقول الله تعالى
٥٩ يكون بين أصحابي

فهرس الأعلام

٨٨	بختنصر	(١)	آدم عليه السلام
٧٩	البراء بن عازب	١٤١، ١٣٣، ٨	آدم بن أبي إياس
١٠	البرهاري	٩٠	إبراهيم الخليل عليه السلام
٦٣	بشر المريسي	١٦٥، ٢٧	إبراهيم بن محمد صلى الله عليه وسلم
٤٠	برصيص	٤٥	إبراهيم بن محمد الأسفرايني
٨	أبو بكر الخوارزمي		د أبو إسحاق
٤٨، ٤٢، ٤٠، ٤	أبو بكر الصديق	١٠، ٩	إبليس
٦٥، ٥٨، ٥٦، ٥٢		٤٠، ٣٩	أبي بن كعب
١٣٢، ١٢٣، ٩٧، ٧٩، ٧٤		١٠٣، ٧٣، ٧٢	الأخطل الشاعر
١٥٤، ١٥٢، ١٤٥		٩٧	إسرافيل عليه السلام
٧	أبو بكر القطيعي	١١٨، ١١٥	إسماعيل بن رافع
٩٠	أبو بكر النقاش	١٢٤	إسماعيل بن عباد، الصاحب
١٥٢	بلال	١٣١، ٥	أسيد بن حضير
٤٠	بلعم	١١٩	الأشعري
٦٤	بلقيس	٦٤، ٥٨، ٣٦، ١٠، ٩، ٨، ٧، ٦	امام الحرمين
	(ج)	١٠	ابن أم عبد = ابن مسعود
١٠٨، ٧٤	جابر بن عبد الله		انس بن مالك
٩	الجبائي وأبو علي	١٥٠، ٧٩، ٧٦	(ب)
٨٥، ٥٢، ٢٤	جبريل عليه السلام		الباقلاني وهو المؤلف
١٠٠، ٨٧، ٨٦		١٢، ١١، ١٠، ٩، ٨	الباهلي وأبو الحسن
١٠٧، ١١٥، ١٠١		٩، ٥	البخاري
١٦٧، ١٤٣		١١٧	
٧٩	جبير بن مطعم		

١١٨	ذو البجادين	١١٧، ١٠٧	ابن جريج
	(ز)		جعفر بن محمد الصادق ، الإمام ، ٣٧، ٦٠،
١٦٤	ابن الزبير	٩٠، ٤٠، ٢٩	الجنيد رضى الله عنه
١١٧	الزهرى	(ح)	
١٠٧	زيد بن أسلم	٨٠	حارثة بن النعمان
٧٧، ٧٥	زيد بن ثابت	٨	أبو حاتم القزوينى
	(س)	٢٩	الحريرى : أبو محمد
١١٩، ٧٧، ٧٣	سالم مولى أبي حذيفة	١٢١، ٧	ابن حزم
١١٩	ابن سابط	٩	الحسن الباقلانى وابن المؤلف ،
٤٠	سحرة فرعون	١٥١	الحسن البصرى
١٠٧	السدى	٩٠٥	أبو الحسن الباهلى
١٠٧	سعيد بن جبير		أبو الحسن الأشعرى = الأشعرى
١٠٥، ٧٦	أبو سعيد الخدرى	٧	الحسين بن حاتم
١١	أبو سعيد الهارونى	١٣٣	حواء ، عليها السلام ،
١٤٥	سفیان	١٠٨	حى بن أخطب
٧٨	أم سلمة	(خ)	
	(ش)	٨	الخطيب البغدادى
	الشریف الأجل الإمام جمال	١١	ابن خلـكان
	الإسلام = الأشعرى	(د)	
١٠٧	الشعبى	١١٨، ١٤، ٨	داود عليه السلام
٣٩	شعيب عليه السلام	٦٢، ٥٦	أبو الدرداء رضى الله عنه
٣٧	الشلبى	٨٩	دعبل الشاعر
١١٩	شهر بن حوشب	(ذ)	
	الشيخ الاجل الأجد = الأشعرى	١٥٢، ١١٨	أبو ذر رضى الله عنه
		٧	أبو ذر الهروى
		٧	الذهبي

١٠٧	عكرمة
٨٩، ٧٩، ٦٢، ٥٩، ٥٨، ٥٧	علي عليه السلام
٢٩	عمار بن ياسر
٧٣، ٥٨، ٤٨، ٤٥، ٤٠	عمر بن الخطاب
١٣٢، ١١٨، ١١٢، ١٠٢، ٩٧، ٧٩	
١٢٤	عمر بن طلحة
٦٠، ٤٧	عمر بن عبد العزيز
٧٥	عمرو بن مرة
٣	القاضي عياض
١٢٤، ٩٤، ٥٤	عيسى عليه السلام
(غ)	
١٠	الغزالي
(ف)	
٧	أبو الفتح بن أبي الفوارس
١٠	الفخر الرازي
١٣٢	الفرزدق
١٠٦، ٤٠، ٢٦	فرعون موسى
١٦٢، ١٢٦، ١٢٥	
١٣٠، ١٠، ٩، ٥	ابن فورك
(ق)	
١٤٥، ١٠٧، ٧٦	قتادة
(ك)	
١٠٩، ١٠٣، ١٠	ابن كثير
٩٠	كعب الأحبار
(ل)	
١١٥	لوط عليه السلام

(ص)	
١٠٢	صفوان رضي الله عنه
٦	ابن الصيرفي
(ض)	
١١٧	أبو الضحى
(ع)	
١١٨، ٧٨، ٤٦، ٠٨	عائشة رضي الله عنها
١٦٥، ١٦٤، ١٥٦، ١٢٣، ١١٩	
١٠٣	عاصم الجحدري
١١٨	أبو العالية
١١٠	ابن عامر : أحد القراء السبعة
١١٩	أبو عامر الأشعري
١٠٧، ٤٢	ابن عباس رضي الله عنه
١٦٤، ١٥٦، ١٤٥، ١٢٩، ١٠٨	
	عبد الجبار بن علي
١٠	الاسفرايني وأبو القاسم
١٠، ٩	عبد القاهر البغدادي
٦٣	عبد العزيز المكي
٩١	عبد الله بن سعيد
١٤٢، ١١٧، ٤٥	عبد الله بن عمر
	عبد الله مسعود = ابن مسعود
٧٦	عبد الله بن مفضل
٥٨، ٥٧	عثمان رضي الله عنه
٣٧	أبو عثمان المغربي «الصوفي»
١١٨	أبو عثمان النهدي
٨٨	عزيز عليه السلام

٧	الملك المعظم
١٦٧	ملك الموت
٤٥	منكر ، عليه السلام ،
٥٤ ، ٤٢ ، ٢٦ ، ٢٢	موسى عليه السلام
١٤١ ، ١٣٣ ، ١١٨ ، ٩٤ ، ٨٩ ، ٨٤ ، ٥٨	
١٦٠ ، ١٥٩	
١١٨	أبو موسى
١١٥	ميكائيل عليه السلام
	(ن)
١١٠	نافع
٧٦	النعمان بن بشير
٤٥	نكير عليه السلام
١١٧	النواس بن سمعان
	(هـ)
٥٨	هارون عليه السلام
٧٩	أم هاني
١١٧ ، ٨٠ ، ٧٧ ، ٤٥	أبو هريرة
	(و)
٧٥	أبو وائل
	(ي)
١٠٨	أبو ياسر بن الخطب
١١	اليافعي
٨٨	يحيى عليه السلام
١٠٣	يزيد القعقاع ، أبو جعفر ،
٤٨ ، ٨	يوسف عليه السلام

(م)	ابن ماسي : أبو محمد
٧	
١٠١	ماعر
١١٨	مالك بن دينار
١٤٥	مجاهد
	ابن مجاهد = محمد بن مجاهد
	رسول الله : نبي الله ، محمد صلى الله عليه وسلم
	(يرد بكثرة)
	محمد بن أحمد السمناني
٧٠٦	القاضي ، أبو جعفر ،
	محمد بن مجاهد
١٠ ، ٩ ، ٨	الطائي ، أبو عبد الله ،
	محمد بن الطيب = الباقلالي
٨	محمد بن عمران ، أبو الفرج ،
٣٧	محمد المحبوب
١٢٤ ، ١٠٠	مريم عليها السلام
١١٧	مسروق
٨٠ ، ٧٨ ، ٧٢ ، ٦٨	ابن مسعود
١١٣ ، ١٠٧ ، ١٠٣	
١١٩ ، ١١٧	مسلم بن الحجاج
٧٧ ، ٧٣ ، ١٨	معاذ بن جبل
٦	ابن المعلم ، كبير الأمامية ،
١٦٧ ، ١١٧	الملائكة
٨	ملك الروم

بسم الله الرحمن الرحيم

« ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ،

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأن سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله شهادة أرجوها النجاة يوم لا ينفع إلا رضاه .
أما بعد : فإن هذا الكتاب من أمهات الكتب العلمية ، الغزيرة المادة ، الواسعة البحث في علم استعصى على كثير من العلماء فهم كثير من مسائله الدقيقة . غير أن لسان الأمة ، وسيف أهل السنة ، العالم النظار أبا بكر محمداً بن الطيب الباقلاني البصري المتوفى سنة « ٤٠٣ هـ » تغلب ببارع حيلته وفائق مهارته فذلل صعابها ، وراض جماحها فزلت بعد شماس ولانت بعد إباء فرد على الذين زاغت قلوبهم فدفع شبههم ، وأقام الحجة عليهم من الكتاب والسنة والأدلة العقلية وأيد مذهب الأشاعرة في أمهات مسائل التوحيد كنفه خلق القرآن ، وأثباته لرؤية الله سبحانه وتعالى ، والشفاعة ، والقضاء والقدر .

ومما ضاعف أهمية هذا الكتاب وشجعني على نشره تكريم مولانا بقية السلف الصالح شيخ مشايخ علماء هذا العصر بلا منازع المحدث الكبير صاحب الفضيلة الشيخ محمد زاهد بن الحسن الكوثرى وكيل المشيخة الإسلامية في الخلافة العثمانية سابقاً ونزيل القاهرة الآن بتقديمه للقراء والنظر فيه والتعليق عليه بقدر ما سمحت له صحته ووقته فجزاه الله عن العلم وخدمته خير الجزاء وبارك في عمره وأبقاه ذخراً للإسلام والمسلمين .

وقد عثرت على أصل هذا الكتاب النفيس بادي ذي بدء في دار الكتب الملكية المصرية بوساطة حضرة الأخ الأديب البجائية فؤاد افندي السيد الموظف بقسم الفهارس العربية بالدار المذكورة ثم عثرت على نسخة مخطوطة في مكتبة الأستاذ

البحاث المعروف بالأواسط العلمية السيد محمد بن تاووت الشهير « بالطنجي » محقق رحلة ابن خلدون . ومقدمته ، وديوان النابغة وغيرها من الكتب التاريخية والأدبية فراجعها على النسخة الموجودة بالدار واستخرجت من النسختين أصلاً دفعته إلى مولانا الكوثرى فأصلح حفظه الله ما فيه من خطأ وأثبت الكلمات المنقوصة فوضعتها بين مربعين وهاهي والله الحمد نخرجها نسخة كاملة لتضم إلى الخزانة العربية في ثوب قشيب بقدر المستطاع .

هذا وانني أتقدم بفروض الشكر وآيات الثناء لكل من قام ويقوم بمؤازرة مكتبنا وتشجيعنا على نشر الكتب العلمية من تراثنا العربي الإسلامي القديم أخص منهم بالذكر حضرات أصحاب السعادة والفضيلة القانوني المشرع الكبير محمود بك السبيع المستشار لدى المحاكم العليا الوطنية والإداري الحازم الكبير الأمير الای محمد بك يوسف مدير الشؤون العربية بحكمدرية العاصمة الحائز لتقدير ومحبة ملوك ورؤساء الحكومات العربية خاصة والإسلامية عامة والمربي الكبير الشيخ عبد المجيد الشافعي بدار العلوم والشيخ حامد مصطفى بكلية اللغة العربية والسيد يوسف علي الزواوي من علماء الأزهر وغيرهم من رجالات العلم والأدب .

والله سبحانه وتعالى أسأل أن يحفظهم جميعاً وان يسدد خطانا ويوفقنا إلى ما فيه حبه ورضاه بمنه وكرمه انه سميع مجيب .

كتبه ناشر الكتاب الفخيم إلى الله تعالى راجي عفوه وغفرانه أبو أسامة السيد عزت ابن المرحوم العالم النحرير السيد أمين بن المرحوم محدث الديار الشامية و بدر بدور البلدة

الدمشقية السيد سليم بن المرحوم العالم العلامة السيد ياسين ابن شيخ علماء الديار الشامية وأستاذ شيوخ مشايخ الشافعية المحدث الكبير

السيد حامد ابن شهاب الملة والدين الشهاب أحمد بن عبيد

ابن عبد الله بن عسكر الحسيني النسب الحمصي

المولد الدمشقي الموطن الشهير بالعطار

تصويب

٣-١٧ : بين ، ٧-٢ : من ، ٨-١ : المؤرخين ، ١٤-٢ (لا +) ،
 ١٥-١٠ : لذلك ، ١١ : المكان المانع من أن يوجد ، ١٣-٣ : ٤-١٦٦ ، ١٧-١٥ :
 ٤-٨٣ ، ٧-١٨ : تبياناً ، ١٦ : نوله ، ٢١-٢ : ١٣-١٦ ، ١١ : ٤-١٦٦ ،
 ١٢ : هو اشد ٢٢-١٠ : ٩٨-٨-٢٤ : ١ : فاعبدي ، ٢٠-١٤ ، ٢٥-٨ : فهو المهتد :
 و (من يضل الله ، ٩ : ١٨-١٧ ، و ٧-١٨٦ ، ٣١-١٤ : ٤-١٦٦ ، ٣٢-١١ :
 و (يريد الله ، ٢٠ : قد سمع الله ، ٣٩-١٨ : ٧-١٨٨ ، ٤٦-١٠ : تقم لهم ،
 ١٧ : هده ، ٢١ : له ميزان ، ٤٧-١ : ٢١-٢٨ ، ٥١-٢٣ : ٤٩-١٤ ،
 ٥٢-١ : لا ايمان ، ٥٤-١٥ : فسارع ، ٥٨-٩ : قرني ، ٥٩-١٧ : ما في صدورهم ،
 ٦٢-١٠ : أن تقول ٦٤-٧ : ٤٧-٢٣ ، ٢١ : ٢١-٢ : ٦٦-٤ : حتى يتبين
 ٧-٧ : الأرض ٧-٦ : ٥-٦٧ ، ٨ : ٢٢-٥٢ ، ٧٥-١٤ : قراءته ،
 ٨٠-٣ : نهدي ، ١٤ : إذ سمعت ، ٨٣-٨ : ٩-٨٦ ، ٢٤ : لان قراءة ، ٩٠-٣ : تبارك الله
 ١٠٠-١٨ : فأتى الله بنبيانهم ، ١٠٩-٢٠ : تجري من ، ١١٤-٨ : اولاً لا ، ١١٦-٤ : الوحي ،
 ١١٨-١٤ : بين ١٢١-١٢ : وجوه عدة ، ١٢٦-٢٠ : يكون ، ١٢٧-٢٠ : تعملون ١٣٠-١٥ :
 ٦٧-١٤ ، ١٣١-٧ : فاحلق ، ١٩ : بما كانوا ، ٢٠ : نمنع ، ١٣٩-٩ : الاقدار
 ١٤٣-١٨ : ويبادر ، ١٥٣-١٩ : عمل مرتضى ، ١٥٨-١٣ : ابدية ، ١٤ :
 ابد وايشا ، ١٥٩-١٣ : ثبت اليك ، ١٦٠-١٣ : ولولم ، ١٦٣-١٧ : ومن ،
 ١٦٤-١٢ : لقد قف ١٦٩-١٢ : تناقض ، ١٧٥-١٧ : يثاب .